

٦٦

الكاتبة

لثقافة الإنسانية والتقدم .

- القمع في المناطق المحتلة تعبير عن الارمسة .
- اى مجتمع يسعى الاخوان لبنائه
- دور المنظمات الجماهيرية في التنمية الريفية للمناطق المحتلة .
- ريتون الضفة الغربية - الواقع والاحتياجات .
- مشاكل حقيقية تهدد الزراعة في العوجا
- دور المرأة الفيتنامية والمرأة الفلسطينية في الصراع الوطني .
- الاسباب التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لتشغيل المرأة وضرورة مساواتها بالرجل .
- مع بابلو نيرودا في مذكراته
- "سبعة ايام" ليونيد قولينسكي بمناسبة مرور اربعين عاما على "نهاية الحرب العالمية الثانية" .
- قراءة مختصرة في كتاب علم الوراثة للدكتور خليل رشماوى .
- " التحليق فوق الجدار " الجزء الثاني من قصة " ساعات ما قبل الفجر " .

الأبعاد السياسية لمذبحة صبرا وشاتيلا الثانية

AL-KATEB

For human culture
and progress

Editor -

Asa'd Al-Asa'd

P.O.Box 20489

Jerusalem

Tel: 856931

صاحب الإصدار - المراسل

أسعد الأسعد
القدس

الكاتب
للتقافة الإنسانية والتقدم

مَنسِر التَّحْرِيرِ

أسعد الأسعد

سيرة القهر: محمد شاهين

هَيْئَةُ الْقَهْرِ

بسام الصالحي تيسير عاروري

جميل السلحوت فضل البورينو

محمد البطراوي محمود الشيخ

السودان إدري: يحيى شقير

صفاء ومحتاج: هبيرة أبو غوريس

الرسائل:

الكاتب - صوب: ٢٠٤٨٩ القدس
تلفون ٨٥٦٩٣١

الاشتراكات:

بالدولة أو ما يعادلها من سنة واحدة

محلياً ٥٠ دولار

بلد آخرى ٤٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار

بلد آخرى ١٠٠ دولار

تزويد المواد في هذا العدد يخضع لضوابط فنية

لا ترد المواد المرسلها إذا لم تنشر.

مع الكتب

- ٠ صالح الرابي
- ٠ مع بابلو نيرودا في مذكراته
- ٨٤ "اعترف انني قد عشت"
- ٠ كريم دباح
- ٠ سبعة ايام "ليونيد فولينسكي
- ٠ بمناسبة مرور اربعين عاما على
- ٩٥ "نهاية الحرب العالمية الثانية"
- ٠ د. عدنان شقير
- ٠ قراءة مختصرة في كتاب علم
- ١٢٤ الوراثة للدكتور خليل رشاوي

كلمات

- ٠ القمع في المناطق المحتلة
- ٢ تعبير عن الازمة

سياسة

- ٠ د. نصر عاروي
- ٠ الابعاد السياسية لمذبحة صبرا
- ٤ وشاتيلا الثانية
- ٥٥ - أي مجتمع يسعى الاخوان لبنائه

دراسات وأبحاث

قصص

- ٠ محمد خليل عليان
- ٠ "التحليق فوق الجدار" الجزء
- ٩٩ الثاني من قصة "ساعات ما قبل
- ٠ الفجر

شعر

- ٠ محمد عرقوب
- ١١٤ بكائية الاسئلة
- ٠ اليكس فانيسوف
- ٠ ترجمة : ايمن ابو الشعر
- ١١٧ في المرح الشمس... وسط العاية

شعريات

- ١١٨ سؤا الى المحرر
- ١٢١ رسائل وردود
- ١٢٦ اصدا ثقافية

السماعيل دعيق

- ٠ دور المنظمات الجماهيرية في
- ٩ التنمية الريقية للمناطق المحتلة

سميح البرغوشي

- ٠ زبون الضفة الغربية الواقع
- ٣٨ والاحتياجات

قسم الدراسات في لجنة الاعانة

- ٠ الزراعة الفلسطينية
- ٠ مشاكل حقيقية تهدد الزراعة
- ٧٧ في العوجا

نضايا المرأة

بشارة دوماي

- ٠ دور المرأة الفيتنامية والمرأة
- ٢٣ الفلسطينية في الصراع الوطني

د. عبد العزيز وطان

- ٠ الاسباب التاريخية والاقتصادية
- والاجتماعية لتدشغيل المرأة
- ٦٧ وضرورة مساواتها بالرجل

كلمتنا

الازمة الخانقة التي تعيشها حكومة اسرائيل ذات الرأسين ، جراء اختلاف مواقف شقيها من بعض الامور غير الجوهرية ، والتي تصل احيانا الى حد التلويح بفض التحالف القائم بين كتلتي الليكود والمعراخ ، تجد لها متنفسا في السباق على تصعيد التنكيل بالمواطنين في المناطق المحتلة ، متذرعة بذرائع واهية .

ان التحريض الارعن الذي تطلقه سوائب المستوطنين والكهانيون ومختلف العناصر الفاشية ضد المواطنين العرب ، يجد رعاية رسمية من جانب الحكومة الاسرائيلية وتشجيعا كان يوءى الى ان يأخذ المستوطنون مهمة جيش الدفاع الاسرائيلي لردع المواطنين وفرض الامن في المناطق المحتلة ، وصل في بعض الاحيان الى تفتيش المارة ، واقامة الحواجز على الطرقات ، وأحيانا كثيرة اطلاق النار على المواطنين العرب مبررين ذلك بعدم اهلية جيش الدفاع ، وعدم قيامه بواجبه لحماية المستوطنين ، وفرض النظام والامن .

غير ان ما يجري الان ، مختلف تماما ، اذ ان الحكومة الاسرائيلية قد قررت على ما يبدو ان تحقق للمستوطنين مطالبهم ، بطريق لم يسبق لها مثيل منذ احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ، في وقت ترافقت فيه هذه الحطة مع زيادة الضغط من جانب الولايات المتحدة وبواسطة وكلائها في المنطقة ، من اجل ان تقدم م.ت.ف. التنازل تلو التنازل ، موهمة نفسها ومحاولة ايها ما بأن الشروط المهيمنة التي تقدمها الادارة الاميركية واصدقاءها انما هي انتصارات حققتها قيادة منظمة التحرير بفضل تنازلاتها المتلاحقة وغير المحدودة ، في هذا الوقت ، وفي هذه الظروف جاء التصعيد الاسرائيلي وزيادة القمع ضمن ما عرف بسياسة القبضة الحديدية ، حيث انتشرت قوات المظليين والفرق الخاصة العائدة من لبنان في الشوارع مستخدمة كافة

القمع في المناطق المحتلة تعبير عن الازمة

الوسائل لقمع المواطنين والتفنن في اهانتهم واذلالهم ضاربة عرض الحائط بكافة الاحتجاجات التي يطلقها الاهلون ، بل ولا تزال معظم الاوساط الحاكمة تصر على تكذيب روايات الاهلين ، متهمتهم بالدس على جيش الدفاع ، والتجني على اخلاقياته ، رغم توفر الشهود الاسرائيليين احيانا ، وتصريح بعضهم بصحة الممارسات المهينة التي يقترفها افراد الجيش ضد المواطنين العرب ، الشبان منهم والشيوخ ، بشكل لا يمكن ان يصدق عقل .

ان الحقيقة التي لا تقبل الشك ، والتي تقف منتصبة وسط هذا السيل الجارف من الممارسات ضد المواطنين العرب في المناطق المحتلة ، هي ان ما جرى ويجري من ممارسات ، انما هو تعبير آخر عن عمق الازمة التي تعيشها الحكومة الاسرائيلية على الصعيدين الاقتصادي والسياسي وهروب من مواجهة الواقع بأساليب سوف لن تؤدى الا الى زيادة تعميق ازمة هذه الحكومات والحكومات اللاحقة طالما بقيت تتعامى عن الحقيقة الساطعة ، الحقيقة التي عبر عنها شموئيل غورن منسق شؤون المناطق المحتلة في لحظة صدق نادرة حيث قال " ان الغالبية الساحقة من جماهير الضفة الغربية يرفضون الاحتلال " ولقد اصاب غورن بذلك عين الحقيقة .

ان سياسة القبضة الحديدية ، وما رافقها من ابعاد واعتقالات ادارية ، واقامات اجبارية بحق العديد من المواطنين ، سياسة القمع الرسمية بحق المواطنين العرب في المناطق المحتلة سياسة الترخيص لكهانا وجماعته بالتظاهر في جيبتايم وحمايته من الجماهير التي حاولت التصدى له ، هذه السياسة هي المسوءولة عن تنامي الكهانية وتعاقد الفاشية في اسرائيل ، وان سياسة تحمي سواثب المستوطنين ، وترخص للعنصريين تظاهراتهم في وقت لا تضع فرصة لقمع المواطنين العرب الا وتستغلها وتحرض عليها ، ان سياسة كهذه ليست قصيرة النظر فحسب ، بل انها ستجلب الدمار ، وتدفع المنطقة وشعوبها الى حافة الموت والهلاك .

المكاتب

الأبعاد السياسية لمذبحة صبرا وشاتيلا الثانية



بقلم : د . نصير عاروري

عن الانجليزية : خليل توما

ولا بد من اجل سير اغوار هذه التناقضات والتعقيدات من امان النظر في حقائق السياسة اللبنانية فيما بعد غزو ١٩٨٢ وفي تطورات السياسة الفلسطينية وفي الاستراتيجية السورية الطارئة في المنطقة . فعلى ضوء تفاعل هذه العوامل الثلاثة يمكن فهم الاشتباكات الحالية بين اهل والفلسطينيين .

فلبنان الحديث الذي حصل على استقلاله عام ١٩٤٣ ، يقف الان عند مفترق طرق تتجاذبه قوتان باتجاهين مختلفين ، الاولى " قوة مركزية جاذبة " تحاول ابقاء السياسة الطائفية التي تعتمد النظام القائم على توزيع المناصب السياسية على اساس الانتماء الطائفي ، آخذه بالحسبان الواقع المستجد ، بعد غزو عام ١٩٨٢ المتمثل في تصاعد قوة الشيعة والدروز مقابل هبوط قوة المسلحين السنة والمارونيين . اما الثانية فهي " قوة مركزية طاردة " انفصالية ، تسعى الى تحويل الواقع القائم حاليا في لبنان من

اسئلة مهمة فرضت نفسها اثناء احتدام المعارك ما بين ميليشيات حركة امل المدعومة باللواء السادس اللبناني وبين الفلسطينيين في ثلاثة من المخيمات الفلسطينية وعلى اطرافها في بيروت ومن هذه الاسئلة لماذا هوجم الفلسطينيون بطريقة تعيد الى الذاكرة ما تعرضت له هذه المخيمات نفسها من مذابح سنة ١٩٨٢ على ايدي الكتائب اليمينية اللبنانية على مرأى من المحتلين الاسرائيليين وتحت حمايتهم ؟ ولماذا شنت الهجومات هذه المرة ، نفس المنظمات اللبنانية التي كانت قد انشأتها ومولتها منظمة التحرير الفلسطينية في السبعينات ؟ ولماذا سمحت سوريا وهي القوة المسيطرة في لبنان اليوم ان تقوم اهل بمحاصرة الفلسطينيين ، تماما كما سمحت اسرائيل التي كانت القوة المسيطرة في لبنان سنة ١٩٨٢ . لحدوث مذبحتي صبرا وشاتيلا على ايدي الكتائب ؟ ولماذا وجدت دولتنا الشرق الاوسط " العظميان " نفسيهما تدعمان الوكلاء العرب ضد الحركة الوطنية الفلسطينية وهما اللتان يفترض انهما في صراع دائم حول فلسطين ؟ .

لهجمات جمعج اضافة الى ظاهرة جمعج نفسها
يعتبران بمثابة تهديد للفهم السوري لمسألة
الاستقرار اللبناني .

ولقد تميز البعد اللبناني للسياسة الامنية
السورية بالثبات خلال العقد الماضي . ولن
تتحمل سوريا تقلبات مستمرة في الخارطة
اللبنانية ، سواء اكان ذلك من اليسار ام من
اليمن اللبنانية بالتحالف مع قوى خارجية .
ذلك كان السبب في تحرك سوريا ضد الحركة
الوطنية اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية
سنة ١٩٧٦ من اجل تحجيمها وخلال ذلك
قامت بذبح الفلسطينيين في مخيم تل الزعتر
وفيما يشبه ذلك لعبت سوريا دورا مهما في
احباط خطة بيجن - شارون - بشير الجميل
لخلق دولة موالية في لبنان تحت سيطرة
المارونيين وهوحلم صهيوني قديم . في كلتا
الحالتين جرت التحركات السورية بلا اكرات
للمباديء . وبتوافق تام مع سياسة امنية
محسوبة لاحباط اى تغيير في الواقع اللبناني
قد يشكل خطراً على امن سوريا . سواء اكان
مصدر عدم الاستقرار منظمة التحرير
الفلسطينية او الميليشيات الوطنية اللبنانية او
اسرائيل وعملاؤها . فقد اغتيل بشير قبيل
تبوئه الرئاسة التي كان يفترض ان يحميها
الغزو . واقنع خلفه ان يوافق على التخلي
نهائياً عن اتفاقية شولتز التي كانت ستضع لبنان
في فلك اسرائيل . ثم استبدل بيجن وشارون بكل
من شامير وارنس الذين كان عليهما الاقرار
بمحدودية القوى الاسرائيلية . واخيرا قام ريغن
بتوجيه اوامره باعادة توزيع قوات
البحرية الاميركية في محاولة لتقليص خائره
وتحسين فرصه الانتخابية . وهكذا بدا بان
المقاومة اللبنانية الفلسطينية - السورية للسلام
على الطريقة الاميركية - الاسرائيلية تحقق
نجاحا جيدا .

تقسم و كانتونات الى وضع دائم . وقد اختار
هذا الطريق جيل من الشباب الماروني يعتبر
ان وحدة قومية قائمة على تقديم تنازلات
جوهريه مارونية لمصلحة الطائفتين الشيعية
والدرزية تحت رعاية سوريا هو ضرب من
الحرمان .

ولقد ساهم الغزو الاسرائيلي سنة ١٩٨٢
الذي فشل في محاولاته ، تأمين سيطرة
لمسيحيين المارونيين في نمو تأثير الطائفتين
الشيعية والدرزية ، ولذا فان الجهود الجارية
لاصلاح صيغة ١٩٤٣ التي كانت قد استندت
الى سيطرة مارونية ومشاركة سنية اصغر تأخذ
بين الاعتبار ، تصاعد قوة الشيعة السكانية
والسياسية وقوة الدروز العسكرية ، وسوريا هي القوة
الخارجية الرئيسية المسؤولة عن استعادة
وحدة لبنان . لقد ادى عجز اسرائيل في فرض
نظام سياسي جديد في لبنان وفشل ادارة
ريغان في مهر مثل ذلك النظام بتوقيعها من
خلال اتفاقية شولتز وجنود البحرية الاميركية
الى الزج بسوريا في دور الوسيط في لبنان مما
يجعل الشيعة والدروز الى جانب الخط
الماروني الرئيسي خلفاء لسوريا ويبدأ واحدة في
السي وراء تحقيق شرعية جديدة تقطع دابر
الفوضى الطاغية .

ومن وجهة النظر السورية فان الفوضى في
الجانب المسيحي تسببت بفعل المجموعة التي
افترزت العناصر المتشددة والتي عرفت باسم
القوات اللبنانية التي انتفضت ضد الرئيس
امين الجميل في العشرين من آذار بامرة سمير
جمعج . فعندما اشتبك رجال جمعج مع
الميليشيات الاسلامية واللاجئين الفلسطينيين
على مشارف صيدا وقف الجيش عاجزا ، وعم
جو من الفوضى ، ومن وجهة النظر السورية
ايضا فان اعادة تسليح الفلسطينيين في
مخيمي عين الحلوة " والميةمية " للتصدي

القوة لتحقيق ذلك . ان تمكين الكتائب وامل من السيطرة والقوة بما ينسجم وتقسيم المهمات في القطاعين المسيحي والمسلم سيتواصل بهذه الطريقة بلا شفقة سعي وراء الاستقرار الجديد ولا حاجة للقول انه لا مكان للعواطف في هذه الاستراتيجية .

ولا بد من التذكير انه كان قد جرى اتباع هذا الاسلوب بنجاح من قبل بشير الجميل عندما اخضع ميليشيات الليبراليين والنمو سنة ١٩٨٠ بثمان باهظ من الارواح . وبعد خمس سنوات كان لا بد من اخضاع تمرد ججع زد امين الجميل لكونه شكل تحديا غير مقبول لاولوية الكتائب في القطاع المسيحي ، وبالتالي . للخطة السورية في لبنان .

ولهذا فقد قام الرئيس السوري ، خوفا من ان يفقد سيطرته على لبنان ، بتحريك لاهوادة فيه منذ آذار الماضي لاعادة سيطرته على الموقف . ولقد تم ابلاغ المارونيين بصورة لا تقبل التأويل بأن عليهم تنظيم امور بيتهم او ان عليهم ان يتحملوا النتائج . ولم يكن مهما استبدال ججع الموالي لاسرائيل بإيلي حبيقة الذي انصاعت قواته لشارون وأقنعت مخيمي صرا وشاتيلا في ايلول ١٩٨٢ . فقد قام حبيقة " بغسل عاره " بأن اعلن اعترافه العلني بعروية لبنان وعلاقته الخاصة بسوريا حتى انه قام ايضا بغلق " سفارته " في اسرائيل .

ومن جهة اخرى فقد وازبت ميليشيات " المرابطون " في تحديدها لسيطرة حركة امل الشيعية في منطقة " غربي بيروت التي كانت فيما مضى قلعة سنية . وقد تحركت امل والحزب التقدمي الاشتراكي الدرزي ضد " المرابطون " وثبتت سيطرتها الكاملة على غربي بيروت الامر الذي عزز هجوم سوريا ضد كل القوى المعارضة في لبنان . ولقد كان واضحا ان اكثر

الا ان ذلك النجاح له حدوده الخاصة به ، اذ انه كما تبين لم ينبثق من خطة جيدة التنسيق مستندة الى تحالف متماسك لشركاء معادين للامبريالية ومنسجمين عقائديا . بدل ذلك ، فان كل شريك كان مهتما بالولياته الخاصة . هذا هو سبب التنافر الظاهر في الموقف السوري التقدمي فيما يتعلق بالمنطقة والعالم وباسرائيل والولايات المتحدة والانظمة المحافظة العربية ، والرجعي في علاقاته بالموقف اللبناني المحلي حيث تنخرط سوريا هناك ، بغض النظر عن العقيدة الايديولوجية في لعبة القوة التي تستهدف تأمين وضعها كوسيط وكفيل للاستقرار اللبناني . وبكونها وصية على الوضع اللبناني الراهن ، تحاول سوريا من خلال واحد او مجموعة من وكلائها في لبنان ان تبقي على الميزان المهتز . ولذا فانها اعتبرت تمرد (ججع) ضد " (الشرعية اللبنانية وتمرّد ميليشيات " المرابطون " السند ضد الاولوية الشيعية في غربي بيروت ، وكذلك التحركات الاخيرة للفلسطينيين الموالين لعرفات لاستئناف دفاعهم العسكري عن المخيمات الفلسطينية كأمور تحريضية ومخلّة بذلك التوازن .

ان فشل سوريا في ايجاد صيغة لاستعادة التعايش والوحدة الوطنية اللبنانية هو تحديدا الذي قاد الى اتباع الطريقة المختصرة الحالية التي يتم بموجبها البحث عن اعادة اللحمة الوطنية عبر تنمية سيطرة قوتين محليتين على امتداد الخطوط الطائفية ، حيث سيعهد الى الكتائب بدور رئيس الشرطة لدى الطائفة المسيحية بينما سيكون لحركة امل مهمة مماثلة في القطاع المسلم . وهناك شرط جوهري لا بد ان يتوفر لضمان نجاح تلك المحاولة الا وهو رغبة وقدرة كلا الطرفين المحليين في تذليل كل التحديات في سبيل احلال الاستقرار السياسي في مجالهما حتى لو دعت الحاجة الى استخدام



عرفات ، بل بالعكس فقد وافقت على تعليق خلافاتها السياسية وان تقوم بالدفاع عن المخيمات جنبا الى جنب في خندق واحد . ومفاجأة اخرى كانت بانتظار حركة امل الا وهي الموقف المحايد للدروز الذين كانوا قد شاركوا في الهجوم ضد " المرابطون " قبيل حصار المخيمات وبالحقيقة فان المدفعية الفلسطينية دكت مواقع امل في الضواحي الشيعية من جنوب بيروت من الحصون الجبلية الدرزية نفسها . هل يمكن ان يعزى عدم تعاون الدروز هنا مع حليفهم حركة امل الى قلقهم على مستقبلهم نفسه في ظل لبنان جديد ذي استقطاب ثنائي ؟ ربما ، ففي وقت كهذا لا يمكن تجنب مراجعة ما جرى لشمعون مع بشير الجميل . وبلا شك فان من حق الدروز ان تساورهم مخاوف ان يكونوا هم على القائمة بعد المرابطين والفلسطينيين .

قد يبدو غريبا ان تقوم امل بدور الشرطي في القطاع المسلم وهي الحركة المكونة من شعبة مضطهدين ومستغلين في ادنى السلم الاجتماعي اللبناني وقد يبدو تخريبا ان تقوم باقتراح مذبحة ضد الفلسطينيين المقتلعين من وطنهم مشابهة لتلك المذبحة التي اقترفها الجناح اليميني للقطاع الثري في النظام الطائفي . ان نظرة موجزة الى تاريخ امل يكشف ان ممارسة امل للنضال العسكى ضد الاوليفاركية اولا ثم ضد المحتلين الاسرائيليين اخفى وراءه ايدولوجية محافظة ونظاما من القيم التقليدية . فبينما بدت ملامح امل ثورية فان جوهر الحركة كان بالاساس محافظا . كذلك فانه بخلاف العناصر المكونة للحركة الوطنية اللبنانية القديمة او تلك المكونة للجمعية الديمقراطية الوطنية الجديدة فان امل تتمسك بالسياسة الطائفية اللبنانية . ولا تدعو الى اعادة بناء النظام الاقتصادي والاجتماعي بشكل جديد . وهو المبني على الامتيازات ، ان امل تريد دورا لها

القوى تحديا في نظر سوريا ووكيلتها امل هي منظمة التحرير الفلسطينية - القيادة الرسمية ولقد ارتوت ان احتمال نمو القوة الفلسطينية تحت امره ياسر عرفات ، اشد اعداء سوريا ، اكثر خطرا على سوريا ووكلائها اللبنانيين من جميع " المرابطون " . هذا هو سبب مذبحة صراواتيلا الثانية في النصف الثاني من ايار ولقد تم تنفيذ هذه المهمة في ظروف كانت سوريا فيها هي القوة الخارجية المؤهلة عن " امن " لبنان وليس اسرائيل

بينما كان الوكيل المحلي الذي يبحث عن تأكيد لذاته هو ميليشيا امل الشيعية . ويجدر بالملاحظة هنا انه بينما اختلفت هوية الممثلين فان المنطق العسكى والسياسي لكلا المذبحتين متشابه الى حد كبير . فكلتاها نفذتا من اجل السيطرة الطائفية والانسجام مع النظرية الامنية للقوة الخارجية . ولا بد من الملاحظة ان هناك استثناء مهما ، اذ انه بخلاف اسرائيل التي سعت الى انشاء دولة مسيحية في لبنان فان سوريا لا تبدى اية ميول نحو اقامة دولة اسلامية . اذا ان سوريا مهتمة اكثر من ذلك في احتواء القوى المتطرفة وفي وضع حد لتعدد القوى انها تفضل انجاز مهمة الشرطي من خلال رئيسيين محليين للشرطة كل في ميدانه الخاص به اذ انه من الصعب المحافظة على لبنان متعدد المحاور اضافة الى ان ذلك يشكل خطرا على الامن السوري .

ولذا كان لا بد من اخضاع جميع " المرابطون " والفلسطينيين باسم الوحدة الوطنية اللبنانية التي لا وجود لها وبما يتلاءم والمخططات السورية . الا انه يبدو من خلال معركة المخيمات وهو الاسم الذي يعرف به حصار سنة ١٩٨٥ ، ان دمشق وامل اخطأتا الحساب . فبخلاف ما حدث اثناء معارك طرابلس سنة ١٩٨٣ رفضت القوات الفلسطينية الموالية لسوريا ان تكون جزءا من الحملة ضد

في السياسة الطائفية اللبنانية يتناسب مع تأثير الشيعة الديموغرافي .

يضاف الى ذلك ان ردود فعل امل على الغزو الاسرائيلي كان مختلطا فبينما عارضته بعض فروع الحركة فان بعضها الاخر رحب به . وفيما بعد امتنعت امل عن المشاركة في التحالفات المختلفة للقوى الوطنية اللبنانية التي انتظمت لتواجه السيطرة الكتائبية التي وسعها اسرائيل . ان مشاركة امل لجبهة المقاومة الوطنية اللبنانية ضد الاحتلال جاءت متأخرة الى حد ما وذلك بعد ان كان زخم المقاومة قد اشتد .

لقد نظرت سوريا في اوائل سنوات السبعين الى حركة امل على انها تمثل قوة مقابلة للمد اليساري اللبناني ، وقد وقعت امل الى جانب التدخل السوري في لبنان سنة ١٩٧٦ ذلك التدخل الذي نال بركة واشنطن وتأييد المحافظين العرب وقبول اسرائيل . ولقد تم التعبير عن هذه المصلحة المشتركة ما بين سوريا وامل بضربة جديدة للعدو المشترك منظمة التحرير . تقوم خلالها امل بتصفية حسابات قديمة ضد قادة م.ت.ف. غير المنضبطين قبيل عام ١٩٨٢ . وبالمثل فان مصالح امل ومضطهدها السابق " الكتائب " التقت في اواخر ايار واولل حزيران ، على سق اي مظهر فلسطيني لاثبات الوجود . ان الدلائل المتوفرة تظهر ان اللواء الثامن اللبناني والذي كان مواليا للكتائب قد قدم المساعدة لحركة امل ضد الفلسطينيين وقالت تقارير قيادة الجيش التي يسيطر عليها المسيحيون في شرقي بيروت قد زودت اللواء السادس الذي يسيطر عليه الشيعة بكميات كبيرة من الذخيرة . اضافة الى ان مستشفيات شرقي بيروت قد وضعت في خدمة الجنود الجرحى من اللواء السادس وسيكشف المستقبل فيما اذا كان التقاء المصالح هذا بين امل والكتائب ظاهرة مؤقتة اما انها ضرورات

السياسة المحلية و " السلام السوري " واذكتها المعارضة المشتركة لعودة التأثير الفلسطيني في لبنان ام غير ذلك . الا انه ليس مستغربا ان نتصور على المدى الطويل توتينا مارونيا شيعيا مشتركا يجمعهما ضد السلام السوري " ، ولا حاجة للقول ان دعم اسرائيل لخطوة كهذه هو امر مفروغ منه . كما انه ليس من المستغرب ان نتوقع موقفا تقوم فيه امل بالحلول محل مرتزقة انطوان لحد المعروفة بجيش جنوب لبنان لتصبح هي شرطي الحدود الجنوبية . وابتاع التحليل السابق فان مثل هذا الدور يمكن ان ينال مباركة وقبول سوريا والكتائب واسرائيل . فبالنسبة لسوريا والكتائب سيعني ذلك ازالة قوة خارجة عن القطاع المسيحي ومنخرطة في نشاطات خيانية وبالنسبة لاسرائيل فان امل هي شرطي اكثر كفاءة من الناحية السياسية والطائفية من جيش جنوب لبنان .

ان احداهداف الغزو الاسرائيلي قبل ثلاث سنوات يبدو لنا الان ونحن في اواسط سنة ١٩٨٥ وقد تحقق ان اجتمعت القوى العربية على تجريد قوة ثورية ذات طاقات كامنة في سلاحها . وقد كانت في سنة ١٩٦٨ تشكل تهديدا للانظمة السياسية العربية مماثلا لتهديدها للمخططات الصهيونية وللسيطرة الاميركية على الشرق الاوسط . ولليوم اذ يحاول " الخيار " الاردني عبثا تحويل هذه القوة الى عامل دبلوماسي مؤهل ويقسم انها ترفض " الارهاب " ، فان سوريا ووكلاءها يعملون على ان تكون البنادق الفلسطينية مجرد ادوات لمهمات محددة فقط غير مناسبة للدفاع عن المصالح الفلسطينية . ان هذا الامر المحزن بالنسبة للقومية العربية العلمية والتقدمية ، ليس الا انعكاسا للمشاكل العميقة المتجذرة في الحركة القومية العربية التي يبدو انها اكثر مجاملة للسياسات الطائفية وللمصالح الضيقة .



دور المنظمات الجماهيرية في التنمية الريفية للمناطق المحتلة



بقلم : اسماعيل دعيق

مفهوم التنمية :

هناك من ينظر الى مفهوم التنمية (Development) بصورة مادية مطلقة ، بمعنى ان التنمية تعني رفع مستوى المعيشة والزيادة في الانتاج الا ان هذه النظرة الضيقة تخلق صعوبة في تحديد مفهوم التنمية . لذلك هناك من يخلط بين التنمية وعمرها من المصطلحات مثل :- التقدم (Progress) والنمو (Growth) والتطور (Evolution) والتحديث (Modernization) .

الا ان خبراء التنمية اتفقوا على انها " تناول معين لوظيفة جوهرية في المجتمع البشرى منذ كان ، تلك هي وظيفة حماية المجتمع وضمان استمرارية وتطورة المادى والاجتماعي ، .. وبطبيعة الحال فان غرض التنمية الذى يتبناه اى مجتمع سوف يتأثر تأثراً مباشراً بالفلسفات الايديولوجية والاقتصادية التى يعشقها هذا المجتمع ، وبالتالي ظهرت عدة انماط من التنمية ، تتراوح في درجة توجهها من التنمية الحرة التى تكون المباداة فيها فردية معتمدة على اقتصاديات السوق حتى تصل الى التنمية الموجهة توجيهها كاملاً حين يقوم الاقتصاد على التخطيط المركزى ، وبين هذين النمطين سارت بعض الدول النامية اخذة عنهما دون الارتباط الكامل باى منهما .. ويتفق هذا التعريف الى حد كبير مع التعريف الذى قدمه الدكتور محمد الرعبي حيث يقول " ان التنمية تعنى بصورة جوهرية تفتح كل الطاقات المادية والروحية الكامنة في المجتمع ، ومن ثم توحيد هذه الطاقات وصحبها في سبيل تحرير الفرد والمجتمع من سيطرة القوى الطبيعية والاجتماعية ، اى بما يودى الى تبديل الحالة الاجتماعية الراهنة المنسمة بالتخلف او الاستغلال ، اوبهما معا الى حالة

قدم هذا البحث الى الندوة العلمية التي نظمتها جامعة بيرزيت في الفترة من ١٦ - ١٨ آب ١٩٨٥ بعنوان استراتيجيات التنمية الريفية في الضفة الغربية وقطاع غزة وشارك فيها عدد من المهتمين بقضايا التنمية في المناطق الفلسطينية المحتلة .

تتم بالاخوة والعدل والمساواة، وبالتالي الخلو من الفقر والجهل والمرض .

من هذا التعريف نكتشف ان عناصر التنمية تشتمل على الارض والانسان والمجتمع، وكذلك نكتشف ان الانسان هو الهدف وهو الوسيلة لاي عملية تنمية، وعلى هذا الاساس، فان تنمية الانسان تكتسب اهمية خاصة في اى خطة تنمية، اجتماعية كانت ام اقتصادية، وتنمية الانسان تتطلب تربيته واكسابه الخبرة والسلوك والاتجاهات اللازمة لتحقيق التنمية المطلوبة .

نتخلص من كل ما تقدم، ان كل عملية تنمية تقصد الوصول الى هدف، وكذلك يجب ان تتوفر لها الظروف المناسبة، بالإضافة الى الادوات التي تنفذ بها، ان الظروف الموضوعية للريف الفلسطيني تحت الاحتلال الاسرائيلي - تؤكد ضرورة اخذ بنظام اجتماعي قادر على ان يحل مشكلة الانتاج والتوزيع، دون ان يتأثر بالسلطة وانظمتها .

لان المقصود من العملية التنموية للانسان الفلسطيني في الريف هو تحقيق صمود هذا الانسان فوق تراب وطنه مرحليا من اجل الوصول الى الهدف الاسمي وهو الاستقلال. اما الهدف الاقتصادي للعملية التنموية فهو الارتقاء في مستوى الانتاج الى درجة تحقيق الاكتفاء الذاتي على المدى البعيد، ولذلك فان جميع العمليات الحالية ستؤدي الى الهدف النهائي .

ان تطبيق البرامج التنموية في مجتمعنا الفلسطيني يحتم قبولها من الجماعات الموجودة فيه، لذا فان المبادرة في تطبيق برامج التنمية في ظروفنا يجب ان تنبع مع القواعد الشعبية، وان هذه القواعد الشعبية تخلق قيادات والتي يكون لها في الغالب قوة التأثير على الافراد. من هنا نستطيع القول ان المنظمات الجماهيرية العاملة في الريف هي طليعة في الاتجاهات والقيم والمبادئ والاهداف لهذا القطاع من الشعب، كما ان بيدها قوة تنفيذ البرامج التنموية واحداث التغييرات المطلوبة، فتأثيرها على الافراد هو الاقوى لانه تأثير شخصي ومباشر. ومن الضروري اعداد الخطط لتدريب هذه المنظمات بالاضافة الى الجمعيات التعاونية والخيرية والاندية والتي لا بد ان تحل مكانها في عملية التنمية الريفية .

وقبل البدء في دراسة التنمية لريفنا الفلسطيني يجب معرفة الظروف المحيطة به .
ولكي نكون التنمية الريفية لمجتمعنا شاملة ومحققه لاهدافها حسب اجمع معظم الباحثين والدراسين على ان هذه العملية يجب ان تضمن ما يلي :-

اولا : تحسين الظروف المعيشية للريف :

- (1) التعليم وذلك برقع عدد المدارس والنهوض بوسائل التعليم وجعلها منسجمة مع الواقع ومحو الامية ونشر المدارس الزراعية ورفع المستوى التعليمي للمرأة الفلسطينية .
- (2) الصحة - وذلك بتقديم الخدمات الصحية ورفع المستوى الثقافي والصحي والكشف عن مكامن الاوبئة والامراض السارية
- (3) توفير الخدمات الكهربائية ومياه الشرب والطرق العادية والزراعية .

ثانيا : نشر الاجهزة الاجتماعية في الريف :

وتضم هذه الاجهزة مهندسين وزراعيين واطباء، ومرشدين اجتماعيين وعلى هذه الاجهزة تقديم خدماتها كل حسب اختصاصه .

ثالثا : ايجاد علاقة جديدة بين الملاكين والفلاحين :

حيث لا يمكن توزيع الاراضي توزيعا عادلا ضمن الظروف الحالية التي نعيشها والمتمثلة بالاحتلال، وضمن النظم الاجتماعية السائدة في مجتمعنا الا انه يمكن تحسين ظروف هذه العلاقة لمالك الفلاحين .

رابعا : استحداث المشاريع النموذجية :

كالمزارع الفنية النموذجية، ومحطات تجارب زراعية، ومشاريع انتاج حيوانية، وايحاد تارنيات زراعية اختصاصيه ونشر الصناعات الزراعية .

خامسا : الاهتمام بزيادة الانتاج الزراعي :

كالمشاريع الزراعية الكبيرة، وتقليل مصاريف الانتاج، وضمان التسويق، وايجاد المراكز العلمية وتوفير الآلات الزراعية وتقديم البذور والادوية والاسمدة . واستخدام الطرق العلمية الحديثة في الزراعة، وتقديم الإرشاد الزراعي والتوسع بالزراعة عموديا وافقيا .

سادسا : حل المشاكل الاجتماعية في القرية :-

الاهتمام بمشاكل الانسان الزراعي الاجتماعية وحلها، تشكيل اللجان الجماهيرية المختلفة، نشر الوعي لحل المشاكل الاجتماعية المتمثلة بالعنصرية والقبلية، وتبذ الوجهة التقليدية عبر للتظمة والتي تعمل لمصالحها الخاصة .

الاضاع السائدة في الريف الفلسطيني :

يعيش ٧٠ ٪ من سكان الضفة الغربية في المناطق الريفية موزعين في قرى يبلغ عددها ٤٥٠ قرية، وغالبية تلك القرى تتركز في نفس المقومات والمشاكل الاقتصادية للمناطق المحتلة ويمكن تعدادها على النحو التالي :-

- (١) الظروف المعيشية الصعبة والمتمثلة بنقص الخدمات حيث ان هناك ٣١٢ قرية دون كهرباء، و ٣٢١ قرية دون شبكات مياه و ١١٥ دون طرق، اي ان الركائز الاساسية في عملية التطور الاقتصادي لا تكاد تكون موجودة بالإضافة الى نقص الخدمات الصحية والتعليمية .
 - (٢) الظروف الاقتصادية الصعبة والتي تعيشها القرية العربية والمرتبطة بظروف الزراعة ودخلها، حين يعتمد على الدخل الزراعي ٤٦ ٪ من عدد السكان ويشكل الانتاج الزراعي ٣٧ ٪ من الدخل القومي و ٢٧ ٪ من القوى العاملة — بالإضافة الى منافسة البضائع الاسرائيلية الزراعية المدعومة مع العربية المتخلفة ذات النمط التقليدي، وتبعية الزراعة العربية للانتاج الاسرائيلي للاجهزة الزراعية مرتفعة الثمن، والتي تصل في بعض الحالات الى ٣٠ ٪ من قيمة الانتاج. هذا بالإضافة الى عقبات التصدير التي تضعها الحكومة الاردنية امام تصدير منتجات الضفة والقطاع.
 - (٣) التوعية الاجتماعية : — والمتمثلة بالمشاكل الاجتماعية العشائرية داخل القرية وكذلك نقص الوعي الزراعي للتطور العلمي ومواجهة المشاكل الاجتماعية التي تواجه الزراعة العربية بروح جماعية وبالاخص مشاركة الشباب في العمل الزراعي حيث يمثل ما فوق سن (٥٥) ٥٠ ٪ من العاملين في القطاع الزراعي وجيل ما بين ٢٥ — ٤٠ سنة ٢٥ ٪ . وتحول هؤلاء العاملين الى عمال ماجورين عند الاسرائيليين .
 - (٤) السياسة العنصرية الاسرائيلية والمعتمدة على طرق عنصرية وتعسفية عديدة تصل في نهايتها الى استعمال القوة من اجل الحد من اتساع الزراعة العربية ومصادرة مقومات الزراعة وهي الارض والماء — فست من اجل ذلك عشرات القوانين : بذلك اصبحت تسيطر على ٦٠ ٪ من مصادر المياه و ٤٤ ٪ من لوازي الضفة الغربية . اما المنتجات المتوفرة فقد تأثرت بالتغيرات المباشرة التي فرضتها السلطات الاسرائيلية على التركيبة الهيكلية للقطاع الزراعي حيث اصبحت المنتجات الزراعية لبعض المناطق تسير نحو تلبية احتياجات القطاع الزراعي الصناعي الاسرائيلي، حيث عكست هذه العمليات نفسها على الحد من عملية التنمية وذلك كنتيجة طبيعية لارتباط الزراعة المحلية لتلبية احتياجات الاقتصاد الاسرائيلي قبل احتياجات المستهلك المحلي في الضفة والقطاع.
 - (٥) عدم وجود التنسيق من اجل ترشيد النمط الزراعي بين المنظمات الجماهيرية والمؤسسات غير الحكومية وارتباط بعض الجمعيات بقوانين الاحتلال وبذلك تنفيذ خطته الرامية الى سلب الارض والمياه .
 - (٦) سوء استعمال الدعم الخارجي واستثماره في اطره غير الصحيحة، واقتصاره على دعم المشاريع الوهمية وللملاكين دون الفلاحين الا ما ندر منه .
 - (٧) الخاصية الايجابية في الفترة الاخيرة وهو ظهور المنظمات الجماهيرية كاستجابة للواقع الفلسطيني واخذها لدورها في التنمية الريفية وخاصة لجنة الاغاثة الزراعية الفلسطينية في عملية التنمية الزراعية، ويلاحظ كذلك عودة العمال الزراعيين الى مواقعهم وذلك نتيجة طردهم من المصانع الاسرائيلية ، وعودة عشرة آلاف، خريج عاطلين عن العمل في اختصاصهم، مما حدا بقسم كبير منهم الى الانخراط في العمل الزراعي في مواقعهم .
- ان الريف في فلسطين المحتلة كبافي الارياف في دول العالم الثالث يعاني من التخلف في

جميع النواحي ، بل يعاني كذلك من الاوضاع السياسية والمتمثلة بالاحتلال الاسرائيلي وهو السبب في حرمان الريف الفلسطيني من برامج التنمية لانها تتعارض مع جوهر الاحتلال نفسه .

ان ما ورد ذكره من تعريف للتنمية الريفيه من خلال اخذ واقع المناطق المحتلة وايجاد الاتجاهات الاساسية الكفيلة بنجاحها وتطويرها يوجب علينا ان نتعرف على النظم والجهات المؤثر في هذه العملية وهي :-

(١) المؤسسات الحكومية (صحة ، زراعة ، تعليم ، اشغال عامة) .

(٢) مؤسسات غير حكومية (جمعيات محلية وخارجية واجنبية) والجامعات .

(٣) مؤسسات جماهيرية (تطوعية ، زراعية ، طبية ، نسائية) .

ان مشكلة الانسان الفلسطيني الذي اتخذ قرارة في البقاء فوق ارضه لهو في قدرته على ابتداء انماط اجتماعية قادرة على مواجهة ظروفه المتغيرة لتعبيء من طاقاته الكامنة والفاعلة بهدف استغلال موارده واستمرار بقائه بشرف وكرامة فوق ارضه . ان تميز الانسان الفلسطيني بظروفه الفريدة يجعل سببه وصراعه من اجل البقاء خطا له خصائصه التي لا تباريها الانظمة الاجتماعية الوسيعة - فنجاحه في مراعه وصموده يتوقف الى حد بعيد على قدرته الذاتية من تنظيم جهوده - ضمن معطيات واقعه لاستغلال قدراته وموارده خير استغلال وباقل التبعات .

لقد كان من الطبيعي استحداث النظم الاجتماعية والمتمثلة بالمنظمات الجماهيرية المختصة كل في مجالها لتلعب الدور الذي كان يجب ان تلعبه مؤسسات واجهزة الدولة والتي اصبحت في ظروف الاحتلال خادما ومنفذا لخطته العنصرية والاستعمارية للقضاء على الشعب الفلسطيني .

ان نجاح اي عملية تنمية ريفية او زراعية مرتبطة بمشاركة هذه الاطر الطلائعية في وضع الخطط وتنفيذ العملية بكاملها . انني في هذه الدراسة سوف احاول قدر الامكان ابراز الدور الذي تلعبه هذه المنظمات وما تلعبه في المستقبل كل حسب اختصاصها ومجتمه في العملية التنموية وليتسنى للجميع فهم التنمية الريفيه ضمن معطيات واقعا الفلسطيني .

لمحة عن اكثر المنظمات الجماهيرية نشاطا التي تساهم في التنمية الريفيه للمناطق المحتلة : *

اولا : لجنة الاغاثة الزراعية الفلسطينية :

سوف تحظى هذه اللجنة بجانب كبير من دراستنا وذلك لتعاظم دورها في الريف . وهي اتحاد طوعي يهدف الى تعزيز مساهمة المختصين والباحثين والمهندسين الزراعيين بمشاركة الفلاحين والعاملين في القطاع الزراعي لرفع مستوى الزراعة والمحافظة على الارض .

اهداف اللجنة :-

(١) الدفاع عن مصالح الفلاحين .

* المعلومات الواردة هنا ، بناء على معلومات مشتقة من المنظمات الجماهيرية مباشرة .

- ٢) القيام بزيارات ميدانية للمزارع وتقديم الارشادات اللازمة .
 - ٣) اجراء تجارب وابحاث علمية ونشر نتائجها على الفلاحين .
 - ٤) عقد ندوات زراعية ،
 - ٥) توعية الفلاحين لاي خطر يهدد مصالحهم سواء اكان ذلك قرارات او قوانين .
 - ٦) تبادل المعلومات بين المهندسين في اللجنة والاستفادة من خبرة ومعلومات المزارعين الناجحين
 - ٧) مساعدة المزارعين في اعمالهم الزراعية بالتنسيق مع لجان العمل التطوعي .
 - ٨) اصدار النشرات الزراعية .
 - ٩) التعاون المشترك مع الجمعيات التعاونية والمؤسسات الشعبية والوطنية لما فيه خدمة فلاحينا .
 - ١٠) مساعدة المزارعين وارشادهم في حالة خسارتهم او اصابتهم بأي 'مكروه' .
 - ١١) ايجاد فرص عمل للمهندسين والعاملين العاطلين عن العمل .
 - ١٢) القيام بعمل معارض زراعية والمشاركة بالندوات والمهرجانات الزراعية .
- لقد نشأت لجنة الاغاثة الزراعية الفلسطينية في اواخر عام ١٩٨٣م وذلك لفكرة بعض المهندسين الزراعيين الواضحين امام اعينهم خدمة شعبهم وخاصة فلاحهم ضمن ظروف الاحتلال الصعبة والحملة الاستيطانية الشرسة .
- وقد بدأت اللجنة اعمالها في الاغوار وتوسعت لتشمل الان مناطق بيت لحم رام الله والخليل وانخرط في صفوف اللجنة ما يقارب الخمسين من المهندسين من حملة الدكتوراة والماجستير والباكالوريوس بالإضافة الى مئات الفلاحين ذوي الخبرة الميدانية في حقل الزراعة .
- وقد حققت اللجنة كثيراً من الانجازات خلال فترة حياتها والتي لا تتعدى السنتان :-
- ١) ففي مجال الارشاد الزراعي - قامت اللجنة بـ ٧٥٠ زيارة ميدانية لمناطق مختلفة من الضفة والقطاع حيث زارت ١٥٠ قرية وموقع زراعي - واستمعت الى مشاكل الفلاحين وارشدتهم الى سبل حلها . وقامت اللجنة باصدار نشرتين زراعتين ، الاولى عن امراض الزيتون وعلاجها ووزعت بعشرة آلاف نسخة في الضفة الغربية . والثانية ، بالفي نسخة عن امراض الحمضيات وسبل علاجها .
 - ٢) اما في مجال الدراسات - فقد تمت كتابة ونشر بحث عن مشاكل الزراعة في منطقة الاغوار وبحث عن الجفنكل وهدم البيوت وبحث عن العوجا والمياه والمصادرات وبحث بعنوان مخاطر حقيقية تهدد اشجار الحمضيات وبحث كمدخل لفهم واقع المرأة الريفيية في الاغوار .
 - ٣) في مجال الابحاث العلمية تم عمل تجربة عن مدى تأثير العلاجات المختلفة على حشرتي البق الدقيقي الاسترالي والبق القطبي . حيث تم تحديد انجع العلاجات الكيماوية للقضاء على هذه الحشرات ، وبحث تحليل تربة الاغوار - وذلك كسمش شامل للمنطقة من البحر الميت وحتى سهل بيسان حيث تم جمع اكثر من ٣٠٠٠ عينة وتحليلها حالياً في مختبرات جامعة بيرزيت من اجل معرفة مشاكل البرية والعناصر الاساسية فيها وطرق استصلاحها .
- كما ويجري حالياً بحث بالتعاون مع بيرزيت عن تأثير المواد الكيماوية على جسم الانسان وكذلك زراعة تجربة على البندورة باستعمال الشاش بدل المواد الكيماوية للحيلولة دون اصابة البندورة بفيروس تجعد الاوراق .
- ٤) في مجال مقاومة الاوبئة الخطيرة والطارئة حيث تم تنفيذ حملة رش لمعالجة حشرتي

الحضيات الخطيرتين لمدة عام حيث تم رش ٢٠ في المائة من بيارات اريحا والعوجا والديوك وتشجيع الاشراف على رش ٧٠ في المائة من البيارات في المنطقة .

كذلك تم تنفيذ حملة رش ضد سوسة الاغصان التي اصاب الزيتون في كفر نعمة ، حيث تم رش ٣٥٠٠ شجرة زيتون كانت مهددة بالتلف .

(٥) في مجال التوعية الزراعية يجري الحديث في كل زيارة ومناسبة مع الفلاحين من اجل اقناعهم بالطرق العلمية الحديثة في الزراعة والتنبيه لخطر سوء استعمال المواد الكيماوية السامة على جسم الانسان ، وادخال محاصيل جديدة في زراعتهم وسبل حل مشاكلهم .

(٦) الاتصال مع الجمعيات ، ايمانا من اللجنة باهمية التنسيق مع الجمعيات العربية والاجنبية للعمل المشترك وخدمة الفلاح جرت عدة اتصالات تعاون مع الجمعيات مثل - المانونايت ، واكفام بالتعاون ونوفب ومؤسسة التنمية الاجتماعية وجمعية الملتقى الفكرى العربى ، وقد حققت الكثير من

الانجازات بالتعاون مع هذه الجمعيات .

(٧) التعاون مع الجامعات هناك اتصالات جيدة مع جامعة بيرزيت في بحث تحليل التربة والسماح للجنة باستعمال المختبرات وفي بحث تحليل المواد الكيماوية على جسم الانسان وفي بحث معالجة تلوث مياه الشرب في الاغوار وتجري اتصالات حاليا مع جامعة النجاح وبيت لحم من اجل العمل المشترك ، كما وتجري اتصالات مع جامعة النجاح وبيرزيت من اجل انشاء مختبر زراعي ومحطة تجارب زراعية .

(٨) في مجال التضامن مع الفلاحين وأول هذه الاعمال كان التضامن مع مزارعي الجفتلك عند هدم بيوتهم والاتصال بالجمعيات الخيرية من اجل مساعدتهم ، وبالصحافة المحلية والخارجية لفضح المؤامرة التي تحاك ضدهم ، وقد تم ترجمة بحث عن الجفتلك وتوزيعه على الصحافة والقنصليات ، وكذلك تم التضامن مع اهالي كفر نعمة بالتصدي لمصدر العدوى المسبب لانتشار سوسة الاغصان التي فتكت باشجارهم والتضامن مع اهالي كوبر من اجل منع مصادرة اراضيهم وكتابة تقرير زراعي يشهد بان هذه الارض زراعية من عشرات السنين .

(٩) مجال التسويق : كما حدث في بيت سوريك حيث كان التجار يشترون الخوخ باسعار رخيصة فنظمت لجنة الاغاثة الزراعية تصدير ٦٠ طن من الخوخ للاردن وحصل الفلاحون على اسعار جيدة واضطر التجار لرفع الاسعار وقد تطورت هذه التجربة لتشمل تصدير محصول العنب ولكن بكميات اكبر ومناطق اوسع حيث شملت قرى بيت عنان ، القبيبة ، بدو ، قطنة ، بيت دقو ، بيت سوريك .

(١٠) في مجال ادخال الطرق الحديثة في الزراعة ، وهذه التجربة كانت رائدة في منطقة وادى فوكين - قضاء بيت لحم حيث تم :

(١) اقتناع ١٢ مزارعا بفكرة ادخال طرق الري الحديثة .

(٢) الاتصال بالجمعيات من اجل مساعدتهم وخاصة المانونايت .

(٣) جلب الاسمدة والادوية والمعدات الزراعية والاشتال للمنطقة .

(٤) زراعة مشتل بالطوباره يستوعب لـ ١٠ الاف شتلة ذات النوعية الجيدة والسيدة من الامراض واختصار تكاليفها الى ٢٥ في المائة من سعرها بالسوق .

(٥) الاشراف على تركيب ٢٥ دونما من الانابيب وزراعة المحاصيل ومد البلاستيك .

(٦) انشاء بركة ترابية رخيصة جدا تستوعب لـ ٢٥٠ م ٣ من الماء .

(٧) ادخال اصناف جديدة للمنطقة من البندورة والفاصوليا وزراعة محاصيل ثنائية بنفس الارض

- والزمن (البندورة والخبار) (البادنجان والفاصولية) .
- ٨) الاشراف على عطية السميد والري ومقاومة الحشرات والامراض .
- ٩) التوعية الزراعية لاستعمال المبيدات الحشرية والعشبية ذات السمية القليلة على جسم الانسان واقناع الفلاح بتقبل كل ما هو جديد في الزراعة وذلك عن طريق الزيارات الاسبوعية التي كان يقوم بها المهندس الزراعي المختص بهذه المنطقة .
- وكذلك التعاون المشترك والتفكير الجماعي لحل المشاكل وتبادل المعرفة .
- ١٠) انخراط الفلاحين داخل صفوف لجنة الاغاثة الزراعية الفلسطينية - كاتار ضروري من اجل تطوير الزراعة ومشاركة الفلاح في حل مشاكله .

ان تجربة وادي فوكين لهي تجربة رائدة حيث تكاثفت فيها الجهود الاساسية في انجاح هذه العملية وهي المنظمات الجماهيرية المتمثلة بلجنة الاغاثة الزراعية الفلسطينية والعمل التطوعي والجمعيات الممولة (المانويات) - والفلاح الواعي الراغب في تطوير زراعته .

وقد عممت التجربة لتشمل المناطق التالية: - اراطاس ، وبيت سوريك ، وبدو ، وبيت عنان ، وهناك الكثير من الفلاحين الراغبين في ادخال طرق الري الحديثة ولكن تأخرهم حال دون البدء بالعمل هذا الموسم .

١١) التنسيق مع المنظمات الجماهيرية الاخرى : - هنالك تعاون مشترك مع اللجنة العليا للعمل التطوعي - حيث تم ترتيب مخيم عمل تطوعي لقطف البندورة في الجفتلك في بداية هذا العام ويوم عمل تطوعي مركزي في بيت سوريك ويوم عمل تطوعي في وادي فوكين والاشراف على مشتل الخضار الذي انشئ هناك ومساعدة المزارعين في قطف محصول البطيخ في الاغوار .

ولم يتوقف الامر عند ذلك بل تعدى لان تصبح لجان العمل التطوعي الادارة المفعلة لكثير من المشاريع التي تطرحها لجنة الاغاثة الزراعية الفلسطينية . وهذا ما حصل في توزيع نشرة الزبون على مختلف مناطق الضفة والقطاع ونشرة الحمضيات كذلك . ولم يتورع المتطوعون في الحديث عن اهداق اللجنة امام الفلاحين . والاتصال بها بناء على طلب الفلاحين في المناطق المختلفة . اما التنسيق مع لجنة الاغاثة الطبية الفلسطينية - هناك تنسيق وعمل مشترك في مختلف المناطق الزراعية بين اللجنتين من اجل حل مشاكل الفلاحين وهذا ما حصل في مساعدة اهالي الجفتلك في محتتهم وقرية المغير في معالجة الحمى المالطية المنتشرة هناك .

لقد كان للجان الاغاثة الطبية واللجنة العليا للعمل التطوعي دورا بارزا في دعم لجنة الاغاثة الزراعية وتطوير عملها ...

اما بالنسبة للاطر النسائية فهناك تنسيق جيد مع لجنة المرأة العاملة والتي كان لها دور بارز في مساعدة اهالي الجفتلك بالتعاون مع الاغاثة الزراعية وكذلك في مساعدة الاسر الفقيرة في منطقة الاغوار وكتابة بحث مشترك عن واقع المرأة الريفية في الاغوار .

اما الاطر الجماهيرية الاخرى فقد جرى الحديث معها من اجل التعاون المشترك لما فيه خدمة فلاحينا وتأمل لجنة الاغاثة ان يكون لها دور اكثر فاعلية في الريف الفلسطيني والتعاون المشترك ،

لجنة الاغاثة الطبية الفلسطينية :-

يعود تأسيس لجان الاغاثة الطبية لخمس سنوات خلت ، عندما انشئت اول لجنة في مدينة القدس ، وسرعان ما انتشرت هذه اللجان لتشمل كل مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقبل ثلاث سنوات اعلن عن تشكيل اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية ، الذي اخذ يقوم بدور المنسق لنشاطات مختلف اللجان ويدور الاطار الفعال لتبادل الخبرات .

واليا عمل هذه الجان في مناطق - نابلس ، طولكرم جنين ، ورام الله ، والقدس ، وبيت لحم والخليل ، وقطاع غزة ، والاغوار .

ويركز الاتحاد نشاطاته في القرى النائية والمخيمات المحرومة جزئيا او كليا من الخدمات الحيوية . ويحاول ان يوازي بشكل متوازن وفعال بين العمل العلاجي ، الذي يعتبر جسرا فعالا في الوصول للناس وفي درء اخطار العديد من الامراض ، وبين العمل الوقائي الموجه لتوعية السكان وساعاتهم على التعاون في حل المشاكل الصحية البيئية مثل القضاء على الاويثة وتنقية المياه . وقد تطور نشاط الاتحاد بشكل متصاعد ففي حين انجز عام ١٩٨٢ ، ٤٠ اغاثة طبية في الريف ، فقد حقق في عام ١٩٨٣-١٢٠ اغاثة عولج خلالها ١٠٠٠٠ مريض وفي عام ١٩٨٤ م ، ٢٠٠ اغاثة نت خلالها معالجة ما يزيد عن ٢٠٠٠٠ مريض .

وبالنسبة للاتحاد فان الاستراتيجية السليمة للتنمى : 'صحي في الريف تتمثل في انشاء شبكة من المراكز الصحية الاساسية التي يغطي كل واحد منها مجموعة قرى ، مع استمرار عمل العيادات المتنقلة (الاغاثات) التي تقوم بدورها بتحويل المرض المحتاجين للمراكز . ومن شأن هذه المراكز ان تقدم بالاضافة للعمل العلاجي برامج متكاملة في التوعية الصحية ، بما في ذلك تنظيم لقاءات مع الناس وتوزيع نشرات وعرض افلام وتدريب عاملات صحيات من القرى نفسها وتقديم العناية للامهات والاطفال وتنظيم الفحوصات الوقائية .

ويجرى الاتحاد كذلك مجموعة من الدراسات الميدانية الهامة التي الفت الاصواء على حقيقة الوضع الصحي . والتي تشكل جزءا لا يتجزأ من عمية التنمية الصحية باعتبارها مرشدا يوجهها بانتظام نحو المسار الصحيح .

اللجنة العليا للعمل التطوعي :

تضم اللجنة ٩٧ لجنة فرعية حسب احصائيات عام ١٩٨٢ م يشارك بها ٢٠٠٠ متطوع . وقد قامت اللجان منذ تأسيسها عام ١٩٨٠ حتى الان بمساعدة الفلاحين في مواسم الحصاد وقطف الزيتون والخضروات . واستصلاح اكثر من ٢٨ الف دونم وزراعة ٣٠ الف شتلة زيتون في موسم عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥ .

وتقوم اللجنة بتنظيم دورات تقوية لطلبة التوجيهي ومحو امية وكذلك محاضرات وندوات ثقافية وبناء الجدران حول المقابر والمدارس والجوامع والكنائس والجمعيات أو تعبيد التوارع وشق الطرق

الزراعية وبناء الادراج للاحياء الشعبية .

وقد اقامت اللجنة ٧ محبمات عام ٨٣ - ١٩٨٤ م و ١٤ مخيما في هذا العام بالتعاون. مع لجان المرأة العاملة. تضم هذه المخيمات في صفوفها ٧٠٠ طفل من اعمار ٦ - ١٤ سنة، منها ١١ مخيما في القرى - يتعلم الاطفال فيها دروس الثقافة العامة، والرياضة والغناء والدبكات الشعبية والمسرح. وتضع اللجنة ضمن استراتيجيتها للعمل المستقبلي في الريف - استصلاح الاراضي واقامة المخيمات للاطفال وتعميق مكانة ومفهوم العمل التطوعي وتحويله الى تعاونيات انماجيه لصالح الاعضاء المشاركين وقد كان للجنة تجربة في هذا الميدان والعمل الان على تطويرها . وتعمل اللجنة على التوعية في الريف من اجل التمسك بالارض والغودة لها والحد من الهجرة والتوعية الثقافية .

لجنة الشبيبة -

هي تجمع من الشباب الواعي والمؤمن بالعمل التطوعي الذي يخدم المصالح العامة لجميع سكان الموقع الذي نعيش فيه .

ومجموع اللجان الفرعية يشكل الاتحاد العام للجان الشبيبة في الارض المحتلة . وتضم اللجان الفرعية في صفوفها ما بين ٥٠ - ١٠٠ عضو وذلك حسب الموقع وقد قامت اللجان في جنبي ثمار الزيتون والقمح واستصلاح الاراضي ومساعدة مزارعي الاعوار في قطف ثمار الحضار . تعمل اللجنة على تشكيل رياض اطفال ومستوصفات طبية وترميم مدارس وجوامع ورصف الطرق .

وتركز لجان الشبيبة في استراتيجيتها على استصلاح الاراضي وعمل مشتل زيتون واشجار مثمرة وذلك بغية زراعة الاراضي المهددة بالمصادرة ولتخفيف اعباء الوضع الاقتصادي السيء على الفلاحين بزراعتها بالاشجار المثمرة . وهناك دور فعال للجان ٧٦ للعمل التطوعي في منطقة نابلس والقرى المحيطة بها .

- الاطر الجماهيرية النسائية : هناك عدة اطر جماهيرية تعمل في المناطق المحتلة وبالنالي في الريف الفلسطيني كلجنة المرأة العاملة، ولجنة العمل النسائي، ولجنة المرأة الفلسطينية ولجنة المرأة للعمل الاجتماعي . وسأخذ نموذجا لهذه اللجان وهي لجنة المرأة العاملة الفلسطينية كانشط اطار جماهيري نسائي في الريف الفلسطيني .

اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية :

هو اتحاد تطوعي للمرأة الفلسطينية في الاراضي المحتلة، تأسست عام ١٩٨١، وتشكل المرأة الريفيه ٧٠٪ من مجموع عضواته. وقد قدم الاتحاد مدد تأسيسه لغاية الان :-
(١) ٤٠ معرضا للاشغال اليدوية وكتب وصناعات محلية ورسومات اطفال والاعاب .
(٢) تم فتح ١٤ دوره تأهيل نسيج وخياطة واشغال يدويه في ١٠ قرى من ٨٣ - ١٩٨٥ م

(٣) انشاء ١٣ روضة اطفال في ١٠ مواقع زراعية .

(٤) القيام بـ ١١ مخيما للاطفال صيفا وشتاء في ١١ موقع زراعي واسيعاب اكر من ١٠٠٠ طفل من سن ٤ - ١٢ سنة . وفي سنة ١٩٨٥ القيام بـ ١٤ مخيما صيفيا منها ١١ مخيما في المواقع الزراعية .

(٥) القيام بدورات محو امية في اربعة مواقع زراعية حتى عام ١٩٨٤ .

ويشارك الاتحاد بعمل دورات تقوية لطلبة المدارس في مواقع عديدة ٤ . بالإضافة الى الارشادات المكثفة للمرأة الريفية في مجال تربية الاطفال والصحة والثقافة العامة والدفاع عن مصالحها اذا كانت عاملة .

وتشارك اللجان الجماهيرية النسائية الاخرى بدور فعال في الريف الفلسطيني من حيث فتح الروضات ودورات محو الامية وتعليم الحياطة والنسيج والتوعية للفلاحين ورفع المستوى الثقافي للمرأة الريفية .

ما سبق ذكره يتضح لنا الدور الكبير الذي تلعبه المنظمات الجماهيرية في التنمية الريفية والذي بدوره لا يمكن احداث اي تطور في تنمية الريف الفلسطيني من الواقع الذي يعيشه .

لمشاكل التي تواجهها اللجان الجماهيرية للعمل في الريف الفلسطيني :-

(١) قلة الدعم المالي : ان معظم اللجان الجماهيرية تعاني من المشاكل المالية والتي تحول في بعض الاحيان من تنفيذ دورها وكما ان اموال الصمود واللجنة المشتركة يعطى للجان مخصصة ومميزه وهي بالاساس غير فعالة . ان معظم اللجان الجماهيرية معتمدة في مالبها على اشتراكات الاعضاء وعلى المساعدات الي تجمعها من الجماهير والجمعيات الخيرية . ولكن ضمن الظروف الاقتصادية لصعبة والتي تضعف من مشاركة الجماهير في دعم هذه اللجان مما يؤدى الى التقليل من خدماتها . وينعكس هذا الحال بشكل سلبي ومباشر على اللجان النشطة وعلى اعلامها بحيث لا تستطيع حتى تسرا تجارتها .

(٢) تعامل الفلاحين مع اللجان الجماهيرية - ان هذه المنظمات من صميم الجماهير ومع ذلك غائبي من بعض المشاكل الجانبية في التعامل مع الفلاحين . فبعض الفلاحين ينظرون لها وكأنها جمعيات خيرية وبذلك يهملهم الفائدة المادية فقط وفي بعض الاحيان يلجأ الى اساليب ملتوية لتحقيق ذلك كما هو حاصل في التعامل مع الجمعيات الخيرية ، كما ان بعض الفلاحين يحاف التعامل مع هذه اللجنة خوفا من السلطة وعقابها ، او خوفا من الملاك الذي تتعارض مصالحه مع اهداف هذه اللجان . او خوفا من الاردن وممثليها . كما ان بعض الفلاحين لا يستمعون الى نصائح المرشد الزراعي وذلك نتيجة العجوة التي احدثتها دوائر الزراعة بين المرشد الزراعي والفلاح وذلك لاربع لعدم مقدرة المرشدين الزراعيين على احداث التطور اللازم في الزراعة لدى المزارعين المكاتب ينظرون للفلاح بنظره قومية ومن حلف مكاتبهم .

٣ - عدم وجود التنسيق المشترك بين الاطر العاملة في الريف :

(أ) فالنسيق بين اللجان الجماهيرية جزئياً ولم يؤخذ بعد البعد الاستراتيجي واعداد الخطط المتكاملة المشتركة .

(ب) التنسيق بين المنظمات الجماهيرية والمؤسسات غير الحكومية والمتمثلة بالجمعيات يشق بطريقة يصعب من اجل العمل المتكامل . وذلك :

(١) لاعتبارات سياسية او لتحريم هذه العلاقة من قبل سلطات الاحتلال ولارتباط هذه الجمعيات وتنفيذها للقانون الاسرائيلي . وكذلك فان بعض الجمعيات لا تنق بهذه اللجان من النواحي المالية او التنفيذية وهذا عائد لغموض بعض هذه اللجان ضمن واقع الاحتلال الذي يسعى لضرب هذه اللجان .

(٢) تحوف اللجان الجماهيرية من التعامل مع بعض الجمعيات ويرجع هذا لارتباط هذه الجمعيات باطراف خارجية تحاول تنفيذ خططها السياسية من خلال المشاريع التي تدعمها .

(ج) عدم وجود التنسيق المشترك بين المنظمات الجماهيرية والنقابات المهنية كغابة المهندسين الزراعيين ونقابة المهندسين ، ونقابة الاطباء ، ونقابة المحامين وهذا راجع الى :

(١) تبعية هذه النقابات لنقابات الاردن .

(٢) وجودها الشكلي وعدم مشاركتها بشكل فعال في دعم الريف الفلسطيني .

(٣) النظرة القوية التي تنظرها هذه النقابات للمنظمات الجماهيرية وتعتبر نفسها الطرف المخول للعمل كل حسب اختصاصها ، ولكن طرأ تحسن على موقف هذه النقابات واخذت تتعامل بشكل اكثر واقعيه مع المنظمات الجماهيرية وذلك نتيجة اثبات وجود هذه المنظمات بالعمل الدؤوب من اجل مصلحة فلاحينا .

(د) عدم وجود تنسيق مشترك بين الجامعات والمنظمات الجماهيرية مع العلم ان الجامعات في الاراضي المحتلة تستطيع ان تلعب دورا اكثر فاعلية في دراسة المشاكل التي يواجهها الريف وسل علاجها ، وبحث هذه المواضيع مع اللجان الجماهيرية من اجل تنفيذها وليس فقط من اجل نشرها ووضعها في المكتبات ولمن يهمه الامر . ولقد بادرت لجنة الاغاثة الزراعية الفلسطينية بالتنسيق المشترك مع الجامعات في كثير من الابحاث وحل المشاكل في ريفنا الفلسطيني .

٤ - الحملة الاعلامية المشبوهة والمعادية للمنظمات الجماهيرية :

والتي يقوم بها الاحتلال واعداً الشعب الفلسطيني والوجوه التقليدية والمسيطرة على بعض الامور في الضفة والقطاع والتابعة لجهات خارجيه .

(٥) صعوبة تفعيل كل الناس في العمل الطوعي من خلال انخراطهم في المنظمات الجماهيرية والتعاون المشترك . وذلك راجع الى :-

(١) سبب ذاتي - عدم رغبة الشخص في العمل الطوعي .

- (٢) سبب فني - قلة الخبرة في العمل في مجال معين كالطب والارشاد الزراعي .
 (٣) الظروف الاقتصادية الصعبة والتي تحول في معظم الاوقات من ضيق الوقت للمشاركة الفعالة .
 (٤) عدم وجود الوعي التام عند كل الناس لاهمية العمل الطوعي والانخراط في المنظمات الجماهيرية .

يتضح من المعلومات التي وردت في سياق هذا البحث ، ان المنظمات الجماهيرية العاملة في الريف انما نبعت اساسا من الحاجة الماسة لنشوتها ، وهذا ما يفسر سبب احتضان المزارعين لها ورعايتها ، حيث كانوا السند الاساسي ، الذي مكنتها من الوقوف على ارجلها والصمود في وجه هجمات الاحتلال واعوانه . كما لم يكن من الممكن لهذه المنظمات ان تنتشر ويصلب عودها لو كانت الدوائر الاسرائيلية الرسمية تقوم بواجبها كسلطة محتلة تجاه الشعب الذي تنهب خيرات .
 فتتوزع المنظمات الجماهيرية ، وغنى نشاطاتها كل حسب اختصاصها ، يضي عليها خصائص ثابتة متميزة مستمدة من خصوصية اوضاع الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال ، وهي بهذا تسد جزءا من الفراغ الناجم عن غياب السلطة الوطنية ، وتعتبر من الركائز الهامة على طريق اقامة الدولة المستقلة .

ونود ان نسجل باعتزاز ، النمو الكبير الذي حققته المنظمات الجماهيرية رغم حداثة تشكيل اطرها المنظمة على شكل اتحادات مركزية تضم لجان المواقع والذي تم فقط منذ حوالي ٤ سنوات لاندمها .

ولعل السبب الاساسي الذي يعيق عمل سائر هذه المنظمات ، ويحد من اسهامها في تنمية المجتمع محدودية مواردها المالية ، واضطرابها للقيام ببعض النشاطات التي توفر لها مصادر تمويل محلية تكفل لها تغطية نفقاتها الاساسية كاجور المقار وتكاليف المواصلات وهي شروط اساسية لاستمرارية تأدية عملها .

اما العوائق الاخرى فان بالامكان حلها بالعمل الدؤوب والمتواصل ورفع مستوى التنسيق بين هذه المنظمات . وبذلك نكون قد اسهمنا في مد الجسور اللازمة لاقامة دولتنا العتيدة واسهمنا بشكل فعال في مقاومة الهجرة والبطالة والامراض الاجتماعية الناجمة عنها .

توصيات واقتراحات :

- (١) دعم اللجان الجماهيرية ماديا وتوزيع اموال الصمود واللجنة المشتركة على كافة اللجان الجماهيرية .
- (٢) دعم المشاريع التي يقوم بها صغار الفلاحين .
- (٣) استصلاح الاراضي وحل مشاكل المياه .
- (٤) التعاون المشترك والمبرمج ما بين الجمعيات التعاونية والمنظمات الجماهيرية والجامعات والنقابات المهنية وكافة الاطر التي تعمل في الريف .
- (٥) توسيع قاعدة الجمعيات التعاونية والتقليل من تدخل الاردن في امورها .
- (٦) انشاء مجلس زراعي عالي تشارك به كافة الاطر الجماهيرية من جمعيات ومنظمات جماهيرية

وجامعات ونقابات .

- (٧) دعم جهود لجنة الاغاثة الزراعية باعتبارها الطليعة المنظمة للفلاحين في القرية من اجل تحقيق اهداف التنمية ضمن واقعنا الفلسطيني بالتعاون مع الاطر الجماهيرية الاخرى .
- (٨) حل مشاكل الفلاح من النواحي الخدماتية والصحية والتعليمية وغيرها .
- (٩) العمل على ايجاد التعاونيات الزراعية من خلال لجان العمل التطوعي والاعاثة الزراعية وتوحيدها من قبل الجمعيات .

المراجع

- (١) الخدمات البلدية في الضفة الغربية ١٩٨١
اسامة شهبان
- (٢) الانسان الزراعي - داوود استنبولي
- (٣) نحو برامج تنموية من أجل الصمود
ابراهيم الدقاق
- (٤) محي الدين صابر - الحكم المحلي وتنمية المجتمع في الدول النامية
مركز تنمية المجتمع في العالم العربي
سوسن الليان - ١٩٦٣
- (٥) د . محمد الزعبي - التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي
دار الطليعة - بيروت ١٩٧٩
- (٦) نضال المرأة العاملة - اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية
٨ آذار - يوم المرأة العالمي ١٩٨٤
- (٧) مفهوم التنمية الاقتصادية
د . كاظم حبيب - الفارابي / ١٩٨٠
- ص ٧ ، ص ٨ ، ص ٩

دور المرأة الفيتنامية والمرأة الفلسطينية في الصراع الوطني " دراسة مقارنة "



بقلم : بشارة دومانى

يعالج هذا البحث المسألة التالية : ما هي العوامل التي شكلت الدور الذي لعبته كل من المرأة الفيتنامية والمرأة الفلسطينية في نضال شعبيهما من اجل التحرر الوطني - وخصوصا في فترة السنوات الخمسين الاخيرة ؟ .

قد يتراءى في البدء انه يمكن اجراء مقارنة مثمرة بين التجربتين التاريخيتين لكلا الشعبين فكلاهما قد نشأ عن مجتمع زراعي تقليدى ، كما كان كلاهما عرضة لقرون من الهيمنة الاجنبية قبل ان يتم استعمارهما من قبل القوى الصناعية الاوروبية . كما لجأ كلاهما في آخر الامر الى طريق الكفاح المسلح في سبيل استعادة الوطن وتحقيق الاستقلال .

غير انه ، بعد التعمق في قراءة المواد ، يتضح ان الاختلافات متأصلة . ولا شيء يبين هذه الحقيقة بشكل اوضح من دراسة تجربة المرأة الفلسطينية والمرأة الفيتنامية . لقد حققت المرأة الفيتنامية ، وعلى جميع المستويات - الاقتصادية والاجتماعية والسياسية - السبق على المرأة الفلسطينية مسافة " سنوات ضوئية للامام " (١) (على حد تعبير المراقبين) ، بينما لا تزال المرأة الفلسطينية غير موجهة وأسيره للبنية الاجتماعية الابوية التقليدية ؟ ويمكن القول ، بشكل عام ، انه قد تم تعبئة وتنظيم المرأة الفيتنامية بشكل كامل . فقد ساهمت اسهامات كبيرة في الثورة الفيتنامية وتتمتع الان بقوة سياسية كبيرة وقوة اقتصادية واجتماعية اكبر . كما تعيش المرأة الفيتنامية الان تحت اكثر القوانين مساواة من حيث النظرية ولمدى كبير جدا من الناحية العملية ايضا .

وعلى الجانب الاخر ، فان المرأة الفلسطينية ليست معبأة او منظمة . وبالرغم من دخولها قوة العمل بأعداد كبيرة الا انها لا تزال هامشية اجتماعيا واقتصاديا . كما ان ليس لها قوة سياسية تذكر ، ودورها في النضال من اجل التحرر الوطني كان دوما متقلبا وفي اغلبه دورا رمزيا . لا توجد لدينا معلومات كافية لاجراء مقارنة نقطة بنقطة * عوضا عن ذلك ستبحث هذه المقالة

* تعتمد معظم المعلومات حول المرأة الفلسطينية في اساسها على الانطباعات الشخصية للمراقبين او على مقابلات لبعض النساء البارزات ، او على الابحاث شبه العلمية والنشرات الرسمية المعدة للاستهلاك العام . توجد دراسة واحدة منظمة (غازى الخليلى - المرأة الفلسطينية والثورة) الا انها لا تتعدى كونها تكريس لمعلومات من نفس المصادر ، وكان الغرض منها اطلاق طلقة البدء في مناقشة هذه المسألة . اما المصادر ، حول المرأة الفيتنامية فجميعها تقريبا كتابات رسمية / محلية او مشتقة عنها ويمكن الاستناد اليها بالرغم من صعوبة الحصول عليها .

وحالة الاوضاع هذه تعكس المكانة المتقدمة والوعي العالي للمرأة الفيتنامية .

بعض القضايا المركزية. هذه القضايا - في حالة الفيتنام - هي التراث الثقافي ، ودور المرأة في التشكيلات الاجتماعية - الاقتصادية في مرحلة ما قبل الرأسمالية ، وتأثير الاستعمار الفرنسي على الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمرأة ، والخصائص الطبقية للقيادة المناهضة للاستعمار والدور الذي لعبته المرأة في الثورة. اما في حالة فلسطين ، فالمواضيع المركزية هي : المحيط العربي ، وأنماط الاستعمار (اخلائي / استيطاني) ، والخصائص الطبقية للقيادة المناهضة للاستعمار قبل وبعد ١٩٤٨ ، وتشنت الشعب الفلسطيني ، والنهضة الحديثة لاشكال جديدة من التنظيمات النسائية.

المرأة الفيتنامية

أ - يبدو ان للمرأة الفيتنامية ميزة تاريخية على نظيرتها الفلسطينية من حيث ان مكانتها في تاريخ بلادها المبكر كانت مساوية ، ان لم تكن اعلى ، من مكانة الرجل . وتعود الاسباب في ذلك الى التراث الثقافي والى خصائص التشكيلات الاقتصادية - الاجتماعية في المجتمع الفيتنامي في مرحلة ما قبل الرأسمالية . كما دعمت الشواهد الاثرية ، الحكايات الشعبية والاساطير التي تصف المجتمع الامومي قبل الغزو الصيني للفيتنام (القرن الثاني قبل الميلاد) . كما روي ان المرأة كانت تلعب الدور المسيطر سياسيا واجتماعيا . كما وصفت جسديا بانها اضعف واقل من الرجل * . وكانت المرأة هي التي تختار زوجها الذي كان يتعين عليه ان يترك بيته ليلتحق بعشيرة زوجته . وكان زواج العقب *Levirate* (عادة تجبر اخا المتوفي من غير عقب ان يتزوج ارملته) والحضانة الابوية *Brooding* (رعاية الاب للأطفال حديثي الولادة) تمارسان بشكل واسع في فيتنام ، وحتى يومنا هذا في بعض المناطق .

وتشير كل من ماي تاى تو ولى تاى نام تويت في كتابهما المرأة في فيتنام الى ان عناصر المجتمع الامومي ظلت موجودة حتى القرن الخامس عشر ، وخلصتا الى القول : " ان فترة التحول الى المجتمع الابوي قد تجاوزت عصور ما قبل التاريخ ، وبالتالي فان " الهزيمة التاريخية للمرأة " كانت اقل ضراوة مما كان يمكن ان تكون عليه . وقد كان لهذا اعظم الاثر في تطور المرأة خلال التاريخ الوطني " (٣) .

ان نشوء وتطور مجتمع طبقي ، علاوة على ما يزيد عن الالف عام من الهيمنة الاقطاعية الصينية ، قد ترك آثارا عميقة فيما يختص بوضع المرأة . فقد فرض الصينيون الكونفوشيوسية ليس فقط كأيديولوجية ولكن ايضا كنظام قانوني . وتتلخص مبادئها - فيما يختص بالمرأة - بالمقولات : " يجب ان يحترم الرجل ويجب ان يحتقر المرأة " و " على الرجل ان يحيا في الخارج (في المجتمع) والمرأة في داخل الاسرة " (٤) . وكانت الفضائل الاربعة والطاعات الثلاثة تفرض بحزم من قبل الموظفين الذين كانوا يجوبون القرى ويجمعون اهلها لاعطائهم محاضرات وتعليمات حول هذا الموضوع .

الا انه ، وكما تظهر المراسيم والسجلات الملكية المحفوظة ، فقد جابه الاقطاعيون الصينيون مصاعب جمة في سبيل فرض هذا القانون . كما ان معظم الفلاحين الفيتناميين (الذين شكلوا ٩٥ ٪

* اكتشفت حديثا في اقليم تان هوا عظام بقدر عمرها بحوالي ٣٠٠٠ سنة لامرأة يصل طولها الى المترين .

من مجمل السكان حتى عام ١٩٣٠) قد ظلوا خارج نطاق تأثير هذا القانون . لماذا ؟ يرجع هذا عموما الى طبيعة البلاد الجغرافية وللمحصول الرئيسي الارز .

ان زراعة الارز عملية صعبة جدا وتستهلك الكثير من الوقت . فقد كان يتوجب ، ليس فقط على افراد الاسرة ، بل على جميع اهالي القرية ان يتعاونوا لتحقيق افضل النتائج . علاوة على ذلك ، فقد اتبع الفيتناميون منذ القدم نظام زراعة محصولين في السنة . وبهذا فقد كان وصول المرأة للعمل مضمونا وكان عمل المرأة يعتبر مساويا لعمل الرجل . خصوصا وأنه كان هناك دائما نقص في عدد الرجال بسبب قرون من الحروب ضد الغزاة الاجانب ، كما كان يتم حشد الرجال واقتيادهم للعمل القسري في صيانة وتجديد قنوات الري والسدود الهامة . علاوة على ان المرأة كانت المنتج الرئيسي لعدد من الحرف اليدوية مثل النسيج وتربية ديدان القز وصناعة الورق من بين العديد من الحرف الاخرى . كما كانت تحتكر التجارة الصغيرة . وكان هذا يرجع الى ان التجارة كانت تعتبر ، في النظام الكونفوشيوسي ، من المهن المنحطة ، فقد كان المتعلمون والمزارعون والحرفيون يأتون في المقدمة (وينفس الترتيب) .

وقد تأثرت النساء الاعضاء في الطبقة الحاكمة بالنظام القانوني الكونفوشيوسي الى حد كبير جدا ، الا انه توفرت ايضا لهؤلاء ظروف مخففة . فخلال عهد الاقطاع ، وخصوصا في القرن التاسع عشر ، كانت وسيلة الارتقاء الاجتماعي للفيتناميين الذكور هي نظام الامتحانات والالتحاق بالخدمة المدنية . وكان هذا يعني بالتالي ان الاقتصاد المحلي قد ترك بمعظمة بين يدي المرأة التي كانت تقوم بجميع المهام العامة والمنزلية بينما كان الزوج منهمكا في دراسته . وحتى بعد ان يصبح الزوج موظفا رسميا ، كانت الزوجة تستمر في ادارة شؤون المنزل وهنالك الاسرة .

ب- الاستعمار الفرنسي :-

في غضون عقود قليلة من الاستعمار الفرنسي ، تدهورت ظروف المرأة بشكل حاد - وربما بشكل اشد ما حصل خلال الالقي سنة الماضية ، لقد عانى جميع الفيتناميين ، بالطبع الا ان اقصى الضربات كانت موجهة للمرأة . لماذا ؟

اولا : كما هي العادة لدى جميع بلدان العالم الثالث المستعمر ، فقد دُمرت الحرف التقليدية والتجارة المحلية بفيض من البضائع الفرنسية الرخيصة ، وبالاحتكارات والسياسة الاقتصادية الفرنسية . وكما ذكرنا سابقا فقد كانت التجارة والحرف التقليدية هي مجال المرأة الفيتنامية . ثانيا : تم تغيير وقلب الاقتصاد الزراعي . فقد كان جميع الفلاحين تقريبا يملكون مساحات محدودة من الاراضي ، غير ان الحكام الفرنسيين والفيتناميين ركزوا ملكية الاراضي كي يتمكنوا من زيادة الارباح من وراء تصدير الارز - الشريان الرئيسي في الاقتصاد الفيتنامي . وتحول العمل الجماعي الى عمل مأجور . وفقدت المرأة استقلالها الاقتصادي ، وكانت تحصل على نصف او ثلث اجر الرجل كعاملة مأجورة (اذا نجحت في الحصول على عمل) .

وقد كانت النتائج الاجتماعية المترتبة على فقدان الاستقلال هائلة . فقد انتشرت عادة تعدد الزوجات واتخاذ محظيات بين جميع الفئات الاجتماعية ، في حين كانت من قبل مقصورة على المائلات الاقطاعية وموظفي الحكومة . كما دمرت الحياة العائلية بسبب قيام بعض الرجال

اليائسين ببيع زوجاتهم وبناتهم ليتمكنوا من تسديد الضرائب الفرنسية الباهظة . اضافة الى ذلك ، ازداد استخدام القوة الجسدية مع النساء وارتفع معدل الانتحار بين النساء صغيرات السن بشكل حاد .

وأما من ذلك بكثير كان وضع المرأة العاملة (البروليتارية) - مقارنة بالفلاحة او تلك التي تنتمي للبرجوازية - حيث انهن " كن غالبا افقر وأشد الفلاحين تعرضا للظلم ، واللائي لم يتمكن من كسب معيشتهم في الريف " (٥) .

لقد احتاج الفرنسيون للايدي العاملة الرخيصة للعمل في المناجم والمصانع ومزارع المطاط وقد كانت ظروف العمل في تلك المؤسسات مريعة للغاية للدرجة التي كان يتوجب معها اجبار الفلاحين على ترك الريف الجائع . وليتمكن الفرنسيون من تجنيد العمال لملء شواغر العمل اتبعوا سياسة مقصودة مستهدفة تجويع الريف . وقد لجأوا آخر المطاف الى عدة طرق مثل ازالة قرى بأكملها او اغراق اقاليم كاملة وتدمير شبكات الري والسدود .

وقد اضطر عشرات ، بل مئات ، الالاف من النساء الى العمل ساعات طويلة - متضورات من الجوع وكن يضربن وينتصبن بانتظام . وكان الموت عقوبة الهرب . وقد بلغ معدل الوفيات في مزارع المطاط - على سبيل المثال - ٣٠ ٪ .

كما مات نتيجة الجوع مليونان فيتنامي في الفترة بين ١٩٤٠ - ١٩٤٥ . وبحلول عام ١٩٤٥ كانت المرأة ناضجة للثورة .

جـ - القيادة المناهضة للاستعمار :

تبرز هنا خاصيتان مترابطتان للقيادة المناهضة للاستعمار . اولا : انها كانت تمثل مصالح جميع العمال والفلاحين ، اي اغلبية السكان . وهي كقيادة شيوعية قد وضعت برامج تخطت الاصلاحات المحدودة التي قامت بها القيادة السابقة (البورجوازية) . لقد اهتم الحزب الشيوعي للهند الصينية *Indo chinese communist party* بمعالجة قضايا نزع ملكية الاراضي من الفلاحين وقضايا ظروف العمل وتدمير الريف ، وجميعها قضايا تهتم النساء بنفس قدر ما كانت تهتم الرجال ، ان لم يكن اكثر .

ثانيا : التزام الحزب منذ البدء بتحرير المرأة . فقد آمنت قيادة الحزب الشيوعي بأن تعبئة الجماهير لحرب شعبية كانت تعني تعبئة المرأة ايضا ، وأن تطوير المجتمع الفيتنامي ككل مرهون بعمل المرأة كمضو كامل ومساو للرجل في المجتمع . وقد نادى اول برنامج للحزب الشيوعي بالمساواة بين الجنسين (١٩٣٠) وطرح شعار " بدون المرأة لا تنجح الثورة " (٦) .

وقد كان انعدام التعليم مع وجود الايدولوجية الاقطاعية ، والاحطار والتضحيات البهائلة التي كان على المرأة مواجهتها ودفعها (ترك عائلاتهم وتحدى المجتمع ، ومحاولة معاشة التمييز حتى من قبل الرفاق) كل هذه العوامل جعلت من الصعب تنظيم المرأة . الا انه - وبالرغم من ذلك - فقد ظل التزام الحزب الشيوعي راسخا . ومثال على ذلك ما كان يفعله هوشي منه نفسه حين كان يعلم بصبر وأناة فلاحة تلوا الاخرى كيف تقرأ وتكتب ، كما كان يقضي معهن وقتا طويلا يعطينهن دروسا في السياسة . وقد واطب على مراسلتهن بعد ان انطلقن الى انحاء مختلفة معتمدات على انفسهن يستمع اليهن ويزودهن بالنصائح والاقتراحات .

ومثال آخر كانت المخاطرة المحسوبة التي خاضتها القيادة عندما دفعت بقانون الزواج والعائلة عام ١٩٦٠. لقد كان الحزب يدرك ان هذا القانون قد يجلب عداء الاغلبية العظمى من العائلات الفيتنامية (وخصوصا الرجال) بما كان ينادى به من الاختيار الحر عند الزواج، كما نادى بالزواج الإحدى ومساواة الجنسين وحماية حقوق المرأة والطفولة . وكان الدافع وراء طرح مثل هذا القانون هو ان المساواة يجب ان تطبق لا في القانون فقط بل عمليا. في الحياة . لذا كان يتوجب بذلك جهود خاصة لاعداد وتأهيل الكوادر ولتشجيع النساء لقيادة النضال من اجل تحررهن . فعلى سبيل المثال تم وضع هدف ليتوصل اليه فيما يتعلق بنسبة تمثيل النساء في المراكز القيادية في المجالات السياسية والانتاجية ولهذا الهدف تم تشكيل لجان خاصة على مستوى المصنع والقرية والحزب للإشراف على تطوير المرأة . كما تم تنظيم وعقد دورات مكثفة لتعليم المرأة مهارات فنية وإدارية لكي يتم رفع مستواها . وأهم ما في الامر - كما علق مراقب خارجي - ان الحزب الشيوعي " كانت لديه استعدادات للتعرف على المشاكل ولتجريب اشكال تنظيمية جديدة وغير تقليدية " (٧). لو توفرت لديه المرونة التي كانت حاسمة من اجل استمرار النضال .

د - مساهمة المرأة في الثورة :-

لقد وجدت خلال النضال من اجل التحرر الوطني منظمات نسائية قوية وفعالة وقد انضموا الجيل الاول للنساء النشيطات في اتحاد المرأة الفيتنامي، (WUV) Women Union of Vietna الذي تأسس في ٢٠ اكتوبر ١٩٣٠ - اي بعد ثمانية اشهر من تأسيس الحزب الشيوعي . وكان العديد من قيادات الاتحاد تلاميذ هوشي منه شخصا (٨) . وقد تغير اسم الاتحاد حسب تغير الطريق السياسية . وكان يمارس نشاطاته احيانا علنيا وأحيانا يمارس نشاطات سرية أو كهيما معا .

ولا يسعنا هنا - في حدود هذا البحث - ان نذكر تاريخ اتحاد المرأة الفيتنامي*، او ان نقيم القضايا والمواضيع التي تناولها والاهداف التي حققها والدروس المتعلمة. الا انه يكفي ان نذكر انه تم تعبئة جميع النساء للمدى الذي كان فيه لهن نصيب الاسد في مجال الانتاج كما وقع على عاتقهن نصيب كبير من القتال . ولم يبق هناك مجال عمل مفلق امام المرأة . كما وعت القيادة النسائية التجربة الجزائرية (٩) واتخذت خطوات تضمن عدم حدوث شيء مماثل في الفيتنام . وقد واجهت المرأة - منذ بدأ التعمير الاشتراكي - ثلاث مشاكل تتعلق بوضعها الشخصي (فقد كان العديد من النساء يشعرون بأنهم ادنى مستوى من الرجال (١٠) ومن ناحية المشاركة في الانتاج واجهته الدولة (حيث كانت مناصبهن ومستوياتهن الادارية ادنى من مساهمتهن الفعلية في تلك المجالات) وكذلك في العائلة (تحقيق المساواة داخل الاسرة) (١١) . ولا تزال هناك العديد من وجهات النظر المقولبة (الفطرية) فيما يتعلق بالمجال الاسرى، وخصوصا تربية الاطفال ..

* ان تجربة المرأة الفيتنامية خلال مرحلة التحرر الوطني تجربة غنية جدا . وللحصول على تحليل كامل راجع " النساء في فيتنام " Women in Vietnam صفحة ١١١ - ٢١٢ . كما ان كتاب " اجمل عشر مرات TenTimes More beautiful يلخص هذه التجربة في الصفحات ٨٧ - ١٠٣ اما من اجل الاحصاءات راجع الملاحق في نهاية هذا البحث .

وأشير الى هذا العبء المزدوج - العمل داخل وخارج المنزل - في تقرير حديث بأنه " العقبة الرئيسية في طريق التقدم المهني والمساهمة السياسية " (١٢) .

ويمكننا القول بأمان ان القواعد المادية لتحرير المرأة قد ارسيت . ومثالا حاسما على ذلك هو النظام التعاوني الجديد في الريف حيث تدفع الاجرة حسب نظام النقاط .
 "... ان المرأة الفيتنامية الفلاحة قد اصيحت عضوا نشيطا في التعاونيات الزراعية ، على قدم المساواة مع الرجل وقبل كل شيء مع زوجها . لقد ولت تلك الايام التي كانت تقوم فيها بأعمال الحقل وتربية الدواجن والقيام بالواجبات المنزلية والاعتناء بالاطفال وغير ذلك من المهمات منفردة ، بينما كان زوجها الكسول مسترخيا في مركز البيت وكان يعتبر مع هذا " الدعاية الاساسية " للعائلة . ان الاجور تدفع الان منفصلة من الان فصاعدا ، مما يعطي الدليل القاطع على مساهمة كل منهما في الدخل المشترك " (١٣) .

المرأة الفلسطينية :

١ - لا تشكل فلسطين أمة بنفس مفهوم الامة الفيتنامية . في الفيتنام ، تكون المجتمع من وحدات اجتماعية صلبة على مستوى الضيعة او القرية والتي لم تحفظ الهوية الفيتنامية من الجهود الجبارة الصينية للاذابة فقط ، بل كانت هذه الوحدات تكون معظم الجيوش التي حاربت الغزو الاجنبي . فالهوية الفيتنامية متأصلة وتعززت على مدى الفي عام من النضال ضد الطبيعة وضد المارد الصيني .

اما الفلسطينيون فيرجع تاريخهم كشعب الى الاف السنين . غير ان الحديث عن الهوية (القومية) الفلسطينية هي ظاهرة صدفية في نوعها . هل الفلسطينيون جزء من العالم الاسلامي ، ام العالم العربي ، او سوريا الكبرى ، ام كل هذا لاشياء مجتمعة ؟ ان تحديد الهوية هي اول خطوة نحو تحقيق الاستقلال . ان للمرأة الفيتنامية ، على سبيل المثال ، عشرات البطلات في الاساطير والحكايات الشعبية وفي الحياة العملية كذلك (مثل الاخوان تورنج) . الا ان ابطال وبطالات الشعب الفلسطيني ندر حتى عهد قريب ان كانوا من الفلسطينيين .

كما لا يمكننا فهم التطور التاريخي للشعب الفلسطيني بمعزل عن محيطه العربي . في سنوات الخمسينيات كان جل ما تطمح اليه قيادات المرأة الفلسطينية هو تأسيس فرع فلسطيني في اتحاد المرأة العربية . ولم يتركز النضال بين افراد الشعب ولكنه كان يدور في عواصم الدول العربية . وحتى حين شكلت النشيطات تنظيمهن الوطني الخاص (الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية) ارتبط تقدمهن بشكل كبير جدا بالتنمية العربية ككل .

استعمار اخلائي / استيطانسي EVICTIVE/SETTLER COLNIALISM

لقد عانى الشعب الفيتنامي ، وخصوصا المرأة ، من الاستغلال الهائل على ايدي الفرنسيين ، غير انهم لم يكونوا هدفا للازاحة والتدمير كما تعرض له الشعب الفلسطيني . ان نجاح المشاريع

الاستعمارية الفرنسية لم يكن مرهونا بخلق امة جديدة بشعب جديد . هذا الفرق كانت له نتائج عميقة جدا في النضال من اجل التحرر الوطني عموما ، ومن اجل تحرير المرأة بوجه خاص . وقد شهدت مرحلة ما قبل ١٩٤٨ في فلسطين تطور نظامين اقتصاديين مستقلين ومتنافسين وغير متكافئين في اطار الانتداب البريطاني :

اقتصاد فلسطيني تقليدي ، واقتصاد صهيوني حديث متكامل مع الاقتصاد الرأسمالي العالمي . ان الفلاحين الفقيرين الذين دفعوا تدريجيا للابتعاد عن اراضيهم لم يكن يتم استيعابهم في القطاع الصناعي الحديث او حتى في القطاع الرأسمالي الزراعي . فقد كان كلا المجالين مهيمن عليهما من قبل المهاجرين الاجانب الجدد . وعوضا عن ذلك تم استيعابهم في قطاع الخدمات اما بالنسبة للنساء ، فهن لم يفقدن مكانتهن الاقتصادية السابقة فحسب بل وبقين بلا عمل . علاوة على ذلك لم يكن اهتمام بريطانيا في فلسطين اقتصاديا في اساسه ، حيث لم تشهد فترة الانتداب اقامة مشاريع استعمارية مثل المصانع وورش النسيج او مزارع المطاط والمناجم مثل تلك التي اقامها الفرنسيون ، ان اهتمام بريطانيا الاساسي كان استراتيجيا من اهم عناصره خلق " وطن قومي لليهود ولهذا الاسباب جميعها كان هناك بناء تحت اناجي ضعيف .

وهكذا في الوقت الذي انتعشت فيه البورجوازية الوطنية الفيتنامية ، ظلت البورجوازية الفلسطينية هامشية تحت ظروف من " الرأسمالية السطحية " . ولهذا لم تمر حركة التحرر النسائي الفلسطينية - كما هو الحال لدى المرأة الفيتنامية - خلال المرحلة الاولى المشابهة الى حد كبير الحركات النسائية للمطالبة " بحقوق متساوية " بين نساء الطبقات المتوسطة في المجتمع الرأسمالي .

فمنذ البداية كانت الحركة النسائية الفلسطينية مرتبطة بالقضية الوطنية . فقد كان اول ظهور واعى هي محاولة تأسيس اتحاد نسائي فلسطيني عام ١٩٢١ من قبل اميليا السكاكيني وزليخة الشهابي . وكان الهدف المعلن وراء ذلك هو تنظيم مظاهرات وتقديم عرائض ضد التجاوزات الصهيونية . وبلغت المحاولات الاولى ذروتها في مؤتمرات القدس (١٦ اكتوبر ١٩٢٩) الذي اشتركت فيه حوالي ٣٠٠ من " السيدات " من جميع انحاء فلسطين معظمهن اعضاء في لجان نسائية عربية . وقد تناولت القرارات المتخذة في هذا المؤتمر قضايا سياسية وطنية ولم تبحث القضايا النسائية منفصلة .

ونتيجة اخرى للتجربة الاستعمارية كانت الاحتفاظ بالبناء الفوقي التقليدي - الذي اخذ بوضع المرأة . فعلى مستوى القرية مثلا لم يستمر نظام الحمولة بما يشمل من نظام السلطة الابوية نسب بل لقد تم تعزيزه بالسياسة البريطانية (والاسرائيلية فيما بعد) التي كانت توجه الامتيازات وتمنحها خلال هذه الطرق التقليدية .

وقد سمح للنساء بالمشاركة الفعلية في النضال الوطني فقط أثناء الهبات الوطنية وحتى حينها كان دور المرأة تقليديا ، وبالمقارنة مع المرأة العربية فان المرأة الفلسطينية تبدو جريئة وعسكرية الا انه بمقارنتها مع المرأة الفيتنامية تبدو غير منظمة ومساهمتها عفوية . فالحركة النسائية الفلسطينية طوال وجودها كانت تظهر وتختفي مع فيضان وانحسار المد الثوري .

ج - القيادة المناهضة للاستعمار :

كانت القيادة الفلسطينية قبل ١٩٤٨ تتشكل من عائلات اقطاعية - دينية مستقرة في المدن وكانت طبيعتها الطبقية والايديولوجية تعيق تعبئة جماهير الشعب الفلسطيني ، ولمدى اكبر تحرير المرأة .

كما كانت قيادات الحركات النسائية منعزلة عن جماهير النسوة طبقيا وثقافيا وتعليميا وجغرافيا ومثال ذلك الوفد النسائي الفلسطيني ذو الاعضاء السبعة وعشرين الى مؤتمر المرأة الشرقية الذي عقد في القاهرة من ١٥ الى ١٨ اكتوبر سنة ١٩٣٨ * وكان عنوان المؤتمر " المرأة العربية والقضية الفلسطينية " .

وكانت المبعوثات الفلسطينيات جميعهن من المتعلقات ومن عائلات مدنية . وقد تحدث في هذا المؤتمر كل من و . الخالدي (زوجة رئيس بلدية القدس السابق) و ه . الحسيني (زوجة رئيس بلدية غزة والذي كان بدوره ابن عم الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس العربي الاعلى) و ت . عبدالهادي (اخت الشهيد سليم عبد الهادي وزوجة عوني بيك عبد الهادي ، عضو المجلس العربي الاعلى المبعد في حينه وممثل الملك فيصل في مفاوضات فرماي ، و أ . الخضر (رئيسة لجنة المرأة العربية في عكا وزوجة احد المفكرين البارزين الذي كان سجيناً في حينه وأخت احد قادة الثورة السوريين فؤاد سالم) و س . النصار (رئيس لجنة المرأة العربية في حيفا وزوجة احد المفكرين البارزين نجيب نصار الذي اسس جريدة الكرمل في حيفا) وآخران . ناصر (مديرة مدرسة بيرزيت الثانوية) .

وقد تركزت الكلمات التي القينها حول الفلسطيني كضحية والصهاينة كقتلة والبريطانيين كرجال دولة مظللين . وكانت القضية الملحة في المؤتمر هي الخطر الصهيوني على الاسلام واللغة العربية . وكان السؤال المطروح دوماً : ما الذي تستطيع المرأة العربية ان تفعله لمساعدة الشعب الفلسطيني . ولسوء الحظ فان استخدامهم كلمة " المرأة " كان بالمعنى المحدود . الى جانب الخطب الرسمية وجمع التبرعات من اغنياء القاهرة فقد امضى اعضاء الوفد باقي وقتهم في التنزه بين اهرام القاهرة وزيارة استوديوهات السينما والقيام بالرحلات النيلية . وكانت تقام لهن حفلات الغناء في ضيافة رئيس الوزراء وآخرين وكانت امسا تهن ترفه بغناء ام كلثوم لا سواها .

د - التشتت والقيادة الجديدة :

لقد خلق فقدان الارض ووسائل الانتاج والتشتت في الدول العربية المحيطة ظروفًا جديدة للشعب الفلسطيني . وكانت النساء - كما هي العادة - الاشد معاناة . فقد تحولت اغلبيتهن من العمل الزراعي المنتج في القرية الى قوة عمل مأجور احتياطية في مخيمات اللاجئين . وقد جعل افقار الشعب الفلسطيني من الضروري دخول الاناث الى قوة العمل . ان امكانية الحصول على عمل لا تعني بالضرورة حق العمل . وفي الواقع فان دخول المرأة لسوق العمل لم يحدث تغييراً راديكالياً

* ان سجلات هذا المؤتمر تشكل وثيقة مهمة ومصدراً غنياً للمعلومات .

وعلى وضعها الاقتصادي أو الاجتماعي . فقد كانت المرأة الفلسطينية تتقاضى اجرا يقل عن اجر الرجل الفلسطيني الذي كان بدوره يتقاضى اجرا يقل عما يتقاضاه العامل المحلي . اضافة الى ذلك ، فان عمل المرأة الفلسطينية في وظائف معينة امتدادا لدورها التقليدي كان في الغالب موسميا .

لعله خارج عن نطاق البحث هنا ان نفصل الظروف الاجتماعية - الاقتصادية للمرأة الفلسطينية في مختلف دول الشتات او المناطق المحتلة او داخل خطوط ١٩٤٨ . الا انه من المهم ان نذكر نمو هذه المؤسسة الجديدة - المخيم (مخيم اللاجئين) .

يمكن تصنيف مخيمات اللاجئين الى ثلاث فئات رئيسية بالاعتماد على نوع الانتاج وقربها من المراكز المدنية . فهناك مخيمات زراعية (برج الشمالي في جنوب لبنان) ومخيمات صناعية (تل الزعتر) ومخيمات خدمات (صبرا وشاتيلا) (١٤) .

وعموما فان المخيمات قد عكست التناقضات الجديدة التي واجهتها المرأة الفلسطينية فهي من ناحية كانت تدخل قوة العمل بأعداد متزايدة وتترأس العائلة وتتلقى - على الاقل - تعليما ابتدائيا * . وكان يتوقع منها ان تدعم النضال من اجل التحرر الوطني ومن ناحية اخرى كانت المخيمات عبارة عن تجمعات لقرى كاملة ذات طابع محافظ وكانت الشخصيات التقليدية مثل المختار او رؤساء الحامولة يقومون بالادوار الرئيسية - وخصوصا في المخيمات الزراعية .

وقد برزت قيادة جديدة في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات . حين استحدثت عناصر من البورجوازية والبورجوازية الصغيرة جميع الفلسطينيين ليقودوا نضالهم المسلح . وفي عام ١٩٦٥ تسلموا زمام الامور في منظمة التحرير الفلسطينية . وقد خلقوا بذلك افضل فرصة مؤاتية حينئذ للنساء الفلسطينيات لتحرير أنفسهن . لماذا ؟ .

اولا : تم في هذه الفترة تعبئة عدد كبير جدا من الفلسطينيين حين تحولت القيادة من الدور السلبي الى الدور الايجابي .

ثانيا : كان يتم تنظيم الفلسطينيين على اساس هويتهم الوطنية في مؤسسات خاصة بهم . وهكذا تأسس الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في نفس السنة التي تأسست فيها منظمة التحرير الفلسطينية . وكان الهدف المعلن هو تعبئة طاقات النساء الفلسطينيات في خدمة النضال الوطني . (١٥) .

هـ - نشأة منظمات نسائية جديدة :

وبتكتيف الكفاح المسلح في نهاية الستينات ، شاركت المرأة الفلسطينية في الثورة بأعداد متزايدة وبأسلوب منظم ومتناسق اكثر من ذي قبل . وقد اصبح بعضهن مقاتلات . وسرعان ما اتضح ان ازمة القيادة قد حلت جزئيا . الا ان القيادات الجديدة لم يكن لديها برامج نضالية يومية

* كان عدد الاناث في مدارس المرحلة الاولى حوالي ٤٢ ٪ في مدارس المدن مقارنة - ٨ ٪ - في المدارس الريفية . اما في المخيمات فقد كان جميع الاطفال - ذكورا واناثا - يتلقون تعليما مدرسيا اوليا . (١٦) .

للشعب الفلسطيني العامل الذي كان يضم أغلبية النساء .

ان الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية قد عانى من استمرار أزمة القيادة كما عانى من القيادات الموجودة به ايضا . فعلى سبيل المثال كانت عصام عبد الهادي سكرتيرة لجنة المرأة العربية في نابلس سنة ١٩٤٩ وفي اغسطس عام ١٩٦٥ انتخبت رئيسة للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ولا تزال تشغل هذا المنصب حتى الان . فلم يستطع الاتحاد خارج نطاق المجموعة الصغيرة في المركز ان يصل الى أغلبية النساء الفلسطينيات كما اهتمت تعيّنتهن وتنظيمهن . وكان معظم الاعضاء ينضمون فقط لأغراض التصويت (١٧) . وبالانصياع للقيادة التي كانت تهتم بالسيطرة السياسية على الاتحاد أكثر من اهتمامها بتكامل النساء الاعضاء ، شعر معظم الاعضاء بالغربة داخل منظمتهن الخاصة بهن . ومثال آخر تورده روز ماري صابغ التي تحلل في مقالها المثير عن قيادات المرأة الفلسطينية في المناطق المحتلة خصائص من تسميهم بـ " الشخصيات " :-

" ام خليل تمثل اصدق تمثيل الطريقة التي تحول اليها دور الشخصية نتيجة لنمو التعبئة الوطنية : فهي (١) تتحدر من اسرة ملاك الاراضي في مدينة صغيرة (البيرة) (٢) ليست عالية التعليم (٣) اساليبها التنظيمية شخصية واستحوادية . (٤) تدخلها الشخصي كلي تقريبا . كما ان نواة الادارة تتشكل من طبقة واحدة - مجموعة من اصدقاء يثقون ببعضهن البعض . وليست موسعة لتضم عناصر من طبقات اخرى " (١٨) .

ولم تكن هناك محاولات لتشكيل مؤسسات نسائية جماهيرية حتى عام ١٩٧٦ حين تشكلت مؤسسة نجدة في لبنان وعام ١٩٧٨ حين تأسست لجان العمل النسائي واتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة . وقياداتها تضم عاملات وفلاحات ومهنيات وطالبات وأخريات في اعمال كتابية .

كما انهن ينظمن على شكل لجان في القرى والمخيمات والأحياء ، وقد استغنين عن الزخارف مثل اقتناء المكاتب ، وقد دعون في بيانهن الى الدمج بين الأهداف النسائية والتحرر الطبقي والوطني . وكما افادت إحدى المؤسسات :

" لقد عملنا على تشكيل اللجنة لأن الجمعيات القديمة لم تكن تشجع النساء العاملات وقد كانت هذه الجمعيات تقدم الاموال والخدمات بدون ان تكون لديها برامج تطويرية كما لم تكن تحاول ان تخلق وعيا نسائيا . اما نحن فاننا نذهب للنساء ونحاول ان نشركهن في النشاطات الاجتماعية والسياسية . لقد كانت الجمعيات القديمة ترفضنا في البدء كقادمين جدد . وكان هذا يسبب لنا المشاكل الا انها تمد لنا يد العون اليوم " (١٩)

سواء كانت لجان المرأة العاملة علامة على درب لمستقبل ام لا فلا يزال الوقت مبكرا لمعرفة ذلك ، الا ان تقييمهما الاخير يدل على ان تقدما كبيرا قد تم انجازه . فقد ارتفعت العضوية من مجرد حفنة قليلة سنة ١٩٧٨ الى أكثر من ١٥٠٠ سنة ١٩٨٢ واغلبيتهن في اعمار تتراوح بين ٢٠ - ٣٠ سنة من العاملات والموظفات اللاتي يسكن في القرى . كما قفز عدد المراكز خلال سنة واحدة ١٩٨١ / ٢ من ١٥ الى ٣٤ مركزا (٢٠) .

الخلاصة :-

تستخدم كلمة " فيتنام " من قبل جميع المعادين للامبريالية كتحذير لحكومة الولايات المتحدة الامريكية بنفس الطريقة التي يستخدم فيها ضحايا دراكولا الصليب لابقاء ذلك الوحش

المنعش للدماء هادئا . ان حركة المقاومة الفلسطينية لتتخذ من فيتنام وكوبا مثلا للحرب الشعبية . غير ان القيام بهذا البحث قد ترك لدى انطباعا بالفرق الهائل بين الحرب الشعبية كحقيقة عملية وكشعار . وحقيقة ان الفرق الهائل بين الحاليتين الفيتنامية والفلسطينية يكمن في ما اذا كان الشعب (بمعناه الشامل للنساء والطبقات العاملة) منظما ومعيا وقادرا على خوض غمار حرب مكلفة ام لا ؟ .

ويجب ان نذكر انه منذ التورط الامريكي في فيتنام تكبد الشعب الفيتنامي اكثر من ١٥ مليون شهيد واكثر من ثلاثة ملايين جريح . كما امطرت فيتنام بالقنابل ما يوازي اضعاف ما استخدم في الحرب العالمية الثانية وجردت اراضيها من الاشجار الا ان البناء الاشتراكي في الشمال كان قادرا على زيادة القدرة الانتاجية وان يجهز عدة الحرب الهائلة وان يمحو الامية وان يضمن مساواة الحقوق للمرأة في القانون والحياة - جميعها على وتيرة عجزان تاملها حتى الدول التي لم تكن مستعمرة . ومن الواضح ان تقدم المرأة الفيتنامية قد ارتبط ارتباطا عضويا بتقدم المجتمع الفيتنامي ككل .

هل يمكن ان نعزى ضالة الحركة النسائية الفلسطينية خلال الكفاح من اجل التحرر الوطني الى الضعف العام والتناقضات الموجودة في القيادة . انني اميل الى الموافقة جزئيا . تشير شيلا روبرتس في كتابها النساء والمقاومة والثورة الى ان :

" لقد برهنت البورجوازية الوطنية دوما على عدم قدرتها على تلبية جميع احتياجات دول العالم الثالث الفقيرة . وهذا ينطبق بشكل خاص على احتياجات نساء العالم الثالث الفقير . ولا يبدأ التفكير الجاد في مشكلة تحرر المرأة الا اذا تحول النضال من اجل التحرر الوطني الى حركة ثورية " (٢١) .

لقد تقدمت المرأة الفلسطينية على اخواتها العربيات ، وهذا لا يمكن انكاره . الا انه تعي اهمية دور المرأة في النضال من اجل التحرر الوطني لا يعني بالضرورة انها تحررت . اضافة الى ذلك ان تقدم المرأة الفلسطينية كان نتيجة ولم يكن بمعزل عن تطور مقاومة الشعب ككل اكثر منه نتيجة التقدم المادي (الاجتماعي - الاقتصادي) او التنظيمي (السياسي) . ومن يضمن حقا الا تكرار التجربة الجزائية مرة اخرى . احد ابعاد المقارنة هي الظروف الذاتية (مثل القيادة) والبعـد الاخر هو العامل الموضوعي التاريخي . وهناك عوامل اخرى تحدد آفاق نضال الشعوب من اجل التحرر الوطني تتراوح بين التراث الثقافي والتشكيلات الاجتماعية في مرحلة ما قبل الرأسمالية وانماط التجربة الاستعمارية والمحيط الاقليمي .

ان العقبة التي تواجهها المرأة الفلسطينية لتبدو اشد صعوبة وتعقيدا من تلك التي كانت لاختها الفيتنامية مثل تشتته في مناطق جغرافية واجتماعية واقتصادية واسعة جدا . اضافة الى انه حتى السبعينات لم تكن الهوية الفلسطينية قد تبلورت وحقت الاعتراف الدولي . فبالنسبة للفيتناميين فقد كانت هويتهم الوطنية موجودة منذ البداية علاوة على ان المساواة في العمل للمرأة الفيتنامية كانت نتاجا للضرورة التاريخية . اما فيما يتعلق بالمرأة الفلسطينية فان مثل هذا التراث لم يوجد في ذاكرة الشعب ليكون تغيير القيادة وإحداث تحول نوعي للوعي كافيا لتجاوز هذه العقبات ؟ ان هذا ليس واضحا بعد .

ملحق

بعض الاحصاءات التي تتعلق بدور المرأة في فيتنام .

في الانتاج والخدمات

١٩٧٢ %	١٩٦١ %	
٤٢ر٢	٢٠	كوادر ، عاملات ، الخدمة المدنية ، الزراعة
٥٤	٢٤ر٧	مزارع الدولة
٦١	٥٧	القطاع الجماعي
٦٥ر٧	٤٣	الصناعة الخفيفة
٨٠	—	النسيج
٨٣	—	حياكة الملابس
٣١ر٧	١٣	المواصلات والاتصالات
٣٤	—	البناء
٦٠	—	الاغذية والمواد الغذائية
٣٨ر٤	١٠ر٣	بريد - برق - هاتف
٥٢ر٤	٣٥	الحرف اليدوية
٣٦ر٣	—	الثقافة
٥٨ر٢	٤١	الصحة العامة
٥٢	١٢	التعليم

في الادارة الاقتصادية

١٩٧٢	١٩٦٥	
		مديرين ومديرين مساعدين في مصانع مركزية الادارة .
١٣٠	٥٨	رؤساء ونواب رؤساء لشركات مركزية الادارة
٩٠	٣٢	رؤساء ومساعدي رؤساء في المجال التجاري الكبرى
١٠٠٧٣	—	رؤساء ومساعدي رؤساء تعاونيات
٦٩٤٣	٢٦٤٢	قيادات فرق العمل
١٣٩٨٧	٨٠٠٩	

في قيادة الدولة

على المستوى القومي	١٩٦٥	١٩٧٢
وزراء ونواب وزراء	٥	١٢
رؤساء ونواب رؤساء دوائر	٢١	٦٥
ومكاتب ومؤسسات	١١٥	١٨٣٧
رؤساء ونواب رؤساء مكاتب		

على مستوى الاقليم

نسبة النساء في المجالس الشعبية	% ٢٢.٨	% ٣٤.٧
نواب رؤساء في اللجان الادارية	٢	١٠
اعضاء لجان ادارية	٣٦	٤٢
رؤساء ونواب رؤساء في الخدمات والفروع	-	٢٢١

على مستوى المنطقة

نسبة النساء في المجالس الشعبية	% ٢٠.٧	% ٤٠
رؤساء ونواب رؤساء في اللجان الادارية	٩	٢٠١
اعضاء في اللجان الادارية	٣٠٨	٥٥٣

على مستوى القرية

نسبة النساء في المجالس الشعبية	% ١٦.٥	% ٤٠.٩
رؤساء ونواب رؤساء في اللجان الادارية	٨١	٣٣٨٩
اعضاء في اللجان الادارية	٣٨٢٠	١٠٣٣٠

النساء الاعضاء في الجمعية الوطنية (الدورة الرابعة)

عاملات	٣٣
فلاحات	٤٦
متعلمات	٢٤
قوميات اقلية	١٤
شابات	٥٧
بطولات	٧
نسبة النساء في الدورة الثانية ١٩٦١	١١٦٪
نسبة النساء في الدورة الرابعة ١٩٧٢	٢٩٧٪

النساء في التعليم

معلمات

١٩٧٢

١٩٦١

٢٠٥٠٠

٥٦٧٨

٤٤٢٨٦

٤٦١٦

٢٤١٦٧

٧٢٩

٣١٣٤

١٠٦

١٢٣٤

٨٥

١٣٢٩

-

٢٩٩١

-

الحضانة والمدارس

مدارس المستوى الاول

مدارس المستوى الثاني

مدارس المستوى الثالث

الجامعة

معلمات متخصصات

ناظرات ومساعدات نظار في

المدارس التعليمية العامة

طالبات

نسبة البنات في مدارس المستوى

الاول والثاني والثالث

المدارس المتوسطة او المتخصصة

التعليم العالي

٤٧٦٤٪

٣٩٥٤٪

٥٠٪

١٥٪

٤٣٥٤٪

١٠١٪

- 1- Indochina Issues, "Vietnamese Women: Neglected Promises", No. 42, December 1983, p.4.
- 2- For evaluation of the progress of Palestinian Women see Ghazi al-Khalili's The Palestinian Woman and the Revolution pp. 133-211; Bassem Sirhan's "The Traditionalism of the Palestinian Woman in Lebanon and her Participation in the Revolution", Journal of Palestine Studies, No. 6, Jan. 1972.
- 3- Mai Thi Tu, Le Thi Nham Tuyet, Women in Vietnam, (Hanoi, 1978), P.30.
- 4- Ibid, p. 42.
- 5- Vietnam Resource Center, Vietnamese Women in Society and Revolution, 1. The French Colonial Period, (Cambridge, 1974) p. 49.
- 6- Women in Vietnam, p.117
- 7- Christine Pelger White, Collectives and the Status of Women: The Vietnamese Experience, CERES no. 94, p.26.
- 8- Kathleen Gough, Ten Times More Beautiful: The Rebuilding of Vietnam, (Monthly Review Press, New York, 1978), P. 81.
- 9- Sheila Rowbotham, Women, Resistance and Revolution, (New York, 1972), P.213
- 10- Ibid, 216.
- 11- Indochina Issues, "Vietnamese Women", p.5.
- 12- Ibid, p. 5.
- 13- Women in Vietnam, p. 214.
- 14- Ghazi al-Khalili, The Palestinian Woman and the Revolution, (Palestine Liberation Organization Research Center, Beirut, 1977), p. 213.
- 15- Constitution of General Union of Palestinian Women, Article IV, Item 1.
- 16- Al-Khalili, The Palestinian Woman, p. 73.
- 17- Speech by Mai Sayigh, Beirut, 1980.
- 18- Rosemary Sayigh, "Palestinian Women under Occupation", Journal of Palestine Studies, Vol. X, No. 4, Summer 1981, p. 13.
- 19- Ibid, p. 18.
- 20- Report to the Second General Conference of the Women's Work Committee in the Occupied Territories, "Towards Building a United Women's Movement in the Occupied Territories", March 1983, p.11.
- 21- Rowbotham, Women, Resistance and Revolution, p.205.



زيتون الضفة الغربية
الواقع والاحتياجات
في منطقة رام الله

بقلم : سميح البرغوثي

= مدخل =
=====

الامر الذي لا يحتاج الى دليل او برهان ، هو ان التخطيط السليم انما هو ذلك الذي يأتي
تلبية للحاجة الماسة التي تفرضها الظروف الموضوعية للواقع الذي يراد له ان يتطور وينمو ويصمد
في وجه كافة الظروف والاحتمالات . فاذا اردنا ان نحيط . بحاجات هذا الواقع ، وخصوصا الطحة
منها ، فانه يترتب علينا ان نعرفه معرفة حقيقية لا تخضع للرغبات الذاتية وانما تأتي انعكاسا
لمسح دقيق لخصائص هذا الواقع ، لمميزاته ، لثرواته ، ولكل ما يتمثل على ارضيته من حقائق ،
وذلك بشكل شامل ، امين ودقيق . ولا بد ايضا ان نراعي ونحن في سبيل هذا التخطيط ، ان الهدف
الذي نسعى اليه ، انما يستهدف خدمة الناس ، خدمة ابناء هذه الرقعة الجغرافية من الارض التي
نسُميها وطنهم . وما دام الهدف الأسمى هو خدمة ابناء هذا الوطن فلا بد ان نلم بصورة هذا
الوطن ، بجغرافيته ، وبتقسيماته الادارية وبكيفية توزيع مدنه وقراه ، وبالتمايز الذي تنفرد فيه كل
منطقة من مناطق عن الاخرى ، فالوطن هو اشبه بالدولاب ، وكل قرية او تجمع سكاني فيه هو اشبه
بأحد اسنان هذا الدولاب . واية دراسة او مسح لمميزات سن من هذه الاسنان لا بد وان تتم بترباط
مع كافة الاسنان في الدولاب ومع الدولاب ككل .

اذا ما وعينا هذه القاعدة ، واسترشدنا بها ، فلأبأس حينئذ اذا ما حصرنا اهتمامنا باحد اركان
هذا الوطن : ومسحنه ، وقمنا بدراسة ظروفه ومميزاته ، واستخلصنا بالتالي ، الاشياء والمشاريع التي
هو في امس الحاجة اليها . بهذا النهج نعتقد انه من الممكن اتخاذ الموقف السليم العادل تجاه
أى مشروع او مؤسسة تتعامل مع واقع اية منطقة من مناطق بلادنا ، وبهذا سيمكن تجنب اى موقف
متحابي او منحاز من قبل اى طرف من الاطراف .

= بعض الحقائق عن الصفة الغربية =

تبلغ مساحة الضفة الغربية ٢٧٧٠٠٠ دونما (١) وهي مقسمة الى ثمانية مناطق هي :

(١) لواء الخليل (٢) لواء بيت لحم (٣) لواء القدس (٤) لواء اريحا والاغوار .

(٥) لواء رام الله (٦) لواء نابلس (٧) لواء طولكرم (٨) لواء جنين . وتبلغ مساحة الارض المزروعة باشجار الزيتون المثمرة في هذه الالوية : ٧٥٦ الف دونم وهذه المساحة تشكل ٧٣٪ من مجموع مساحة الارض المغروسة بالاشجار المثمرة (٢) و ٣٢ ر ١٣٪ من مساحة الضفة الغربية بأكملها (٣) . ومن الامور الملاحظة في الضفة الغربية ان مساحة الارض المغروسة بالزيتون تزداد باضطراد ، وذلك لاسباب كثيرة منها :

(ب) كون زراعة الزيتون هي الزراعة الوحيدة الممكنة في كثير من الاراضي الجبلية والجافة، اذ يمكن لشجرة الزيتون ان تتحمل الظروف البيئية القاسية اكثر من غيرها من الاشجار الاخرى.

(ج) كون محصول الزيتون يشكل مصدرا لدخل معظم المزارعين وكانت نسبة مساهمته في الدخل الزراعي الاجمالي خلال السنوات العشر الاخيرة ٢٥٪ منه (٤) . ونقول معدل بسبب تبادل الاخصاب بين سنة واخرى لتتراوح بين ١٠ - ٤٠٪ وهو امر يجعل من زراعة الزيتون وكأنها واجب عام يشترك فيه كافة المواطنين .

د) لخصوصية اهمية شجرة الزيتون بالنسبة لمزاعي الضفة الغربية التي قد تفوق في اهميتها الأهمية الاقتصادية . ذلك انها تشكل جزءا اساسيا تاريخيا في حياة الناس الذين يرتبطون بها بشكل اشبه بارتباطهم بترائهم وتاريخهم واراضهم . لقد كانت شجرة الزيتون تشكل على مر القرون مصدر الدخل الوحيد لهم .

تقدر بعض المصادر ، انه بالرغم من الظروف الفريدة في قسوتها التي تمر بها المناطق المحتلة ، فإن ما يتم زراعته سنويا من اشتال الزيتون يصل الى نصف مليون شتلة (٥) ومن هنا فإن الرقم الخاص بالاراضي المزروعة بالزيتون ليس ثابتا وانما هو في تزايد مستمر ، وبالتالي فإن نسبة الاراضي المزروعة في الزيتون الى مساحة الضفة هي ايضا متغيرة اما نسبتها الى مساحة الارض المزروعة بالاشجار المثمرة الاخرى فتبقى متوازنة

وفي الغالب تميل لمصلحة شجرة الزيتون ، ذلك انه تجري ايضا زراعة الاشجار المثمرة الاخرى باستمرار . ومن هنا فان القول بأن مساحة الأرض المزروعة بالزيتون المثمر هي ٢٥٦ الف دونم هو قول نسبي ، اى بالنسبة للسنة التي جرى الاحصاء فيها . اما بالنسبة لحصة كل لواء من الوية الضفة من الزيتون فقد اختلفت الان عما كانت عليه قبل عام ١٩٦٧ ، فقد جرى سلخ عدد من القرى عن بعض الالوية لتضاف الى الوية اخرى كما جرى في كافة الالوية تقريبا . فعلى سبيل المثال ضمت قرى كثيرة كانت تابعة للواء القدس الى لواء رام الله ، وضمت قرى كثيرة ايضا كانت تابعة للواء نابلس الى لواء طولكرم كما تم محو بعض القرى وصودرت اراضيها كما حصل بالنسبة لقرى عمواس وبالو

وبيت نوبا في منطقة اللطرون بلواء رام الله . ومن هنا نجد فروقات في كشف احصائي صدر قبل الاحتلال عن كشف آخر صدر بعد الاحتلال فيما يتعلق لما يملكه كل لواء من الارض الزيتونية . اما مساحات الاراضي المزروعة بالزيتون في الوية الضفة الغربية وفق تنظيمها الحالي فيبينها الكشف التالي (٦) :

اللواء	مساحة الارض المزروعة زيتونا مثمرا بالدونم	مساحة الارض الزيتونية غير المثمر بالدونم	المجموع
الخليل	٢٠ ر ٢٩٩	٢٥ ر ١٧٦	٤٥ ر ٤٧٥
بيت لحم	١٢ ر ٩١٩	؟	١٢ ر ٩١٩
القدس	٢ ر ١٥٠	؟	٢ ر ١٥٠
رام الله	١٤٧ ر ٥٣٦	؟	١٤٧ ر ٥٣٦
اريحا والاغوار	٦٩	؟	٦٩
نابلس	١٤٧ ر ١٧٠	٨ ر ٩٥٠	١٥٦ ر ١٢٠
جنين	١٢٩ ر ١٨٨	٥ ر ٦١٣	١٣٤ ر ٥٣١
طولكرم	٢١٤ ر ٠١٦	١٥ ر ٠٩٦	٢٢٩ ر ١١٢

في غمرة قيامنا بهذه الدراسة تبين لنا ان هنالك اختلافات او فروقات في الاحصائيات التي تصدر عن هذه الجهة او تلك ، بل ان هنالك فروقات فيما يصدر عن الجهة الواحدة نفسها ، وتفسير ذلك في رأينا هو أنه في غياب احصاء دقيق تجريبية سلطة وطنية وتستوحي فيه مصلحة الوطن والمواطن فلا بد من مواجهة هذه الحال . وهذه هي احدى المشاكل التي تواجهها المناطق المحتلة . كذلك فانه جرى احيانا كما افاد المهندس اسطنبولي - وهو مهندس زراعي معتمد - اغفال ذكر المساحات الصغيرة المفروسة بالزيتون التي تمتلكها بعض القرى ويقتصر الامر على تلك التي تملك اكثر من خمسمية دونم وحسب ١

اما بالنسبة لما يملكه قطاع غزة من الارض الزيتونية فيبلغ احد عشر الف دونما (٧)
اما المساحات من الاراضي التي جرى غرسها بالزيتون خلال العشر سنوات الماضية فيبينها الجدول التالي :

السنة	المساحة بالدونم	
١٩٧٥ / ١٩٧٤	٦١٨	(٨)
١٩٧٦ / ١٩٧٥	٦٢٧	(٨)
٧٧ / ٧٦	٦٢٢	(٨)
٧٨ / ٧٧	٦٥٤	(٨)
٧٩ / ٧٨	٦٦٠	(٨)
٨٠ / ٧٩	٦٦٣	(٨)
٨١ / ٨٠	٦٦٤	(٨)
٨٢ / ٨١	٦٨٢	(٩)
٨٣ / ٨٢	٦٩١	(٩)
٨٤ / ٨٣	٧٥٦	(٩)

المجموع ٦٣٣ ر ٦ دونما

- انتاج الزيتون بالنسبة للدخل الاجمالي الزراعي بملايين الدنانير الاردنية -
من سنة ١٩٧٣ - سنة ١٩٨٢

يعتبر انتاج الزيتون في الضفة الغربية احد المصادر الرئيسية للدخل ، غير ان تفاوت الانتاج بين سنة واخرى بشكل حاد ، والاساليب غير المتطورة في معالجة استخلاص مادة زيت الزيتون وطرق تغليبه البدائية واساليب تسويقه العشوائية ومسابر هذا التسويق يصيبان المنتج بافدح الخسائر الامر الذي اورث الكثير من المنتجين شعور الاحباط ، ومع ذلك فالجدول التالي يبين انه بالرغم من هذه العوامل فان حصة الزيتون من مجمل الدخل الزراعي بلغت ما يقارب الخمسة وعشرين بالمئة من هذا الدخل والجدول التالي يبين ذلك :

المساحات التي جرى عرسها خلال العشر سنوات الماضية

الموسم	مجمل الدخل الزراعي بملايين الدنانير الأردنية	انتاج الزيتون بملايين الدنانير الأردنية	النسبة المئوية
١٩٧٤ / ١٩٧٣	٢٧ ر ٨	٣ ر ٩٠	١٤ (١٠)
٧٥ / ٧٤	٤٦ ر ٢	١٨ ر ٠٢	٣٩ (١٠)
٧٦ / ٧٥	٣٤ ر ٨	٢ ر ٧٢	٨ (١٠)
٧٧ / ٧٦	٤٢ ر ٨	١٠ ر ٢٥	٢٤ (١٠)
٧٨ / ٧٧	٣١ ر ٢	٣ ر ١٢	١٠ (١٠)
٧٩ / ٧٨	٥٦ ر ٨	٢٢ ر ٧٢	٤٠ (١٠)
٨٠ / ٧٩	٥٦ ر ٣	١٢ ر ٣٩	٢٢ (١٠)
٨١ ر ٨٠	١٠٤ ر ٢	٣٩ ر ٦٠	٣٨ (١٠)
٨٢ / ٨١	٩٠ ر ٢	١٤ ر ٥٣	١٦ (١١)

٢٣ ر ٤٤

١٤ ر ١٤

٥٤ ر ٤٦

المعدل

ما هو نصيب لواء رام الله في اجمالي انتاج الزيتون في الضفة الغربية ؟

نواجه هنا مثلاً صارخاً على ما اتينا على ذكره من فروقات في الاحصائيات . فمثلاً تقول النشرة الاحصائية السنوية للضفة الغربية وقطاع غزة لعام ١٩٨٢ رقم ٣ الصادرة عن مركز الدراسات الريفية لجامعة النجاح ان لواء رام الله يمتلك ١٤٣٧١٢ دونماً من الاراضي الزيتونية، بينما يقول نفس المركز في نشرة اخرى له بعنوان " اوضاع معاصر الزيتون في الضفة الغربية " الصادرة في نفس العام ١٩٨٢ ان ما يمتلكه لواء رام الله من الاراضي الزيتونية هو ١٣٦٠٨٠ دونماً (١٢) . هذا من جهة ومن جهة اخرى تقول مصادر دوائر الزراعة ان لواء رام الله يمتلك ١٤٧٥٣٦ (١٣) دونماً زيتونياً ، بينما يقول المهندس داود اسطنبولي ان ما يملكه اللواء هو ١٣٠٤٩١ دونماً (١٤) . لقد برر المهندس اسطنبولي الفرق بين رقمه ورقم دوائر الزراعة بسببين الاول انه كان قد اغفل عمداً في احصائه المساحات التي تملكها القرى والتي تقل عن خمسمية دونم اما السبب الثاني فهو ان دائرة الزراعة اضافت الى لواء رام الله ما تملكه القرى التي سلخت عن لواء القدس من الاراضي الزيتونية والتي تبلغ ١٨٧ ٣ دونماً . وبهذا التفسير الذي تأكدنا منه جرى التطابق بين رقم المهندس اسطنبولي ورقم دائرة الزراعة . والاحصائية التي سنعتمدها هنا هي احصائية المهندس المعتمد مضافاً اليها تلك المساحات التي كان قد اغفلها والمساحة الصافية للاراضي الزيتونية في لواء رام الله هي ١٤٤ ر ٣٤٩ دونماً .

نسبة زيتون لواء رام الله الى اجمالي الزيتون في الضفة الغربية .

إذا كان لواء رام الله يمتلك ٣٤٩ ر ١٤٤ دونما من الأرض الزيتونية وكان هنالك في الضفة ٧٥٦,٠٠٠ دونما زيتونيا فإن نسبة ما يملكه اللواء المذكور تصل الى حوالي ٢٠٪ من زيتون الضفة أي ان خمس انتاج الضفة من الزيتون يأتي من لواء ارام الله . فاذا كان معدل انتاج الدونم الواحد من الزيتون كما افادت احصائيات دوائر الزراعة واحصائيات مركز الابحاث في جامعة بيرزيت ومركز الدراسات الريفية في جامعة النجاح ، وكلها جهات معتمدة ، هو ١٥٠ كيلوغراما من الزيت فإن انتاج الضفة من الزيت يبلغ في المعدل نظريا وفق التسلسل المنطقي ما يلي :

٧٥٦,٠٠٠ دونما $\times$ ١٥٠ كغم = ١١٣٤٠٠ ر ٠٠٠ كيلوغراما أي ٤٠٠ ر ١١٣ طنا من الزيت .

جصة لواء رام الله منه هي :

$$١١٣٤٠٠ \times \frac{٢٠}{١٠٠} = ٢٢٨٠٠ \text{ ر } ٢٢ \text{ طنا}$$

هنالك ملاحظة لا بد من ايرادها هنا وهي تتعلق بتلك المساحة التي تسمى دونما من الأرض المزروعة زيتونا . ان المتطلع الى تضاريس الضفة الغربية وخصوصا المناطق الجبلية التي تتواجد فيها غالبية الأرض المزروعة زيتونا يرى ان هنالك ضرورة ملحة لايجاد تعريف دقيق " لدونم الزيتون " وقد يستهجن بعض الناس محاولتنا هذه الا ان الواقع يبررها . فمثلا قد تنظر الى قطعة أرض جبلية فتجد انها مغروسة بالكامل بالزيتون ، فاذا ما اردت تقدير انتاجها وفق الاحصائيات السابقة فما عليك الا تحسب مساحتها بالدونمات ثم تضرب الناتج في المعدل فتخرج بانتاجيتها غير ان الرقم الذي ستصل اليه لن يكون واقعا ، واليك الدليل : الدونم هو الف متر مربع والمعروف ان زراعة الزيتون تراعي بعداً اقله ثمانية امتار بين الشجرة والاخرى ، وبالتالي فان الدونم سيتسع الى ما تتسع له مساحة الدونم الواحد أي ٣٠ $\times$ ٣٣ م أي ٤ $\times$ ٤ = ١٦ شجرة على اكثر الفروض ، فاذا ما حسبنا عدد الشجر في الأرض الجبلية التي اتينا على ذكرها فاننا سنجد حتما انه اقل مما تفترضه فيه مساحته وبالتالي فان حساباتنا لانتاجيته جانبتهما الدقيقة . ان دونم الزيتون الذي يبلغ انتاجه في المعدل ١٥٠ كغم من الزيت هو ذلك الذي يحتوي على ١٦ او ١٤ شجرة من الزيتون . واملنا كبير ان تراعى هذه النقطة في الاحصائيات التي تجريها اية جهة من الجهات .

وفقا لما ذكرنا بالنسبة لتعريف " دونم الزيتون " ووفقا لاختلاف انتاجية كل شجرة عن الاخرى وفق عمرها ووفق نوعية الأرض التي نبتت فيها فان الرقم المتضمن في الدراسة حول انتاجية الضفة من الزيت على اساس ضرب المساحة في معدل انتاجية الدونم الواحد أي ٧٥٦,٠٠٠ $\times$ ١٥٠ كغم = ١١٣٤٠٠ ر ٠٠٠ طنا " هو رقم نصل اليه عن طريق التسلسل المنطقي

وحسب وفيما اذا تساوت دونات الزيتون بالنسبة لعدد الشجر وحجمه ونوعيته . فهو اذن رقم نظري اما الارقام الواقعية فيبينها الكشف التالي :

الموسم	كمية الزيتون بالطن	الكمية المستعملة للتخليل بالطن	كمية الزيت المستخرج بالطن
١٩٧٥ / ٧٤	١٢٤٠٠٠ (١٥)	—	— (١٧)
٧٦ / ٧٥	٢١٠٠٠	—	—
٧٧ / ٧٦	٦٦٠٠٠	—	—
٧٨ / ٧٧	١٦٥٠٠٠	—	—
٧٩ / ٧٨	١٠٦٠٠٠	٦٥٨٤	٢٨ ر ٦٠٠
٨٠ / ٧٩	٢٥٠٠٠	١٠ ر ٠٠٠	٤ ر ٥٨٨
٨١ / ٨٠	١٣٧ ر ٠٠٠	١٥ ر ٠٠٠	٣٣ ر ٤٤١
٨٢ / ٨١	١٥٠ ر ٦٣٨	١٠ ر ٠٠٠	٣٥ ر ١٥٩
٨٣ / ٨٢	١٢٦ ر ٧٦٢	٢٠ ر ٠٠٠	٢٦ ر ٦٩٠
٨٤ / ٨٣	١٢٣ ر ٥٢ (١٦)	٧ ر ٠٠٠	١٢ ر ٦٣٤

معدل الانتاج ٩٧ ر ٠٦٤

المشكلات الرئيسية التي يواجهها مزارعو الزيتون في الضفة الغربية ؟

أهمية هذه المشكلات :

وفقا للاحصائيات التي أتينا على ذكرها يتبين ان حصة دخل الناس من شجرة الزيتون بلغت حدا يضعها في مصاف الاولويات الرئيسية التي يجب ان تنصرف الجهود لمنحها حقها من العناية والاهتمام الشديدين ، واهميتها القصوى لا تأتي من مجرد أنها تشكل ما معدله ٢٥ ٪ من اجمالي الدخل الزراعي للضفة الغربية كلها ، وانما للشعور المتميز العميق الذي يبديه المواطنون نحوها ، فضلا عن أنها تكون مصدر الدخل الوحيد للعديد من القرى في الضفة الغربية في مختلف مناطقها ، بالإضافة الى انه يمكن بها ومنها انشاء صناعات مختلفة تسهم في تطوير الضفة وتضاعف من دخل الناس وتفتح شهيتهم على الاعتناء بها واحاطتها بالكثير ممافتقده في الوقت الراهن ، وهي بهذا

كله تعتبر بكل تأكيد ثروة قومية بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

المشكلات :

اننا نههدف من وراء ابراز المشكلات تشخيص حل لها . والهدف من الحل هو تحقيق مردود افضل لمنتجات الزيتون ، اى زيادة دخل المزارع لا دخل المتاجرين بمشاكله لومتى زاد دخل المزارع انتعش اقتصاده الامر الذى سيؤدى بالتاكيد الى تمكين ارتباطه بأرضه ووطنه ، وتمكين ارتباطه بأرضه ووطنه هو امر يتناقض تناقضا عذائيا مع سياسة الاحتلال التي تسعى الى فض هذا الارتباط، وهنا تبرز عندنا اولى المشكلات واهمها على الاطلاق

وما دامت مشكلات الزيتون ترتبط بالغالبية العظمى من المواطنين في الضفة الغربية ، فهي اذن مشكلة عامة ، وكونها مشكلة عامة هو في حد ذاته مشكلة . اذ لا يمكن التعرض الى حلها حلا جذريا بمعزل عن الظروف السائدة حاليا في المناطق المحتلة ، اذ لو كانت محصورة ضمن نطاق ضيق لكان حلها ايسر ولكان من المستطاع معالجتها .

والمعروف اقتصاديا انه كلما قلت كلفة الانتاج زاد مردود المنتج وتوفرت له فرصة المنافسة بنجاح فهل يتوفر هذه الشروط في عملية انتاج الزيتون ؟ ولنتفحص الموضوع كما يتجلى على ارض الواقع تماما :

بالاضافة الى الطرق البدائية في قطف الزيتون وجمعه ونقله يعاني المزارعون من الكلفة العالية جدا التي يتكبدونها في كل هذه العمليات . لقد التهم سوق العمل الاسرائيلي الجزء الاكبر من الايدي العاملة وفق سياسة مرسومة من اهدافها كما قلنا فض الارتباط بين المواطن وارضه وتشغيل الايدي العاملة العربية الرخيصة نسبيا للعمل في المشاريع الاسرائيلية ، التي تصب بضائعها المنتجة في اسواق الضفة الغربية لتباع بالاسعار التي يحددها المنتج الاسرائيلي نفسه ، ولا خيار للناس هنا الاشراؤها . وتبعا لذلك يجد المزارع نفسه وقد اجبر على الدخول في منافسة غير متكافئة مع السوق الاسرائيلي لاغراض العمال بالعمل في ارضه ولا نحتاج هنا الى خيال واسع لتتعرف على النتيجة وهي ارتفاع مخيف في كلفة الانتاج بكل عناصرها من حرث وتقليم وتسميد وقطف ونقل فما ان يصل المنتج الى بيت المنتج حتى يكون قد دفع اكثر من نصفه اجورا على اقل تقدير . وهذه ايضا مشكلة .

ومن الامور المعروفة ايضا ان سعر المبيع للزيت يتوقف الى حد كبير على جودته والجودة تكاد تكون معدومة وفق ما هو متبع حاليا في معالجة نقل الزيتون وتخزينه وعصره وهذه ايضا مشكلة .

ولا تقف مشاكل المزارع عند هذا الحد فبعد ان خسر اكثر من نصف انتاجه في عمليات الحرث والقطف والجمع والنقل يعود فيخسر مرة اخرى اكثر من ١٥ ٪ من مجمل انتاجه اذا ما عصر زيتونة في معصرة قديمة او في معصرة تستعمل مكابس القفاف ، وذلك كزيت لا يستخلص ويذهب هدرا في الزيار وجفت القفاف ، هذا بالاضافة الى مبلغ كبير يتكبده في دفع اجر نقل زيتونة من بلدة الى حيث توجد المعصرة التي تتقاضى بدورها منه ما يقارب ١٠ ٪ من انتاجه اجرا على عصر زيتونة وهذه ايضا مشكلته .

ويلعب التسويق دورا اساسيا بالنسبة للمزارع ، غير ان سوق الزيت يخضع لعوامل ليس في مقدوره تذليلها لمصلحته ، بل الذي يحدث دائما انه يلعب بشرف دور الضحية !! وهذه ايضا مشكلته .

والنتيجة هي ان المزارع يشعر بالاحباط ولا يقطف من وراء عنائه ما يكفيه مؤونة الحاجة خصوصا وان موسمة ليس متجانسا ، ذلك ان الريح تهب معه سنة ، لتعود في السنة التي تليها لتهب عليه !!

ومن المشاكل المستجدة التي يواجهها المواطنون في المناطق المحتلة مشكلة البطالة ، التي ترتبط بشكل وثيق باقتصاد الضفة الغربية والتي تستدعي جديا الاهتمام التام السريع ، وما دامت ترتبط باقتصاد المناطق المحتلة فهي بالضرورة ترتبط بالزيتون وما ينتج عن الزيتون .

وفق الاحصائيات التي كانت قد صدرت عن مكتب الاحصائيات الاسرائيلية في اواخر عام ١٩٨٤ فان عدد العمال العرب الذين كانوا يعملون في سوق العمل الاسرائيلي واصبحوا الان يرسلون في سوق البطالة بلغ اثنين وستين الف عامل . والمعروف ان غالبية هؤلاء العمال هم من اصل ريفي فلاحي ، اضطروا للعمل في اسرائيل بضغط من ظروف الاحتلال التي تستهدف كما اشرنا في الارتباط بين المواطن وارضه ان هؤلاء يعيشون الان في جوع ومحنة حقيقتين ولا مجال امامهم في الوقت الحاضر الا التوجه نحو ارضهم والاهتمام من جديد بها ، وقد لوحظ في بداية الموسم الزراعي الحالي ، ان العديد منهم قد توجهوا بالفعل نحو ارضهم ، فاذا ما احس هؤلاء بالامان تجاه مستقبل منتجاتهم الزراعية ونزاهة وصحة اساليب معالجتها فان هذا سيشكل بالجزم احد الحوافر الاساسية التي تفتح من شهيتهم . نحو ارضهم وتمكين ارتباطهم بها . ان هذه المشكلة تعتبر من المشاكل الاساسية التي يجب ان تستحوذ على اهتمام كل جهة يهملها الامر حتى لا تتطور

وتتحول الى عملية ، هجرة جماعية يقوم بها هؤلاء العمال الى الخارج وهي ماتحلم به اسرائيل ان الاهتمام بأمر هذا العدد الضخم من العمال العاطلين يعني حل مشكلة البطالة التي تمثل قطاعا



كثيرا من المواطنين في المناطق المحتلة والذي يقدر عدده اذا ما اعتبرنا ان متوسط المعالين من قبل العامل الواحد هو اربعة افراد ، فان حل مشكلة العاطلين هو لاء تعني حل مشكلة $248000 = 4 \times 62000$ الف نسمة . واذا كان واقع لواء رام الله يشير الى ان الموسم الزراعي الاساسي فيه هو موسم الزيتون ، فان العناية بهذه الشجرة وبمنتجاتها اصبحت ملحة الان اكثر من اي وقت مضى ، وحل المشكلة في لواء رام الله يتأتى من خلال اىلاء المشاريع الزراعية ذات العلاقة بالزيتون الاهتمام اللائق بها ، خصوصا اذا ما قامت على اسس سليمة وتحررت من سيطرة الاتجاهات الذاتية والرغبات الفردية .

كيف توزعت معاصر الزيت في لواء رام الله

قلنا وفق الاحصائيات التي اعتمدتها كافة الجهات ان لواء رام الله ينتج من الزيت والزيتون خمس ما تنتجه الضفة الغربية برمتها والسؤال هنا هل تتساوى كافة مناطق رام الله في انتاج الزيتون ام ان هنالك تفاوتا كبيرا بين منطقة واخرى ؟ وكيف جرى توزيع معاصر الزيت في هذا اللواء ؟ هل جرى توزيعها وفق كثافة الزيتون ام ان توزيعها تم بصورة لم تراعى هذه الواقع ؟ ان كشفا دقيقا يعكس بأمانة الواقع الملموس ، ويصوره دون تزويق اصبح في مجرى بحثنا ضروريا . يتضمن الكشف التالي مدن وقرى لواء رام الله وما تملكه كل منها من الارض الزيتونية . ولقد اتبعنا في كشفنا هذا التصنيف الذي انتهجه المهندس المعتمد داود اسطنبولي مع استثناء واحد فقط وهو اننا اضفنا الى تصنيفه تلك القرى التي اغفلها قاصدا في تصنيفه . . . لقد قسم المهندس اسطنبولي لواء رام الله الى مجموعات على اساس عقد الطرق التي تصل بينها وعلى اساس ان كل مجموعة تقع ضمن دائرة لا يزيد نصف قطرها عن ٨ - ١٠ كم . كذلك ضمنا كشفنا عدد معاصر الزيت التي توجد في منطقة كل مجموعة اعتمدت دائرة الزراعة والمهندس اسطنبولي ، ومركز الدراسات الريفية التقسيم التالي للمعاصر وهو :

- (أ) معصرة حديثة اتوماتيك
- (ب) معصرة نصف اتوماتيك ذات مكابس قفاف
- (ج) معاصر قديمة .

ونحن هنا وعبر تجربتنا الحية لا نود ان نضمن كشفنا المعاصر القديمة لا شيء الا لانها اصبحت مهجورة تماما حتى من قبل اصحابها ، وايرادها في اى كشف او احصائية لا ينطوي على اية فائدة ، الا اذا كان قصدنا ان نثبت اننا ما زلنا نعيش في الماضي واننا نستجيب لانانية اصحاب هذه المعاصر ونرضيها على حساب المصلحة العامة . وهو امر نربأ بأنفسنا عن الوقوع في مزلقه .

كشف بلواء رام الله، مدنه وقراه والارض الزيتونيه وعدد المعاصر ونوعها
في كل مجموعة من المجموعات التي قسم اللواء اليها

=====

المجموعة الاولى	المساحة الزيتونيه بالدونم	معصرة اوتوماتيك خطان	معصرة اوتوماتيك خط واحد	نصف اوتوماتيك
رام الله	٢٦٦٨	١ عادي	-	-
البيرة	٤٩٦	-	-	-
بيتونيا	١٦٥	-	-	-
عين عريك	١٣٥٠	-	-	-
دير بزيغ	٣٥٠٠	-	-	-
عين قينيا	٤١٥	-	-	-
ابوقش	٥٠٥	-	-	-
سردا	٢٩٦	-	-	-

المجموع

١٠٨٨٠ دونما

١

المجموعة الثانية	عدد الدونمات	اوتوماتيك خطان	اوتوماتيك خط واحد	نصف اوتوماتيك
بيت عور الفوقا	٥٨٠	-	-	-
بيت عور التحتا	٢٥٠٠	١ عادي	-	-
بيت لقيصا	٢٦٠٠	١ عادي	-	١
صفا	٢٩٢٢	-	-	١
خربثا المصباح	١٥٨٤	-	-	٢
الطيرة	٥٠٨	-	-	-
بيت سيرا	٥٩٠	-	-	-

المجموع

١١٢٨٤

٢

خطين عادي

٤ نصف اوتوماتيك

المجموعة الثالثة	عدد الدونمات	اوتوماتيك خطان	اوتوماتيك خط واحد	نصف اوتوماتيك
خريثا بني حارث	٥٠٠	-	-	١
دير قدس	١٦٠٠	-	-	١
نفلين	٢٧٠٠	-	١	-
نقبا	٦٠٦	-	-	١
قبيبا	٥٤٣	-	-	١
بدرس	٣٧٥	-	-	-
شبتين	٢٢٨	-	-	-
المدية	٣١٤	-	-	-

المجموع ٦٨٦٦ - ١ خط واحد عادي ٤ نصف اوتوماتيك

المجموعة الرابعة	عدد الدونمات	اوتوماتيك خطان	اوتوماتيك خط واحد	نصف اوتوماتيك
دير عمار	٣٤٥٢	-	-	٢
بيت اللو	٥٠٥٠	-	-	-
الجانية	٢٣٦٠	-	-	-
راس كركر	٢٩٦٣	-	-	١
كفر نعمة	٢٦٠٠	-	-	-
بلعين	٥٥٠	-	-	-

المجموع ١٦٩٧٥ - ٣ نصف اوتوماتيك

المجموعة الخامسة	عدد الدونمات	اوتوماتيك خطان	اوتوماتيك خط واحد	نصف اوتوماتيك
عابود	٧٠٠٠	-	-	١
دير ابو مشعل	٢٣٢٠	-	١	١
اللبن الغربي	٨٢٠	-	-	-
رنتيس	٢٣٥٥	-	-	-
جمالا	٣٢٥٢	-	-	-

المجموع ١٥٧٤٧ - ١ عادي خط واحد ٢ نصف اوتوماتيك

المجموع للسادة	عدد الدونمات	اوتوماتيك خطان	اوتوماتيك خط واحد	نصف اوتوماتيك
عين سينا	٨٥٠	١ خطان عادي	-	-
جفنا	٢٥٤٠	-	-	-
ببر زيت	٥٠٩٨	-	-	-
المزرعة القبلية	٣٨٧٧	-	-	-
دورا القرع	٥٣٠	-	-	-
جيبيا وبرهام	١٤١٠	-	-	-
عطارة	٢٤٣٣	-	-	-
سنجل	٧١٢	-	-	-
كوير	١١٣٠	١ عادي	١	-
ترمسي	٣٠٧٥	-	-	١
خربة ابو فلاح	٢٠٠٠	-	-	-
المغير	٢١٣	-	-	-
ابو شخيدم	٥٨٢	-	-	-

المجموع

٢٤٤٥٠

٢ خطان عادي

١ خط واحد

١ نصف اوتوماتيك

المجموع للسادة	عدد الدونمات	اوتوماتيك خطان	اوتوماتيك خط واحد	نصف اوتوماتيك
المزرعة الشرقية	١٣٥٠	-	-	-
كفر مالك	١٢٢٠	-	-	-
سلواد	٣٦٠٥	١ عادي	-	-
الطيبة	٣٠٥٠	-	-	-
دير جريز	٥٢٩	-	-	-
عين يبرود	٢٩٠	-	-	-
رمون	٣٠٣٠	-	-	-
دير ديوان	٥٦٠٠	-	-	١

المجموع

١٨٦٧٤

١ خطان عادي

٢ نصف اوتوماتيك

المجموعة الثامنة	عدد الدونمات	اوتوماتيك خطان	اوتوماتيك خط واحد	نصف اوتوماتيك
جلجليا	٨٥٣	-	-	-
عبوين	٢١٦٤	-	-	-
مزارع التوباني	٢٣٢٤	-	-	-
عارورة	٢١٧٢	-	-	١
دير السودان	١٤٤٤	-	-	-
عجول	٢٥٢٠	-	-	-
ام صفا	٥٠٠	-	-	-
النبي صالح	٥٣٣	-	-	-
دير نظام	٨١٥	-	-	-
كفر عين	٥٤٢٧	-	-	-
قراوة بني زيد	٤٠٤٥	-	-	-
بني زيد	١٣٩٠٤	-	١ خط واحد	١
(دير غسانة	-	-	-	-
وبيت ريمما)	-	-	-	-
المجموع	٣٦٧٠١	-	١ عادي خط واحد قديمة	نصف اوتوماتيك

انه في الظروف السائدة في المناطق المحتلة، وفي ظل احتلال استيطاني كشف عن انياب لا تشبع لا بد وان تتخذ المعالجة اسلوبا متميزا وذكيا ليتفق مع هذا الواقع الشرس . اسلوب يهاجم الحدث ويتفاعل بايجابية معه ويتسلح بوجودانية تجعله يشعر بالسعادة عبر التضحية، عبر اسهامه في صنع الصمود لابناء شعبه ولو كان ذلك محصورا في ركن من اركان وطنه . وما دما قد اعطينا صورة امنية عن الواقع من حيث الموضوع المراد دراسته، فما علينا الا ان نتفاعل مع هذا الواقع ونحاول دفعه الى الامام عبر هذا التفاعل الذي سيتيح لنا فرصة تشخيص متطلباته في المرحلة الحالية وحسب واضعين في الاعتبار الحقائق التالية كما اظهرتها الاحصائيات المعتمدة وهي :

- (١) ان الدخل الزراعي يسهم بـ ٢٧٪ من الدخل القومي العام للصفة الغربية (١٨)
- (٢) ان دخل الزيتون يتراوح بين ١٠ - ٤٠٪ من الدخل الزراعي كله (١٩)
- (٣) ان ٤٦٪ من مجموع السكان يعتمدون على الزراعة (٢٠)
- (٤) ان لواء رام الله ينتج من الزيتون خمس ما تنتجه الضفة الغربية بكاملها .
- (٥) ان منطقة بني زيد الموءلفة من المدن والقرى التالية : بني زيد (دير غسانة وبيت ريمما)، النبي صالح، دير نظام، كفر عين، قراوة بني زيد، ام صفا، دير السودان، عجول، عارورة،

عبيون، جلجليا، مزارع النوباني، تنتج من الزيتون حوالي ثلث ما ينتجه لواء رام الله بكامله وليس في هذه المنطقة وفق الجدول السابق الذي استقيناه من الواقع الحي، الا معصرة اوتوماتيكية صغيرة ذات خط واحد من نوع فيراشي، قديمة العهد وانتاجها لا يتجاوز الخمسة اطنان من الزيتون في الاربع وعشرين ساعة، وهي كما قال وكيلها اوشكت على التهرؤ، ولا تعمل الا في الليل لضعف التيار الكهربائي، ولا تكفي حتى لسد حاجة المساهمين فيها، وبالإضافة اليها توجد معصرة قديمة نصف اوتوماتيك في بيت ريماء واخرى مثلها في عارورة. ومعاصر النصف اوتوماتيك تستعمل مكابس القفاف وكما تقول دوائر الزراعة فان اسلوب العصر بواسطة القفاف هو اسلوب متخلف يلحق بالمزارع ضررا فادحا يأتي مما يلي :

(ا) نقص في كمية الزيت المستخلص .

(ب) بطء شديد في الانتاج .

(ج) جودة الزيت المتدنية .

ذلك ان الزيت المتبقي في الجفت في هذه المعاصر يصل الى ما نسبته ١٠ ٪، بالإضافة الى ان القفاف تساعد على نقل صفات الزيت السيء الجودة الى الزيت الجيد الجودة. ومن صفات زيت الزيتون المعروفة ان الرداءة فيه تتغلب على الجودة وای تماس بين زيت جيد وزيت رديء يؤدي الى سيطرة الرداءة على الجودة . كذلك يخسر المزارع من زيتة ما تصل نسبته الى ٨ ٪ في الزبار بسبب انواع الفرازات المستعملة في هذا النوع من المعاصر (٢١). اما بطء الانتاج فيؤدي الى تأخير عصر الزيتون مما يرفع من درجة حرارته ويسرع التفاعلات الكيميائية في الثمرة الامر الذي يسفر عن زيادة حموضة الزيت وتدني نوعيته وبالتالي انخفاض اسعاره. ولنضرب مثلا : تقول احصائيات دوائر الزراعة ان نسبة السيولة في الزيتون تتراوح بين ٢٥ ٪،

و ٣٠ ٪. فاذا عصرنا زيتونا قدره ١٠٠٠ كغم في معصرة حديثة اوتوماتيكية ذات طاقة انتاجية عالية (ذلك ان المعاصر الاوتوماتيكية ليست متساوية في الانتاج، فمثلها كمثل السيارات من حيث الاختلاف في الحجم والطاقة وكل نوع منها له مواصفات وطاقة تختلف عن النوع الاخر) فالاوتوماتيك العادي ذات الخط الواحد ينتج في الاربع وعشرين ساعة ما لا يزيد عن ٥ طن زيتون بينما الخط الواحد في الاوتوماتيك السوبر ستاندارد يصل في انتاجيته الى اكثر من ٢٣ طنا في الاربع وعشرين ساعة بالإضافة الى ان الفرازات بين العادي والسوبر متميزة لمصلحة السوبر الذي تجرى فيه عملية غسل الفرازات بصورة اوتوماتيكية بين منتج واخر) فان الزيت المستخلص هو ٣٠٠ كغم اما في النصف اوتوماتيك فلن يصل الى اكثر من ٢٤٠ كغم والخسارة المترتبة بين الاوتوماتيك والنصف اوتوماتيك هي ٦٠ كغم من الزيت تخسر المعصر، ١ ٪ منها ويخسر المزارع الباقي وقدرة ٤٤ كغم . فاذا كانت الخسارة في طن واحد من الزيتون هي ٦٠ كغم فكم تبلغ على صعيد المنطقة واللواء والصفة باجمعها ؟ هذا بالإضافة الى الخسارة الناتجة عن تدني جودة الزيت والتي تبلغ وفق المثل الذي ضربناه ما يلي :-

٣٠٠ كغم زيت جيد	السعر ١٥٠ ديناراً للكيلوغرام الواحد	الثمن ٤٥٠ ديناراً
٣٠٠ زيت سيء	السعر ١ ديناراً	للكيلو غرام
		الثمن ٣٠٠ ديناراً

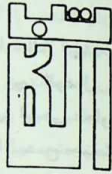
- (٦) ان حاجة المنطقة من المعاصر وفق القاعدة المتبعة كما اعلن مدير الزراعة وكذلك المهندس المعتمد تتوقف على حجم انتاجها من الزيتون ، والقاعدة المتبعة هي تخصيص معصرة اوتوماتيكية ذات خطين من الحجم السوبر لكل عشرة الاف دونم من الزيتون اما مركز الدراسات الريفية بجامعة النجاح فيقول انه حتى تصبح المعصرة الاوتوماتيكية مربحة فلا بد من ان يتوفر لديها ما لا يقل عن اربعة الاف دونم من الارض الزيتونية (٢٢) فلواخذنا المعدل من مايقوله المهندس المعتمد ومن ما يقوله مركز الدراسات الريفية لخرجنا بأن المنطقة في حاجة الى ستة معاصر اوتوماتيكية ذات خطين ومن النوع الكبير ١١ فما هي حال المزارعين في هذه المنطقة حالياً وقد خلت الا من معصرة اوتوماتيكية ذات خط واحد اكل الدهر عليها وشرب ومعصرتين نصف اوتوماتيك تعمل بقوة الاستمرار من قدم العهد بها ؟ . يضطر المزارعون من ابناء هذه المنطقة الى نقل زيتونهم الى المناطق البعيدة الاخيرة الغنية بالمعاصر والفقيرة بالزيتون . هذه هي الحال التي يتمتع بها ابناء المنطقة وهي حال تفرض عليهم المخاسر والمشاق التالية
- (أ) اجور باهظة لنقل زيتونهم ، وهي تتضاعف في الموسم .
 - (ب) التأخير في عصر الزيتون مما يلحق الاذى بنوعية الزيت ويخفض من سعره .
 - (ج) اضطراب المزارع بغية تجنب تعدد رحلاته الى المعاصر البعيدة ، الى تجميع انتاجه ريثما ينتهي من قطفه كاملاً ، الامر الذي يؤدى به الى تخزينه في بيته لمدة قد تصل الى ثلاثة اسابيع او اكثر ، اى تأخير عصره وبالتالي ايقاع الضرر القادح به .
 - (د) حتى لو توفر للمزارع العدد الكافي من العمال واستطاع جمع محصوله من الزيتون في فترة وجيزة ، فانه سيضطر الى انتظار دوره في العصر بسبب اكتظاظ المعصرة بالكثيرين من امثاله ، والانتظار معناه ابقاء زيتونة مكدسا في اكياس في جو المعصرة في ظل حرارة ورطوبة مرتفعتين لمدة ثلاثة او اربعة ايام ، فيواجه نتيجة ذلك ما حاول تجنبه بالاكثار من العمال ويخرب زيتونه
 - (هـ) هنالك عامل آخر لا بد من ذكره وهو ان غالبية المعاصر النصف اوتوماتيك هي ملك فردى انشئت بغرض الربح ليس الا . ومن السذاجة ان نتصور ان لاصحابها اهدافا اخرى تنطوي على تحرير المزارع مما يعاني من صعوبات في مجرى عملية عصر زيتونه . ويجهد اصحاب المعاصر بتقليل ضغط مكابس معاصرهم على القفاف خوفا من تهرئتها وشراء بديل لها وهو امر يتناقض مع اهدافهم في جني اعلى الارباح . وكلما تناقص الضغط على القفاف قل الزيت المستخلص من الدريس ، ويبقى الجفت (وهو دريس الزيتون بعد عصره) محتفظا بنسبة عالية من الزيت تذهب هدرًا ، ودليلنا على صحة هذا القول ان الجفت عنده قابلية هائلة للاحتراق فور عصره مباشرة ، فلو كان خاليا من الزيت لما احترق ، ولما اقبل على شرائه اصحاب مصانع الصابون لاستخلاص الزيت منه في الوقت الذي يديرون فيه ظهورهم للجفت الناتج عن المعاصر الاوتوماتيكية .

د) هنالك عامل آخر هام جدا ، وهو العامل الحضارى ، يتعلق بموقف المزارع شخصا من مختلف اشكال التعامل مع الزيتون من حيث الحفاظ على نظافته وتخزينه بطريقة تضمن تهويته وعدم ارتفاع درجة حرارته ، وكذلك استعمال اوعية مناسبة لنقله ، وفرز الثمر المعطوب عن الثمر البكر وعدم مزج الزيت الناتج عن كل منهما وتعليب زيتيه في اوعية جديدة لم تكن قد استعملت من قبل وتخزينه ان لم يبعه في مكان خال من الرطوبة .

المراجع :

- ١) مركز الدراسات الريفيه - جامعة النجاح - النشرة الاحصائية السنوية للمناطق المحتلة ١٩٨٢ رقم ٣ - ٠
- ٢) الواقع الزراعي في الارض المحتلة - داود اسطنبولي - عبد الرحمن ابو عرفة - يوسف العزة، الملتقى الفكرى القدس .
- ٣) المصدر السابق .
- ٤) المصدر السابق .
- ٥) دراسة تحليلية لمشاكل تسويق زيت الزيتون في الضفة الغربية . مركز الدراسات الريفيه - جامعة النجاح .
- ٦) النشرة الاحصائية للضفة الغربية وقطاع غزة - مركز الدراسات الريفيه - جامعة النجاح لعام ١٩٨٢ . رقم ٢
- ٧) المصدر السابق .
- ٨) البستنة الشجرية في الضفة الغربية المحتلة - حاضرها ومستقبلها - عبد الغني التايه .
- ٩) النشرات السنوية الاحصائية للمناطق المحتلة ٨٢/٨١/١٩٨٠ - مركز الدراسات الريفيه - جامعة النجاح .
- ١٠) واقع ومستقبل شجرة الزيتون في الضفة الغربية - هشام عورتاني .
- ١١) تقارير من دوائر الزراعة في الضفة الغربية .
- ١٢) مركز الدراسات الريفيه - جامعة النجاح -
- ١٣) ملفات دوائر الزراعة .
- ١٤) المهندس داود اسطنبولي - المهندس المعتمد -
- ١٥) البستنة الشجرية في الضفة الغربية - عبد الغني التايه .
- ١٦) النشرات الاحصائية السنوية ٨٢/٨١/٨٠ مركز الدراسات الريفيه - جامعة النجاح .
- ١٧) تقارير دوائر الزراعة والمهندس المعتمد .
- ١٨) الواقع الزراعي في الارض المحتلة - داود اسطنبولي - عبد الرحمن ابو عرفة - يوسف العزة
- ١٩) مركز الدراسات الريفيه - جامعة النجاح .
- ٢٠) مثل مصدر (١٨) .
- ٢١) اوضاع معاصر الزيتون في الضفة الغربية - مركز الدراسات الريفيه - جامعة النجاح .
- ٢٢) اوضاع معاصر الزيتون في الضفة الغربية - مركز الدراسات الريفيه - جامعة النجاح .





أي مجتمع يسعى الأخوان لبنائه ..؟

ومسلك غير اسلامي على مستوى الدولة او المجتمع وهو ما اصطلح عليه سياسيا .. بالدستور الاسلامي .. الذي يحجم حركة الافراد وحركة المؤسسات الاجتماعية التي تحكمهم ، والقوانين التي تسير تلك المؤسسات .

ولعل ذلك يتضح تماما في النص التالي :
" ولما كانت حركة المجتمع الجماعية يضبطها نظامها السياسي الذي تقوم على رأسه سلطة تنظم اقتصاده وتضع قوانينه وترسي شرائعه الاجتماعية كان لزاما ان تتوافق حركة افراده مع حركة نظامه السياسي كي ينجح المسعى وتعلو كلمة الله في الارض . وبداية الفشل والهدم ان تنفض عروة الحكم والسياسة من النسق المتسق ، وذلك الذي كان من افتراق السلطان والقرآن وتردى المجتمع الاسلامي من حال الى حال رغم بقاء القرآن حاكما لحركة

ان المجتمع الذي تسعى الحركة الاسلامية الى قيامه هو ذلك المجتمع العابد الذي تتفق هويته الجماعية مع هوية افراده الفردية ، في توجهه نحو الله سبحانه وتعالى ، وذلك بالتزام معاني الله الكونية التعبدية في جميع ماملاته ونشاطاته ."

وربما يجد طالب العلوم السياسية : او الاقتصاد السياسي صعوبة حقيقية في فهم ما ترمي اليه العبارة المذكورة ، اذا حاول ان يترجمها الى مقولات محددة في الاقتصاد والسياسة . اذا حاول مثلا ان يصل الى معنى عبارة " المجتمع العابد الذي تتفق هويته الجماعية مع هوية افراده الفردية " في ظل مجتمع طبقي !

ولكن المسألة اسهل من كل ذلك . فالذي يرمي اليه الاخوان المسلمون هو ازالة التناقض بين مسلك اسلامي على النطاق الفردي ،

* جزء من دراسة نشرتها مجلة " الشيوعي " المجلة الداخلية للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني

* * * نشر هذا المقال قبل سقوط نظام النمبري

حديث ماركس عن الدولة كـرأس مال مجرد. في حالة ماركس كانت الدولة وحدة اقتصادية مجردة، وفي هذه الحالة تكون الدولة وحدة دينية مجردة .

وتنبغي الإشارة الى ان الاخوان يستعملون كلا الاسلوبين في الوصول الى تصورهم للمجتمع الفاضل او في محاولاتهم لصياغة المجتمع الحالي ليصبح مجتمعا اسلاميا مثاليا واعتقد ان وضعهم ذاته - قرب عهدهم بالمعارضة وقرب عهدهم بالحكم يساعدهم على اتباع كلا الاسلوبين .

الملاحظة الثالثة هي القراءة الاخوانية المغلوطة للتاريخ العربي الاسلامي، والادعاء بان تردى المجتمع الاسلامي كان ناتجا عن انفصال السلطان عن القرآن (رغم بقاء القرآن حاكما لحركة الافراد الفردية في عمومها) . هذا الادعاء يقوم على الافتراض بأن الدولة العربية الاسلامية كانت وحدة دينية اساسا، ولما انهار اساسها الديني انهارت هي الاخرى ! افتراض تكذبة حقيقة الدولة العربية الاسلامية التي كانت منذ نشأتها وحدة اجتماعية اقتصادية، يسودها اسلوب محدد للانتاج والتوزيع، وعلاقات محددة للانتاج واقتسام الثروة، ومؤسسات سياسية، ثقافية، واجتماعية محددة. ربما تجلت الحقائق الاجتماعية الاقتصادية - على مستوى الوعي - تجليا دينيا، ولكنها، على الاقل منذ عمر وعثمان، وعلى الاخص معاوية - اخذت تعبر عن نفسها باستقلال تام عن الدين، بل ان الطبقات الاقطاعية التي نشأت في رحم الدولة الاسلامية والتي كان من المفترض ان تخدم الدين وترفع رايته قد اخذت تستخدم الدين وتستغله في خدمة

الافراد الفردية في عمومها - ولهذا كانت اولى اوليات الحركة الاسلامية الحديثة هي استعادة التوافق بين السلطات والقرآن اي حركة الجماعة وحركة الفرد، اذ ان آخر الامر لا يصلح الا بالصلح به اوله ."

نلاحظ اولا الصياغة المثالية المغلوطة لعلاقة المجتمع بمؤسساته الفوقية مثل الدولة والسلطة، فالخيرة هي التي تضبط حركة المجتمع وتسير الاقتصاد وتضع الشرائع الاجتماعية، مع انها هي بالضبط وليدة حركة المجتمع واقتصاده وشرائعه الاجتماعية، مع عدم التقليل مطلقا من الدور الاساسي الذي تلعبه في خدمة مصالح هذه الطبقة او تلك، هذه الفئات الاجتماعية او تلك . الصياغة التالية ناتجة بالطبع عن هذه الفلسفة والموقف المثالي المتكامل الذي عرف به الاخوان المسلمون ، والذي يوظفونه هنا لتعمية الاهداف المحددة - الدنيوية - التي يسعون اليها، والطبقات المحددة التي يخدمونها، والمصالح المحددة التي يمثلونها، كما سنوضح بعد قليل .

نلاحظ ثانيا ان المطلوب في البداية كان توافق حركة المجتمع مع حركة الفرد ، واصبحت الان - على العكس تماما - توافق حركة الافراد مع حركة النظام السياسي . والتناقض ظاهري فقط، فالهدف الذي يسعى له الاخوان المسلمون - اقامة المجتمع العابد المتجه الى الله - واحد في الحالتين، ويمكن الوصول اليه اما بتعميم مسلك الفرد ليصبح مسلكا للمجتمع - والفرد هنا هو الفرد الاخ المسلم. المحدد - واما بفرض هيمنة الدولة على جميع افراد المجتمع - والدولة هنا هي الاخ المسلم المجرد، ولعلنا نذكر هنا



تماما مع الضباب الاجتماعي الذي يريدون ان يعيشوه ، والستر والطلام التي يلجأون اليها في تعميم اهدافهم الاجتماعية ، واضفاء صفة القدسية عليها . فالقول بانك تريد ان تقيم دولة دينية ، لا يعني اعطاء الدين تجسيدا ارضيا في هذه الدولة ، بل يعني اعطاء الدولة قدسية دينية ، اذ اننا نستطيع ان نفهم ان فلانا رجل متعبد متجه الى الله ، ولكننا لا نفهم ان وزارة المالية والاقتصاد الوطني ووزارة متعبد ومتجهة الى الله . اصف الى ذلك بنك السودان ومصنع النسيج الياباني ومصلة الانار ومدبغة الجزيرة ١ .

جوهر القول ان الانتقال من الرجل العابد الى السلطة العابدة ليس بهذه السهولة مطلقا ، وكون الرئيس السادات هو الرئيس المؤمن لا يجعل الدولة المصرية هي الدولة المؤمنة ابدا . وقد آن الاوان للاخوان المسلمين ان يواجهوا الطبيعة الاجتماعية المحددة لتعاليمهم بدلا من الهروب الدائم الى السماء ، اخفاء لاثارهم على الارض .

لقد ذكرت وثيقة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني لدورة ديسمبر " ان دعاء الدستور الاسلامي برغم ما يثيرون من حجب والهاب مشاعر لا يضيفون جديدا للفقهاء الدستوري البرجوازي الرأسمالي لغرب اوربا والولايات المتحدة (ص ٢٣) ، وهذا هو بالضبط ما يودون اخفائه بعباراتهم العمومية الهروبية . لقد آن الاوان ليحدد الاخوان المسلمون الطبيعة الاقتصادية الاجتماعية لدولتهم . ولن يجدى التلميح المبشر ، ولا الامثلة والحكاوي عن مجتمعات سابقة للرأسمالية والاشتراكية فمصرة العالم هنا غير قابلة للارتداد . انهم مطالبون بتحديد

مصالحتها الطبيعية الضيقة ، ووصلت في استقلالها ذاك للاسلام ولفقراء المسلمين حد السفك للدماء ، ولم ينج من سيوفها المتعطشة للدماء حتى اهل البيت ١ كاذب من يدعي اذن ان تلك الدولة كانت مؤسسة دينية - بمعنى انها في خدمة الدين وليس العكس - وكاذب بنفس القدر من يدعي ان انحذار المجتمع الاسلامي نتج عن انفصال السلطان عن القرآن . ومن المفارقات المضحكة ان الانحذار الذي يتحدث عنه حتى هؤلاء هو انحذار اقتصادي ، سياسي ، اجتماعي ، وثقافي ، وليس انحذارا دينيا ، لان القرآن ظل .. حاكما لحركة الافراد الفردية في عمومها ١١٠٠٠

انحذار المجتمع الاسلامي نبحث عنه في المجالات المعقدة لعلم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد من انغلاق وجمود البنية الاقتصادية الاجتماعية ، من انتصار لقوى التشرذم والعزلة الانقطاعية ، من انتصار لقوى المحافظة والرجعية وانحذار لقوى التقدم ، من ردة حضارية وثقافية ما تزال في بعض المجالات ممتدة حتى الان ، ومن عوامل خارجية معادية - الخ من الاسباب التي لا نود ولا نستطيع الخوض فيها الان .

نرجع الى نقطتنا الاساسية وهي ان المجتمع الذي يود الاخوان المسلمون اقامته هو مجتمع عابد يتجه نحو الله . وهو مجتمع يشعر منه المسلم انه منسجم تماما في حياته الخاصة وفي حياته العامة ، اذ انه في كلا الحالتين يجد نفسه متجها الى الله .

ولا يلتزم الاخوان المسلمون جانب الدقة مطلقا في استعمال كلمات مثل المجتمع ، النظام السياسي ، السلطة ، وذلك يتماشى

ترتيباً على ما سقناه من بيان . ذلك ان المعارضة مهما كانت حسناتها الاخرى هي استثناء على الاصل . ولا تبلغ مبلغها الا اذا توفرت لها طاقة هائلة تمكنها من تحويل حركة المجتمع الجماعية في اتجاهها رغم النظام السياسي، وذلك أمر دونه عقبات كبيرة ليس هذا موضوع تفصيلها . . .

وهكذا انهى الاخوان المسلمون موقفهم المعارض - الاستثناء - الى موقف المصالحة - وهو الاصل في العلاقة بين الهيئات والجماعات وكل النظم السياسية، واصبح النظام السياسي، حتى اذا كان نظاماً معزولاً ومنبوذاً من قبل الجماهير ومعادياً لها حتى الموت كنظام جعفر نميري، اصبح هذا النظام ممثلاً لحركة المجتمع ! ! اليس غريباً ان يتحدث بمثل هذا اللسان، وان يبشر بمثل هذه الدرجة من الازعان للنظام السياسي اولئك الذين كانوا حتى الامس اعلى نقاده صوتاً ؟ اليس غريباً ان يدعوا لذلك " مجاهدون في سبيل الله ؟ " .

المهم . انتهت فترة المعارضة وبدأت مرحلة جديدة هي مرحلة المصالحة .

الدعوة والداعي والمدعو

تحت ظل المعارضة وفي اطارها ، وتحت راية النظام الحالي يذكر الاخوان انفسهم ان "نشر الدعوة وامر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر واجب اسلامي يجدر بالعالمين في الصف الاسلامي ان ينهضوا به، ويولوه حقه من جهدهم وتفكيرهم ووقتهم ومالهم . بل ان هذا الواجب بالذات هو المهمة الاصلية الاساسية لكل داعية . وكل عمل فردى للاسلام

محتوى دعوتهم الاقتصادى الاجتماعى في عالم اليوم، وبالتالي تحديد موقفهم من صراعاته كلها . وهذا لايعني بالطبع انهم لم يحددوا مواقفهم من كل ذلك، بل يعني ان تمزيق الاقنعة التي كانوا يلبسونها وهم يتخذون تلك المواقف قد اصبح ممكناً تماماً .

ان الاخوان يعتقدون ان نظام الردة الحالي قد "تهياً ليتوجه نحو الاسلام" واذا كان النظام قد تهياً ليتوجه نحو الاسلام دون ان يتهى لترك السير الحثيث في طريق التطور الرأسمالي الشائع والتبعية للسوق الرأسمالي العالمي والمؤسسات الامبريالية العالمية، والسلطة السياسية الامبريالية، فيبدو طريق الاسلام هو نفسه طريق التطور الرأسمالي ! اما اذا كان طريق الاسلام شيئاً غير طريق التطور الرأسمالي فلا بد انه يفترضه ويباركه ! ليس هذا فحسب بل ان طريق الاسلام كما يتصوره الاخوان يفترض الديكتاتورية والجمهورية الرئاسية، والقوانين المقيدة للحريات، والتنظيم الفرد "الاتحاد الاشتراكي" والانحطاط الاخلاقي والزيف وتعلق الحكام الضالين القتل .

واذا كان الامر كذلك فلا شك ان كل من يحذب على الاسلام سيهرع الى تخليصه من براثن الاخوان المسلمين المتسخرة .

موقع المصالحة من تحقيق المجتمع المسلم :

"والذى يعنينا هنا ان نشير الى التصالح بين حركة الافراد التي تنظمها هيئات او جماعات وحركة المجتمع ممثلة في نظامه السياسي هو الاصل والموضوع الطبيعي

اننا نعرف ان الجهد المبذول لنشر دعوة ما ، والوسائل والاساليب التي يتبعها الداعية ، فردا كان هذا او حركة لها اثر مباشر وخطير على مصير تلك الدعوة، وهو ما اصطلح على تسميته بالعامل الذاتي. ولكننا في نفس الوقت نعلم ان هذا العامل يعتمد بصورة اساسية، ويتحدد بعامل آخر هو العامل الموضوعي وهو الخاص بكون الدعوة قادرة ام غير ذلك، على الاجابة على الاسئلة التاريخية التي تطرحها فئة ما او طبقة ما، او مجتمع ما . قادرة على تلبية الاحتياجات التاريخية - العاجلة والاجلة - لمن تدعوهم - ولا يفيد الاخوان هنا ادعاؤهم بان دعوتهم صالحة لكل الناس - بما هم كذلك - وبصرف النظر عما يفرق بينهم . ان التفكير الانساني بصورة عامة وعلى مستوياته الفلسفية والسياسية والاجتماعية قد تخطى هذا التصور المجرد للانسان واصبح يعامل الناس في ارتباطهم الذي لا فكاك منه بالبنية الاجتماعية الاقتصادية التي تخلقهم ويخلقونها، مع اختلاف الصياغات والاتجاهات والغايات ، والتي تختلف باختلاف الطبقات والمصالح الاجتماعية التي يمثلها الفكر المعين .

اننا نجد الاخوان انفسهم يتحدثون عن فئات الطلاب، العمال، النساء، فئات اخرى .. مما يوضح انهم واعون بالخصوصية الاجتماعية الاقتصادية لكل فئة .

ولا يجديهم كذلك الافتراض بان تصحيح مفهوم الداعية بحيث يصبح كل أخ مسلم داعية في مجاله، كاف لاعطاء حركتهم وسط العمال والنساء والمزارعين نفس الوزن الذي تتمتع به وسط الطلاب الان . لان ما وجدته من رواج وسط الطلاب لم يكن نتيجة لبراعة

له الضياع ما لم يرتبط بتنظيم حركي يوحد الطاقات ويحقق الغاية . ومهمة نشر الدعوة - مع ذلك - هو واجب شرعي ومسئولية فردية لا ينفصلها عن الفرد انتسابه للجماعة .

وهنا ايضا يجد الاخوان انفسهم في مواجهة مباشرة مع الطبيعة الحلقية لدعوتهم، محاولاتهم "الكليستروفوبائية" لتخطي هذا الحيز الاجتماعي الضيق الذي تجد الحركة نفسها محصورة فيه، والخروج الى حيز اجتماعي ارحب. وتتم عملية التخطي والخروج هذه اما بتفادي القوانين بالشروط الاجتماعية التي تحكم كل حركة سياسية، او بكسر رقبة هذه القوانين والشروط .

فالاخوان يفسرون محدودية وضالة عضوية جماعتهم والتي استمرت لوقت طويل بان هناك مفهوما خاطئا عن " مستوى وثقافية الداعية ومعرفته (بصورة مبالغ فيها) بأصول الفقه والتفسير والنواهي الاجتماعية والاقتصادية ". هذا المفهوم الخاطي أدى الى اضرار كبيرة على رأسها ان نشر الدعوة اقتصر على عدد ضئيل من الدعاة ، وادى هذا بدوره الى ان يكون هناك فرق شاسع بين الجهد الذي يبذل لنشر الدعوة وسط الطلاب وذلك الذي يبذل وسط القطاعات الاخرى للنساء والعمال . " ونتج عن ذلك ان ظلت عضوية الجماعة محدودة لزمان طويل وذلك في الوقت الذي اكتمل لها فيه النضج السياسي والفكري والتنظيمي، ولم تعد هذه العددية تتلاءم مع الوزن السياسي والاجتماعي للحركة في وقتها الحاضر .

ان تنظيمنا اكتمل له النضج السياسي والفكري والتنظيمي لا يمكن ان يبسط على نفسه المشاكل لهذه الدرجة ١١ .

* الانطوائية -

التعاونية في مواقع العمل .

(٥) تشجيع أداء الصلوات في جماعة وتبني انشاء مصلى في كل موقع عمل .

(٦) على الاخوان ان يتخلقوا وينادوا بأداب الاسلام في معاملاتهم لزملائهم ويضربوا مثلاً حياً في حسن الاداء والخلق والابداع (٧) العمل على قيام فصول محو الامية في مواقع العمل .

(٨) يتصل الفتويون في الاقاليم باخوانهم في العاصمة للاستفادة من التسهيلات الفتوية المتاحة .

انتهى برنامج مكتب الفتات ١ .

واذا تذكرنا ان الفئات هم العمال والمزارعون والمهنيون والموظفون والطلاب . . اى اكثر الطبقات والفئات تأثراً وحركة وصنفا للحياة ظهرت فداحة المسألة . اذ ان الاخوان هنا يعبرون عن عزلة وغربة عن القوى الحية في المجتمع لايدانيهم فيها اى تنظيم سياسي آخر . فهم لا يتعرضون للواقع العياني الملموس الذى تعيش فيه هذه الفئات والطبقات ، والظروف التي تمارس فيها نشاطها والمشاكل التي تحياها ، والمطالب التي ترفعها ، والاماني والامال التي تتوق اليها ومع ذلك - وهذا هو الشيء المدهش - يطعمون في ان ينالو ولاها ويحولوها بقدرة قادر الى مستودع للنفوذ والسيطرة ولكن هل يعني هذا ان دعوة الاخوان محكوم عليها بالاختناق والموت، بكونها غير قادرة على التأثير في هذه القوى الاجتماعية الاساسية، وما علينا نحن الا ان نجهز شهادة وفاتها ؟ .

اذا قلنا بذلك فاننا نقع في نفس خبيثة التسلط الذى وقع فيها الاخوان المسلمون . اذا ما الذى يمنع اقساماً مؤثرة من الطبقة

دعاتهم ، بل كان نتيجة لظروف موضوعية خاصة بطبيعة حركة الطلبة وبالظروف السياسية التي مرت بها البلاد والحركة الثورية . وما نود الاشارة له هنا دعوة الاخوان لا تلبي الاحتياجات التاريخية الحيوية للطبقات الاساسية في المجتمع من عمال ومزارعين ومثقفين . (ويجدر بنا ان نسجل ظاهرة تسرب اعداد كبيرة من الاخوان الطلاب بعد تخرجهم من الجامعات والمعاهد والمدارس وانخراطهم في الحياة بكل تنوعها واختلاف مشاربها واكتشافهم اللاحق بان دعوة الاخوان لا تلبي ولا تستوعب حاجاتهم الجديدة) .

ولذلك فان محاولة الاخوان للخروج من حلقيتهم عن طريق توسيع دائرة الدعاة، دون اعتبار للاحتياجات التاريخية للجماهير ، لا تعدوان تكون صرخة غريق .

ان برنامج " مكتب الفتات " الخاص بالاخوان مثير للبهزء والسخرية، ويوضح مدى "النضج" الفكرى والسياسي والتنظيمي لحركة الاخوان وسنورده هنا كاملاً .

(١) يقوم المكتب بالمسح الاجتماعي اللازم لمعرفة ما يمكن تقديمه لبعض الفئات وذلك بدءاً بالعمال .

(٢) احصاء الاخوان في المناصب العليا والاستفادة منهم في تشغيل الاخوان العاطلين وكذلك الاستفادة منهم في بعض المشاكل التي تهتم العمل الاسلامي في مرافقهم .

(٣) يتبنى قيام مشاريع المساعدات الخيرية في مناسبات الافراح والمصائب والعمل على انشاء صناديق اجتماعية في بعض مواقع العمل الكبيرة .

(٤) العمل على انشاء وقيادة الجمعيات



وتزوير وسرقة - مما لا يمكن تبريره حتى في نطاق الايديولوجية التي يتبعونها . واذا كانت هذه الاساليب قد اتت اكلها في بعض الاحيان ، فان ثمارها على المدى الطويل مرة كالحنظل ، لاننا اذا استطعنا ان نكشف كل ذلك عنهم ، فان حركتهم ستكون عاجزة تماما عن اقتناع اى شخص منطقي ، متزن ، ومنسجم مع نفسه ومع الآخرين . ويبقى لها بعد ذلك اولئك الذين ينضمون لها لمصالح طبقية محددة ومعلومة .. وهؤلاء يعالجهم الصراع الطبقي .

هذا الكشف نتوجه به للطبقات والفئات التي يتأهب الاخوان لغزوها الان ، لان الطبقات التي تحدثنا عنها وغيرها ستعبر عن نفسها بهذه الصورة او تلك من عمل الاخوان وسط هذه الفئات ، ويجب ان تتحول الى اسلحة مشهورة ضدهم .

الاخوان المسلمون يدخلون هذه المجالات وفي تحليلهم ان لهم رسيدا ضخما يتمثل في مجموعات من المتعاطفين مع الحركة والذين وقفوا معها في كل معاركها السياسية واعداد من العضوية ممن حالت ظروف معينة دون استمرارهم ، ومجموعات وقفت معهم في الانتخابات الاخيرة . ووجود هذا الرصيد ، في تحليلهم كذلك - " لا يتكرر كثيرا " وسيكون من التقصير الشنيع الا يستفاد من هذه المجموعات في ظل ظروف الحريات الحالية والتي لا يعلم اجلها ومدتها الا الله .

ومع الشك والقلق الذي تعبر عنه العبارة الاخيرة الا ان تحليل الاخوان هو ان الظروف مواتيية تماما لاحداث توسع هائل في عضوية تنظيمهم . فهناك ظروف المصالحة ، وخروج القادة من الحبس ، واتساع العمل العام

العامة - على سبيل المثال - من وضعها الراهن المتمسم عموما بعدم التمايز الفكري والايديولوجي ، عن الطبقات الاخرى ، والمتمسم ايضا بتبنيها لايديولوجيات غريبة عنها بل معادية لمصالحها ما الذي يمنعه من الالتقاء مع هذه الايديولوجية في نقاطها الاساسية ؟

نظريا - على الاقل - ليس ثمة ما يمنع ذلك ، بالرغم من الصعوبات التي اشرنا لبعضها ، بالرغم من فشل الاخوان حتى الان في ايجاد مراكز يوء به لها خارج حركة الطلبة . وهذه الاخيرة تمثل البؤرة التي يلتف حولها تنظيمهم كله ، وهذه نقطة ضعف قاتلة بالنسبة لهم اذا وضعنا في الاعتبار - الرياح العاصفة التي تهب كثيرا على هذه الحركة - ولا شك ان وعي الاخوان بهذه الحقيقة يصيبهم بكثير من الشقاء . ومن هنا نشاطهم المحموم لتحويل تنظيمهم الى تنظيم وطني (بالمعنى الجغرافي للكلمة طبعاً ، لانهم بعيدون عن المعنى السياسي تماما) ، ودون ذلك شوك القنادر .

وربما يكون من المهم هنا دراسة تجربة الاخوان وسط الطلاب دراسة متبصرة وعميقة ، نفوس الى الجذور ، وتركز على الميوعة الفكرية للاخوان المسلمين ، او قل مقدرتهم على التأقلم مع المزاج الجماهيري ، وتبديلهم السريع للمواقف كما تبدل الحية جلدها ، وطبيعتهم الاسفنجية التي تتمتع بقوة هائلة على امتصاص شعارات الغير وتكتيكاتهم واساليب عملهم وميكانيكيتهم التي تور لهم اللجوء الى اقذر الاساليب للوصول الى اهدافهم ، كما تبرر لهم ايضا كل الرذائل الاخلاقية من كذب وتلفيق وارهاب

للتنظيم ، وازدياد المساهمة المالية .

وبناء على هذه الظروف المواتية وضع الاخوان خطة لزيادة عددية تنظيمهم الى عشرة اضعاف خلال العام التنظيمي يوليو ٧٨- يوليو ٧٩ .

وهذا الطموح والطمع يعتبر تعويضا لما فات وتحوطا لما سيأتي . وبناء على هذا التوسع المرتقب سيصبح حجم الشعبة خمسمائة عضو .

الطرح الكمي المحصن للتوسع ، وطابع الهلفة واللملمة الذي يوحى به يجب الا يدعشنا طالما علمنا ان دخول الاخوان في المصالحة قد ادخلهم في صراعات مع اقسام من السلطة ومنظماتها وهم يريدون ان يضحوا " كومهم " حتى يكون النصر حليفهم في تلك الصراعات .

وليس من قبيل الاستطراد ان نذكر ان دخول الاخوان في المصالحة ، ودخولهم بالتالي في منظمات السلطة قد جلب لهم مضلة بالغة القسوة - فاذا كان الاخوان في علاقتهم مع التنظيمات الاخرى للجبهة الوطنية ايام المعارضة يحاولون احتواء تلك التنظيمات وقيادتها ، فانهم يعملون بنفس الخطة والافق مع تنظيمات السلطة التي تصالحوا معها ، ولكن عيونهم العمياء واقفهم الاجتماعي المغلق قد اعماهم عن حقيقة منظمات السلطة وطبيعتها - لقد استغلقت عليهم اسرار اللعبة هنا تماما ، تنظيمات السلطة لا يستولي على قيادتها اصحاب الاغلبية ، بل اصحاب القوة والذين يدخلون تنظيمات السلطة لايدخلونها ليصوتوا بل ليملاوا جيوبهم .

وبوضعا المسألة على هذا النحو لا يمكن

ان نتفادى السؤال التالي :

- لماذا نعتقد ان الاخوان مختلفون عن الاخرين ، وما الذي يمنع دخولهم تنظيمات السلطة لنفس الاغراض التي دخلها من اجلها الاخرون ؟

السؤال وجيه ، وتسنده امثلة بارزة لقادة من الاخوان المسلمين اغتنوا وحوشوا ، واصبحت عرباتهم الفارحة تتجه نحو " الرباضي " و " غاردن سيتي " وامتداد الصافية بعد يوم العمل المنهك في مجلس الشعب والانحد الاشتراكي !

المسألة في هذه الحدود واضحة ولا تثير مشكلة فكرية ولكننا نتحدث عن محاولة الاخوان المسلمين ليصبحوا تنظيميا جماهيريا من جهة ، وارتباطهم ، من جهة اخرى ، بسلطة لا يمكن ان تكون سلطة جماهيرية بحال من الاحوال . ان الاخوان يريدون ان يتوسطوا كتتنظيم مستقل ويصوبوا جماهيرهم في قنوات منظمات السلطة محولين السلطة عن هذا الطريق الى سلطة جماهيرية فيخضرو عودها ، ويرضى الناس عنها ، ويدعون لها بطول العمر صباح مساء . هذه امنيات واوهام تقصم ظهر حاملها . لان القوة الجاذبة للاخوان - اذا سلمنا بوجود مثل هذه الظاهرة - ستمحقها تماما قوة الطرد الهائلة التي تمثلها السلطة ومنظماتها بالنسبة للجماهير ! ولذلك لا يمكننا القول ان الاخوان حتى قبل الشروع في تحويل تنظيمهم الى قوة جماهيرية قد ادخلوه في عنق الزجاجة الذي لا خروج منه ، والمسمى بتنظيمات السلطة . هذا مؤشر هام لما يمكن ان تتخض عنه محاولاتهم هذه .

اساليب الدعوة : الانتشار بقوة المثال :

بالرغم من ان الاخوان يعرفون ان هناك اساليب مختلفة للدعوة ، وان لكل مقام مقال ، وانه من المهم "التعرف على شخصية المدعو وانكاره لتحديد المدخل المناسب لقلبه وعقله" مع معرفتهم بكل ذلك فان اسلوب الدعوة الفعال والاساسي - هو قوة المثال - الذي يضربه الاخوان في بؤرة من بؤر نشاطهم والذي يستطيع ان يقنع الآخرين بان ما يقدمه الاخوان هو البديل الوحيد الجدير بالاتباع .

هذا الاسلوب نجده بجلاء شديد في موجهاات المكتب الاجتماعي التي وجهها للادارات التالية . ادارة المساجد وادارة المنظمات الاجتماعية ، ادارة الرياضة ، ادارة شؤون الاخوان ، مكتب الفئات ومكتب البحوث وسنورد هنا الموجهاات الخاصة بادارة الرياضة : لا يمكن ان نهمل اثار هذه الظاهرة - اذا ما اتسعت - على التركيب الطبقي لقيادة التنظيم ، وما يمكن ان يحدثه ذلك من تغيرات جوهرية لانها توضح ما ذكرناه بصورة تامة

"علموا اولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل"

(١) محاولة مشاركة الاخوان وممارستهم للنشاط الرياضي بشتى صوره وضروريه كل حسب ميوله ومحاولة تأسيس فرق لشتى ضروب الرياضة متى ما تيسر ذلك في الشعب والمناطق .

(٢) تأسيس فريق واحد لكرة القدم لكل الشعب تنعكس من خلال ممارسته لهذه الرياضة الاخلاق الاسلامية التي غابت عن

هذا المجال .

(٣) تأسيس فريق موحد لكل منطقة من بين لاعبي الشعب ليشترك في منافسة المناطق وغيرها ويكون النواة لتأسيس الفريق المثالي وفي الاقاليم يمكن ان ينهض الفريق لمستوى الصدارة .

(٤) محاولة تكوين فريق مثالي لكرة القدم يكون كنموذج اسلامي يحتذى به في هذا المجال (في منطقة العاصمة) مختاراً من بين لاعبي المناطق وغيرها والعمل على رفعه الى مستوى فرق الصدارة .

(٥) اقامة دورة رياضية في شتى ضروب الرياضة تتنافس فيها فرق الشعب والمناطق على ان تختتم الدورة بمهرجان رياضي - ما امكن - تحشد له كل الامكانيات والطاقات الرياضية .

(٦) محاولة ادخال التدريبات البدنية الجماعية لتكوين الجسم السليم .

(٧) توجيه الاخوان للانضمام الى اندية الرماية والفروسية والسباحة واى رياضة مشابهة .

(٨) العمل على توفير المدربين لتدريب الاخوان على هذه المناشط المختلفة بطرق التدريب الحديثة (الن يكون المدربون اخواناً؟) .

(٩) اذا ظهر لاي شعبة او منطقة ان فريقاً بمستوى رفيع يمكنه من الدخول في الروابط المحلية فعليهم بذلك الاستفادة من امكانيات وزارة الشباب والرياضة في جلب المعدات الرياضية بانواعها واى مساعدات اخرى .

(١٠) الاستفادة من امكانيات مراكز الشباب وتحديد كل منطقة حجم الاشتراك .

انتهت توجيهات ادارة الرياضة .

الاقتطاف نكتفي بالقول ان المنهج ذاته
مطبق بنفس هذا الوضوح على الادارات
الاخرى التي ذكرناها اعلاه .

ويمكننا ان نتبين هنا ان ما يهدف له
الاخوان هو اقامة مجتمع رياضي كامل، هم
نواته ومثاله، يقوم على انقراض المجتمع
الرياضي الحالي بكل تاريخه وتقاليده ومواهبه
وجماهيره، وذلك استنادا على الحجة المضمرة
بان المجتمع الرياضي الحالي ليس اسلاميا،
او قل جاهليا، ما دام لا يقوم تحت راية
الاخوان المسلمين، كما يمكننا ان نستنتج ايضا
ان اي مجتمع رياضي، مهما كانت مواصفاته، بقيمة
الاخوان المسلمون سيكون بالضرورة مجتمعا
رياضيا اسلاميا مثاليا، كما ان اي فريق يكون
لاعبوه جميعا من الاخوان سيكون فريقا مثاليا
حتى اذا لم يكن مستواه الرياضي رفيعا .

(ليس من فرق الصدارة) ارجع للنقطة

(٤) .

يتكرر المنهج ذاته في موجهات ادارة .

المساجد :

(٢) مواظبة الاخوان على الارتباط بالمساجد

واداء معظم صلواتهم بها والا يقعد بهم
الكسل عن اداء هذه الفريضة العظيمة،
على ان يظل مسجد واحد على الاقل في
كل شعبة محورا لمناشطهم التنظيمية .

(٣) محاولة تعميم النشاط التنظيمي المرتبط
بالمسجد على كل المساجد بالشعبية ما
امكن .

(٥) يحاول اعضاء الجماعة الدخول في لجان

المساجد بمعدل مسجد لكل شعبة لمحاولة

التأثير عليها بما يخدم اهداف الجماعة

(٨) يسعى المكتب لانشاء مكتبات اسلامية في

مساجد نموذجية بمعدل مسجد لكل منطقة

او مديرية وحتى لا نتورط في مزيد من

وربما لا يجد البعض مأخذا على هذا
الاسلوب ولكن نظرة ثاقبة توضح الى اي مدى
ينطوى هذا الاسلوب على افتراض في غاية
الضحالة وغاية الخطر في نفس الوقت . وهو
ان الصواب كله في جانب الاخوان والخطا كله
في جانب من عداهم حتى ولو كان ذلك هو
المجتمع كله، وهذه هي نفس الروح التي املت
على سيد قطب ان يبيح اباداة المجتمع كله
حتى يبقى شخصان فقط يقيمان المجتمع
الاسلامي من جديد ! وما عبر عنه سيد قطب
هو الحد الاقصى لعلمية يمارسها الاخوان في
مسلكتهم السياسي الهادي، وهو تبسيط الاشياء
تبسيطا شديدا في تصورهم لها، ثم الهجوم
عليها لاجهاض غناها واعتصارها بقوة
لتناسب تصوراتهم عنها، وهم بذلك يمكن ان
يهدموا تاريخ الشعب كله وتجاربه
وتطلعاته وامكانياته حتى يصير الناس الى
الفقر والهزال والشح ارضاء لتصورات الاخوان
عن المجتمع الفاضل . وبذلك يمكن النظر
لهذه البؤر التي يسعى الاخوان لانشائها لا
على انها امثلة للاقتناع، بل على اساس نقاط
متقدمة للانقضاض على المجتمع . ان النص
التالي المأخوذ عن الوثيقة ذاتها اكثر صدقا
في تعبيره عن روح الاخوان المسلمين :

"يخطط كل مسوؤل لاحتواء او تكوين ناد
اجتماعي ثقافي واحد في كل شعبة والعمل بجهد
للسيطرة التامة عليه من الناحية الادارية
والتوجيهية " .

الا يقرب هذا من الاحتلال العسكري ؟

يلحقوه بقول هو "لا يمكن ان يكون نهائيا ، لانهم يتابعونهم منذ الروضة وحتى الموت . ونحن لا نخلط بالطبع بين حلم الاخوان ، وبين الواقع ، ولكننا وددنا ان نشير الى نوع الواقع الذي يريد الاخوان ان يقيموه : واقع عقيم ، مظلم ومغلق ، يحجمه الانسان ذو البعد الواحد ، الاحوف ، البليد ، والذي يدعي حيازة حكمة الارض والسماء .

خاتمة

الافتراض الذي ينتظم كل خطط الاخوان وبرامجهم ويتخللها هو ان مجرد توجيهات فضفاضة وعمومية الى اقصى حد ، تصدرها القيادة ، وتتلقفها القاعدة المؤمنة المطواع ، امر كاف بحد ذاته لتحقيق المعجزات ، وتحويل التنظيم الفار ، الى التنظيم القيل . ويتصور هذه التوجيهات دون دراسة الواقع العياني الملموس ، دون اقتراب متفهم منه ، دون عناء وتعب وضى في البحث والتمحس وتقليب الاختيارات والاساليب ، التوجيهات تصدر مدعية انها صالحة لكل زمان ومكان وواقع . فهي بكونها تمثل الحقيقة المطلقة ليست مطالبة بان تخضع للواقع بل ان الواقع هو المطالب الخضوع لها ، انها اوامر للواقع وما على الاخير الا ان يصعد للامر . كن فيكون هذه السمة : سمة الكسل الذهني والفكر المتحجر - المطلق النهائي - سمة وظاهرة لصيقة بالمجتمعات الزراعية ذات البنى الاجتماعية الاقتصادية المغلقة والجامدة . والتي لا تنتج الافكار جامدا ومغلقا . في واقع كهذا يصبح الفكر نوعا من الاجترار ، من

ويمكن ان نتابع العملية ذاتها في منهج تعامل الاخوان مع الاطفال حتى يصيروا شبابا والحلم الذي يقرب من المرض بالا يتعرض الطفل لاي تجربة ، وان يكون ذهنه الغض خالما للاخوان المسلمين يعجنونه كيف شاءوا فهم يسعون الى انشاء روضة اطفال في ناد واحد على الاقل في كل منطقة او مديرية ويشرف على هذه الرياض اخوات او زوجات اخوان او اسلاميات ومحاولة الاستفادة من امكانيات الوزارات والمصالح الحكومية ذات الصلة بهذا العمل .

والمقصود من هذه العملية كما ذكرنا تعميمها لاعتقال جميع اطفال السودان وتحويل طفولتهم الى طفولة اسلامية . وهم يعملون كذلك لاقامة "خلاوى نموذجية يتفادى فيها سلبيات الخلاوى سابقا وذلك باذخال الوسائل الحديثة التي ترغب الاطفال وتكسب ذويهم مثل التلوين ولعب الاطفال ، وذلك بانشاء خلوة على الاقل في كل منطقة او مديرية .

ويتدرجون معهم قليلا " اقامة مدارس للدعوة لاستيعاب طلاب المرحلة الابتدائية والثانوية العامة ليكونوا اساسا ورافدا للدعوة ثم يواصلون الملاحقة ، "العمل على اقامة فصول تقوية بالمساجد لمراحل التعليم المختلفة وكذلك الدراسة المنتظمة في العطلات وحلقات محو الامية" . وتستمر المطاردة حتى المعاهد العليا والجامعات ، بالمثابرة واللاحاح الذي نعرفه عن الاخوان المسلمين .

وبالطبع فان الدمار الذي يمكن ان

يتوقان اليه هو ان يشابهها الماضي في كل شيء - والى غير ذلك من الظواهر الفكرية والنفسية للمجتمع المغلق .

في مجتمع كهذا كما المحنا تصبح القيادة نوعا من الكسل الذهني والضحالة والاوامر والنواهي والتبسيط المخمل للواقع بكل جوانبه ووجوهه .

التذكر والحفظ، وتصبح الاجوبة محفوظة لان الاسئلة محفوظة وردود الافعال جاهزة، والاحكام صالحة لكل زمان ومكان، لان الزمان والمكان يكرران نفسيهما، منذ الازل والى الابد، والماضي يلد الحاضر والمستقبل يحتوى الاجهاز على اى جديد، بل هما على الدوام اقل درجة من الماضي الذهني، واقصى ما

عن مجلة النهج



”الكاتب“ في مجلدات سنوية

يرجى من القراء الراغبين في شراء بعض المجلدات او الاعداد المنفردة الاتصال بادارة المجلة لهذا الغرض .

الاسعار

مجلد السنة الاولى	١٥ دولارا
مجلد السنة الثانية	١٥ دولارا
مجلد السنة الثالثة	٢٠ دولارا
مجلد السنة الرابعة	٢٠ دولارا
الاعداد المنفردة	دولارا واحد
الادارة	

الاسباب

التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لتشغيل المرأة وضرورة مساواتها بالرجل



د . عبد الميز و طبان

ان هذه الدراسة مكرسة لبحث وضع المرأة اليوم من زاوية العمل ، سيما وانها كانت ولا زالت تعاني في العديد من بلدان العالم ، وبالاساس العالم الرأسمالي (٥) ، مشكلة التمييز بينها وبين الرجل سواء في بلدان العمل وقضايا الاجور او امام المحاكم والقضاء ومتابر العدالة ، وبوجه عام في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

فالمراة الاوربية اليوم وفي اكثر المجتمعات الرأسمالية تقدما نراها تعاني من مشكلة عدم المساواة بالرغم من ان بعض البلدان كونت وزارات تحت واجهة الدفاع عن حقوق المرأة . فهي تطالب بالمساواة الكاملة مع الرجل حتى وان احتلت منصب رئيسة الوزراء او وزيرة او نائبة لرئيس الوزراء او نائبة في البرلمان ، وقد اتخذت المطالبة شكلا جديا منذ عام ١٩٥٦ .

ان آخر تقرير نشر في اوربا هذا العام (١٩٨٤) حول المرأة العاملة ان عدد النساء في عشر دول اوربية هي بريطانيا وفرنسا وايطاليا ولكسمبرغ واليونان والدنمارك وبلجيكا والمانيا الغربية ودول بحر الشمال وايرلندا بلغ ١٤٠ مليون امرأة مقابل ١٣٣ مليون رجل ، وبفس الوقت نراها لا تشغل مناصب هامة في تلك البلدان سوى :

جدول يبين عدد الوزراء من النساء والرجال

في عدد من الدول الأوروبية^(١)

الدولة	عدد الوزراء	عدد الوزيرات	عدد نواب رئيس الوزراء	عدد نائبات رئيس الوزراء
١ - فرنسا	٢٣	٣	١٩	٣
٢ - ألمانيا الاتحادية	١٦	١	٩	١
٣ - بلجيكا	١٥	١	٩	٣
٤ - الدنمارك	٢١	٤	-	-
٥ - بريطانيا	رئيسة وزراء فقط	-	-	-
٦ - اليونان	٢٣	١	٢٨	٢
٧ - أيرلندا	١٥	١	-	-
٨ - إيطاليا	٣٠	١	-	-
٩ - لوكسمبرغ	٩	١	-	-
١٠ - دول بحر الشمال	توجد وزيرة واحدة خاصة بتحرير المرأة .	-	-	-

بنظرة الى الجدول السابق يتوضح لنا ان المرأة مهما بلغت من الذكاء والكفاءة والتعليم تبقى حتى في اكثر الدول الرأسمالية تقدماً في عالمنا المعاصر بعيدة عن اشغال المكانة التي يجب ان تحتلها . . فاذا كان الامر هكذا في مثل هذه البلدان فكيف يكون وضع المرأة في البلدان النامية والتابعة والمتخلفة . . !
ان الامر لا يقتصر على اشغال المرأة المهام الاساسية في حياة المجتمع بل ان التمييز يتعدى ذلك الى امكان العمل والاجور وغيرها .

ان الاحصائيات تشير الى ان المرأة العاملة في البلدان الرأسمالية لازالت لا تحتل مكانها في العمل حيث ان نسبة كبيرة من النساء في البلدان الاوربية يعملن نصف الوقت ، اي انها تقضي باقي وقتها في الدار للقيام بالاعمال المنزلية كما انها بالرغم من كونها من الناحية العددية اكبر عدداً من الرجال وهذا ملاحظناه في ١١ دولة اوروبية ، لازالت البطالة بينهن تشكل نسبة كبيرة . هذا بالإضافة الى ان المرأة في هذه البلدان لازالت تستلم اجراً اقل من الرجل والجدول التالي يوضح لنا مقدار التمييز سواء في مكان العمل او في الاجور^(٢) .

(الجدول يوضح نسبة عدد العاملات والاجور للمرأة العاملة في الدول الاوربية)

الدولة	نسبة عدد العاملات يوم عمل كامل	نسبة عدد العاملات (نصف يوم عمل)	نسبة اجور المرأة الى اجور الرجل
١- فرنسا	٣٩٪	١٥٪	٧٩,٤٨٪
٢- المانيا الاتحادية	٣٢,٢٪	٢٥,٧٪	٧٢,٨٠٪
٣- بلجيكا	٢٨,١٪	١٦,٣٪	٧١,٥٩٪
٤- الدنمارك	٤٦,٩٪	٤٦,١٪	٨٥,٥٩٪
٥- بريطانيا	٣٩,١٪	٣٧,١٪	٦٩,٩٦٪
٦- اليونان	٣٤,٣٪	٠٤,٣٪	٦٦,٦٥٪
٧- ايرلندا	٢٨,٨٪	-	-
٨- ايطاليا	٣٣,٠٠٪	-	٨٥,٨٦٪
٩- لوكسمبرج	١١,٨٪	-	٦٣,٣٥٪
١٠- بلاد بحر الشمال	٣٣,٤٪	-	٧٩,٦٤٪

ان الجدول السابق يوضح لنا ان نسبة النساء العاملات في الدول الاوربية الصناعية تتراوح بين ١١,٨٪ في لوكسمبرج و ٤٦,٩٪ في الدنمارك اما بقية البلدان مثل فرنسا وبريطانيا و المانيا فلم تتجاوز ال ٣٩٪ وبعضهن من يعملن بمعدل نصف يوم عمل ، اما الاجور فلم تتجاوز ال ٧٩٪ اذا ما استثنينا الدنمارك وايطاليا ، وهذا معناه ان على المرأة الاوربية ان تناضل من اجل مساواتها مع الرجل في جميع المجالات سيما وانها المتضررة اكثر في وضع تسوده التقلبات الحادة وخاصة في المستوى المعاشي وازدياد حجم البطالة ، لقد سجلت الاحصاءات الرسمية في الولايات المتحدة عام ١٩٨٣ اكثر من ١٢ مليون عاطل ، هذا عدا مئات الالاف من الاشخاص الذين يشعرون من البحث عن عمل سواء في اوروبا او الولايات المتحدة وهم لم يدخلوا ضمن الاحصائيات الرسمية ويقدر عدد اليائسين من البحث عن العمل في الولايات المتحدة وحدها ١,٨ مليون عاطل وفي المانيا الغربية ٨٠٠ الف عامل علمياً بان عدد العاطلين عن العمل اوبدون عمل المسجلين رسمياً في البلدان الصناعية الغربية بلغ ٩ ملايين في عام ١٩٧٣ وارتفع هذا الرقم الى ٣٣,٥ مليون عاطل عام ١٩٨٣ وهذا اعلى مستوى عرفته هذه البلدان (اوروبا الغربية والولايات المتحدة) منذ ازمة عام ١٩٢٩ وحسب تقديرات منظمة التعاون للتنمية الاقتصادية (اوسيدى) ان ارتفاع حجم البطالة في البلدان الصناعية الغربية سيتواصل بالرغم من التصحيحات الظرفية ومن المقدّر ان سيبلغ عدد العاطلين في اوروبا الغربية والولايات المتحدة خلال نهاية هذا العام (١٩٨٤) ما يزيد على ال ٣٥ مليون عاطل ، واذا اخذنا برأي الخبراء الاقتصاديين في كون ان سبب ارتفاع نسبة البطالة يعود اساساً الى سياسة التسارع الكثيف الذي حرم القطاع المدني من الموارد الصحيحة ولو اخذنا على سبيل المثال بريطانيا التي تعتبر فيها

ميزانية التبليغ اكبر ميزانية في الحلف الاطلسي نرى ان حجم البطالة في نفس الوقت في تزايد مستمر ولم عدنا الى الجدول السابق نرى ان نسبة العاملات من القوى العاملة ٣٩,١ ٪ فقط مع العلم ان عدد النساء يساوي نصف عدد السكان او يزيد قليلاً في هذا البلد لرأينا ان ثقل البطالة يقع بالاساس على المرأة العاملة .

فالمرأة العاملة في البلدان الصناعية الرأسمالية تحس اليوم في ضرورة مساواتها بالرجل ونحس في كونها تعاني من صعوبات في مثل هذه المجتمعات لابد وان تجد لها حلاً ، هذا بالنسبة للمرأة العاملة في البلدان الصناعية المتقدمة فكيف الامر بالنسبة لوضع المرأة العاملة في بلدان العالم الثالث النامية منها والمتخلفة ، خاصة وان امكانيات بعض هذه البلدان ضعيفة جداً وتطورها بطيء جداً ، فالوضع يكون مختلفاً تماماً ، فلر اخذنا على سبيل المثال في بلد نامٍ متطور نسبياً وهو الجزائر حيث تتمتع المرأة بظروف افضل من غيرها من زميلاتها في البلدان الاخرى نجد ان عدد العاملات كان في عام ١٩٧٧ في المدين ١٣٨٢٣٤ ارتفع الى ٢٤٤,٧٨٧ عاملة عام ١٩٨٢ ومهما يكن ان هذا العدد لا يتجاوز الـ ٣٠ ٪ من مجموع القوى العاملة عدا الزراعة ، وتجدر الاشارة الى ان اليد العاملة النسائية تركزت في هذا البلد في قطاعات الصناعة والاشغال العامة والمواصلات والتجارة والخدمات الاجتماعية والادارة ويحتل قطاع الادارة والخدمات الاجتماعية نصيب الاسد من الايدي العاملة النسوية اذ تشكل ٦٤,٣ ٪ من المجموع العام في هذا القطاع عام ١٩٨٢ بعد ان كانت ٥٣,٧ ٪ عام ١٩٧٧ (٣) ، ان هذه الصورة لا تختلف عن عدد من البلدان مثل العراق وسوريا والاردن ومصر وتونس ، فلو اخذنا مثلاً آخر وهو السودان لوجدنا ان حجم القوى العاملة في السودان لم يتجاوز الـ ٥ ملايين نسمة ٤٠ ٪ منها من النساء معظمهن يعملن نصف الوقت وباقي الوقت في المنزل اما النساء العاملات طوال الوقت فلا يتجاوز ٩,٢ ٪ فقط وتتركز اعمال المرأة السودانية في الخدمات الترفيهية والترفيهية والثقافية او تحتل نسبة ٣٥ ٪ تليها صناعة المواد الغذائية والمشروبات والتبغ ١٩ ٪ وصناعة الغزل والنسيج ٢٦ ٪ وحرمت من العديد من الاعمال بنسبة تتراوح بين ٩٥ ٪ و ١٠٠ ٪ اذا اقتصر مثل هذه الاعمال على الرجل فقط تقريباً مثل صناعة الورق والطباعة والمطاعم والفنادق والخدمات الشخصية والمنزلية وتجارة الجملة والتجزئة والتعدين والفحم والبترو ل الخ . وعلى العموم يشكل عمل المرأة نسبة ١٠ ٪ فقط في مثل هذه الاعمال جميعها ، هذا في القطاع العام اما في القطاع الخاص فالصورة اسوأ بكثير وعلى العموم لا يشتغل في القطاع الخاص من النساء الا النساء الماهرات او نصف الماهرات . واذا كانت البطالة بين النساء منخفضة نسبياً في الجزائر اذا استثنينا المرأة المتعطلة بسبب اما التقاليد والعادات واما الشروط الزوجية ودور الرجل السليم في ذلك . الخ . فان البطالة في معظم البلدان النامية بين النساء تشكل ظاهرة كبيرة تحتاج الى حل عاجل والسودان خير مثل على ذلك ، فالمرأة العاملة تواجه مشكلة البطالة بصورة تؤثر على واقعها الاجتماعي هذا زيادة على المشاكل التي تواجهها في ميدان العمل .

ان المظاهر السلبية التي تواجهها المرأة في حياتها بالامس واليوم ليست وليدة هذا العصر ، كان اول تقسيم للعمل في المجتمع الشري في عصر ما قبل التاريخ كان نصيب الرجل الصيد والقنص ونصيب المرأة الاهتمام بامور البيت ورعاية الاطفال وكان ما يسمى بعهد الامومة ، ولما جاء المجتمع العبودي اخذت المرأة تخدم في



قصور اسباب العبيد بشتى المجالات وجلها لا يعتمد عن امور العمل المنزلي بمجالاته المختلفة والمتعددة . وكانت المرأة في نظر الفكر الاقطاعي ما هي الا مخلوق ضعيف من الدرجة الثانية بل وتابع للرجل وليس له حقوق ولا واجبات سوى الواجبات المنزلية والزوجية والامومة ، ويستنكر المجتمع الاقطاعي حق المرأة في التنظيم وفي الخروج للعمل او المساهمة في اي نشاط اقتصادي او اجتماعي او سياسي . يقول لينين «العبودية والفسانة والرأسمالية متشابهة في هذا الصدد (استثمار المرأة) فلا يتغير الا شكل الاستثمار اما الاستثمار فيبقى . (١)

وكان المجتمع الاقطاعي ينظر الى مسألة تخلف المرأة عن الرجل باعتباره امرا ضروريا وطبيعيا في كون ان الرجل يتمتع بقوة عضلية وجسمية وتفوق فكري على المرأة ، وتبرز مسألة منع المرأة من مزاولة العمل في ان رعاية الاطفال وشؤون الاسرة كافية عليها ، بالاضافة الى ان العمل يؤدي الى فقدان المرأة انوثتها ويؤثر على انتاج الزوج الذي يجب ان تتوفر له شروط الراحة الكاملة في البيت ، وهذه هي مهمة المرأة ، بالاضافة الى ظروف المرأة الفسيولوجية وما تواجهه من مشاكل خاصة بها وبتركيبها العضوي وامها مسألة الحمل والولادة .

فالنظرية الاقطاعية ، كما يبدو ، ترفض رفضا قاطعا فكرة تحرر المرأة ومساواتها بالرجل وبما يؤكد ذلك هو ان المرأة كانت في العصور الوسطى تعتبر ملكا لزوجها وجزءا من اقطاعيته . حثلكها وبسبعها وبسبها انى ومتى شاء وهي بذلك لا تختلف في وضعها عما لاقت في المجتمع اى نفوذ على ابنها ، حيث ان من حقه ان يعلن نفسه وصيا على امه بعد وفاة والده عند بلوغه السابعة من عمره . وقد لعبت الكنيسة في النظام الاقطاعي دورا سلبيا في الموقف من المرأة منذ قال توما الاكويبي احد فلاسفة القرون الوسطى المعروفين وبالرغم من انه لم يكن متطرفا :

«لقد كتب على المرأة ان تحيا تحت هيمنة الرجل وان لا تكون لها اية سلطة .»
ومن المعلوم ان المرأة قد تعرضت في العصر الجاهلي في الجزيرة العربية وقبل ظهور الاسلام الى شتى انواع الاضطهاد وصلت الى درجة واد البنات باعتبارهن عبدا اقتصاديا على العائلة وعارا اجتماعيا عليها يجب التخلص منه باسرع وقت ومنذ الطفولة وهذا يعني انها حرمت في تلك الفترة حتى من حقها في الوجود . ان انتقال المجتمع من مرحلة الاقطاعية الى مرحلة الرأسمالية لم يحل مشكلة المرأة بل استغلت بشكل جديد فقد حرمت من حق مساواتها مع الرجل سواء في الاجور او في القضاء وامام المحاكم وفي الحياة الاجتماعية وهذا ما اشرنا اليه في بداية بحثنا . وحتى عام ١٩٧٥ كانت نسبة القوى النسائية العاملة لاجموع القوى العاملة على النحو التالي :

افريقيا - ٣٠,٩ %	جنوب اسيا ٢٩,٧ %
امريكا اللاتينية ١٩,٦ %	اوربا ٣٤,٤ %
امريكا الشمالية ٣٥ %	الاتحاد السوفياتي ٤٩,٣ %
شرقي اسيا ٣٨,٩ %	اليابان ٣٩,١ % (١)

لو استثنينا المرأة في الاتحاد السوفياتي نجد المرأة العاملة في العالم الرأسمالي لا تصل اكثر من ٣٩,٧٪ من مجموع القوى العاملة بأي حال . نحن نعلم ان سكان العالم تجاوز الـ ٣ مليارات نسمة في حين نجد ان مجموع القوى العاملة من النساء في العالم كله لا تتجاوز ٥٦١,٦ مليون نسمة بضمنها الاتحاد السوفياتي ٦٥,٤ مليون نسمة والصين الشعبية والفييتام اكثر من ٢٠٠ مليون نجد مجموع القوى العاملة من النساء في جميع انحاء العالم الرأسمالي لا يتجاوز ٢٥٠ مليون نسمة بأي حال والصورة التالية توضح ذلك :

العالم كله	٥٦١,٦ مليون نسمة	١٠٠٪ (٧)
منها : اوربا (بضمنها البلدان الاشتراكية)	٧١,٩ مليون نسمة	١٢,٨٪
الاتحاد السوفياتي	٦٥,٤ مليون نسمة	١١,٦٪
الولايات المتحدة الامريكية	٣٤,١ مليون نسمة	٦,١٪
اليابان	٢١,٦ مليون نسمة	٣,٨٪
استراليا ونيوزلندا	٢,٥ مليون نسمة	٠,٤٪
شرقي اسيا بضمنها (الصين الشعبية)	١٥٨,٧ مليون نسمة	٢٨,٣٪
جنوب اسيا بضمنها (الفييتام)	١٤٢,١	٢٥,٣٪
افريقيا	٤٥,٦	٨,١٪
امريكا اللاتينية	١٦,٢	٢,٩٪

لم يقتصر الامر على مسألة عدد النساء العاملات ومشكلة البطالة بينهن بل ان ذلك يشمل الاجور ومساواة حصولهن على حقوقهن الاجتماعية والسياسية أن التمييز بين عمل الرجل والمرأة اصبح حقيقة موضوعية في كل مكان من العالم الرأسمالي علما بانها برهنت على كونها لا تقل كفاءة عن عمل الرجل بل وتوفت عليه في كثير من الاعمال في عمل النسيج والتريكو والاعمال الاوتوماتيكية وصناعة الغزل والمواد الكيماوية والصيدلانية والطب وغير ذلك من الاعمال ، وقد برهنت المرأة في البلدان الاشتراكية على كفاءتها وقدرتها في العمل ودخلت ميدان العمل بشتى مجالاته ، وحصلت بذلك على كافة حقوقها ، فقد جاء في كلمة الترحاب التي بعثت بها رئاسة مجلس السوفيات الاعلى في الاتحاد السوفياتي الى مندوب مؤتمر الامم المتحدة العالمي الذي انعقد ضمن اطار السنة الدولية للمرأة في مكسيكو (حزيران) ١٩٧٥ مايلي . ان تأمين الضمانات الاجتماعية والقانونية لمساواة المرأة بالحقوق وخلق افضل الظروف التي تسمح لها بان تجمع بتناسق ما بين التمتع التام بالحقوق والاسهام الواسع في حياة المجتمع ، وبين تربية الاطفال هما جزء لا يتجزأ في السياسة الرسمية للاتحاد السوفياتي .

وتشكل النساء اليوم في الاتحاد السوفياتي ٧٧٪ من مجموع عمال السيطرة في الخطوط الاتوماتيكية و ٤٢٪ من مجموع عمال المكائن والمحركات العاملين على الآلات الاتوماتيكية وتشكل المرأة ٥١٪ من مجموع عمال مستخدمي الاقتصاد الوطني و ٤٩٪ من مجموع العاملين في الصناعة و ٤٤٪ من مجموع العاملين في الزراعة . ويوجد كذلك ١٢,٥ مليون من النساء الخبيرات اي ما يعادل ٥٠٪ من مجموع العاملين في يادين الاقتصاد الوطني وتبلغ نسبة النساء ٤٠٪ من خبراء الزراعة و ٧٠٪ من المعلمين وبين ٨٥ - ٩٠٪ من اطباء اي اكثر من ٣ أطباء من كل أربعة أطباء . تبرز اهمية هذه الارقام عندما نعلم ان وضع المرأة السوفياتي كان قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ كما يلي :

٥٥٪ من عدد النساء العاملات كن يعملن خادومات منازل .

٢٥٪ عاملات في الزراعة .

١٣٪ عاملات في الصناعة .

٤٪ عاملات في مؤسسات تعليمية وصحية .

بينما نجد اليوم في الاتحاد السوفياتي ٤٩٨ الف امرأة يعلمن باقسام البحوث منهن ٤٨٠٠ امرأة من حملة شهادة الدكتوراه (٨) لقد سلط ماركس الاضواء على الاقتصاد والراسمال وبرز حقائق استغلال طبقة لراسماليين المالكة بوسائل الانتاج للطبقة العاملة بشكل عام والنساء والاطفال بشكل خاص ، وقد اشاد ماركس بمسألة دخول النساء ومجال العمل واقتحام المصانع الكبيرة ، سيما واننا نعلم انه مع قيام الثورة لصناعية في انكلترا واختراع الطباعة التي سهلت انتشار المعارف وتدفق الذهب على اوربا بعد اكتشاف لعالم الجديد دخلت المرأة ميدان العمل بدافع الحاجة ، غير ان استعمال الآلات الحديثة قضى في نفس الوقت على الصناعات اليدوية (المانفكتورية) التي كانت حكرًا أن صح التعبير على النساء كالحياكة والغزل لما أدى الى تدهور اجور النساء العاملات والاطفال . . الا ان ماركس اعتاد على الواقع وحركة التاريخ الجدلية اكد على ان اضطهاد المرأة وعدم تحررها ليس ناتجا عن قصورها العقلي او ضعفها الجسدي ، وليس امرا طبيعيا ولازما لاعلاج له كما يزعم بعض الفلاسفة ان اضطهادها جزء من الاضطهاد الطبقي وبدأ مع بداية تكوين اول مجتمع طبقي ، المجتمع العبودي ، ولهذا فان تحررها لا يتم الا في اطار تحرر الطبقة العاملة المؤلفة من الرجال والنساء . وهذا التحرر لن يتم ما لم يحرروا فئات المجتمع وبنوا مجتمعا لاطبقيا تصح فيه أدوات الانتاج ملكا للمجتمع .

واكد ماركس في رأس المال على ان مساهمة المرأة في الانتاج وتحررها من الاستغلال الراسمالي هما الشرطان الاساسيان لتحرير المرأة . ويؤم تهاوى دكتاتورية الراسمال ، وتنصر الطبقة العاملة تسقط عن المرأة كل قيودها الحقوقية والسياسية والاقتصادية .

لقد تباينت وجهات النظر بخصوص عمل المرأة ومهما كان الامر فان هذه الآراء تنحصر في منع المرأة عن العمل واقتصار عملها على العمل المنزلي وتربية الاطفال ، العمل نصف الوقت والنصف الثاني تعمل في منزلها او العمل اسوة بالرجل . وان دعاء وجهة النظر الاولى والثانية مهما كانت التبريرات والتي ستكون عنها ، فان الداعين لها اما ان يكونوا واقعيين تحت تأثير العلاقات شبه الانطاعية الرجعية ، واما ان حجم

البطالة بين القوى العاملة في تزايد ولتبرير البطالة بين النساء يرفعون اصواتهم ضد عمل المرأة ، فقد صاح العمال المضربون في فرنسا عام ١٧٤٤ بصراحة بقولهم من المحزن حقاً ان نرى في الشوارع عاطلين عن العمل في حين تستخدم الفتيات في اعمالنا .

اذا قارنا عمل المرأة في البلدان الاشتراكية والمرأة في البلدان الرأسمالية ، لنجد ان المرأة هي نفسها في كلا النظامين ، الا ان الفرق يكمن في الشروط المناسبة للعمل لها . ان تأمين الضمانات الاجتماعية والقانونية لمساواة المرأة بالحقوق وخلق افضل الظروف التي تسمح لها بان تجمع ما بين التمتع التام بالحقوق والاسهام الواسع في حياة المجتمع ، وبين تربية الاطفال مما جزء لا يتجزأ في السياسة الرسمية للاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية عموماً .

ان عمل المرأة اليوم وخاصة في البلدان النامية والسائرة في الطريق الاشتراكي اصبح ضرورياً سيما وان المرأة ، كما اسلفنا ، تشكل نصف المجتمع ، وان حرمانها من العمل يعني حرمان نصف المجتمع من القيام بواجباته ،

١- ان عمل المرأة اصبح ضرورياً لان حرمان نصف المجتمع من العمل وبالتالي جعلها غير منتجة ومستهلكة فقط معناه شل الاقتصاد الوطني وعرقلة نموه ، فالفرد يجب ان يكون منتجاً قبل ان يكون مستهلكاً ، فاذا لم تكن المرأة منتجة معناه بالضرورة ان الانتاج المحلي لا يسد متطلبات الحياة المعاشية وغيرها ، ولا بد من القيام بالاستيراد .

٢- ان عمل المرأة يعني فسح المجال لها لان تتطور فكرياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً .

٣- ان اسطورة القول بان المرأة ستنافس الرجل في عمله وستكون سبباً من أسباب البطالة في منافستها لعمل الرجل ، دحضها واقع البلدان الاشتراكية كما اسلفنا .

٤- وان الرأي القائل ان عمل المرأة في الميدان الصناعي او الزراعي يؤثر على انوثتها ، دحضه واقع الحياة ، وان المطبات التي اوردها سواء في البلدان الاشتراكية او الرأسمالية اعطينا امثلة لا تفرق مثل هذه الأقوال ، خاصة واننا اليوم نعيش في عصر التكنولوجيا .

٥- اثبت الواقع ان عمل الرجل في حالة عدم وجود بطالة لا يسد احتياجات اي بلد من اليد العاملة ولهذا لا بد من ان تقوم المرأة بواجبها في ميدان العمل كضرورة اجتماعية واقتصادية .

٦- اما مسألة تربية الاطفال فيلاحظ انه في حالة عدم توفر رياض الاطفال ودور الحضانه تبرز قضية الاطفال كمشكلة وكعائق هام امام عمل المرأة ولهذا لا نرى مثل هذه المشكلة في البلدان الاشتراكية حيث وفرت الدولة مثل هذه الدور لا لمساعدة الامهات في تربية اطفالهن ولفسح المجال لهن بالعمل وحسب ، بل ان الواقع اثبت ان تربية الطفل في دور الحضانه ورياض الاطفال بصورة علمية سليمة يخلق ويحفز مواهب الطفل على الظهور والنمو . وان تربية الطفل في دور الحضانه ورياض الاطفال افضل بكثير للطفل من ان يربى في احضان امه .

الا ان اجتماعات هذه اللجنة ونتائج عملها ستصطدم بلا شك سيما ان الولايات المتحدة التي يتزايد فيها حجم البطالة بالاضافة الى التمييز العنصري والعرفي سترفض اي اجراء يقدم لتحسين وضع المرأة ، ان

ماسجلته البطالة من ارقام في الولايات المتحدة الامريكية في شباط (فيفري) ١٩٨٣ بلغ ٨,٩٪ بين النساء الراشدين و ٢١,٩٪ بين الشابات و ٤٥,٤٪ بين الشابات السوداوات^(١).

ان المدافعين عن الراسمالية وانصارها يدركون تماما ماينتظي عليه هذه التطورات التي تشنها البرجوازية ضد الوعي السياسي المتنامي بين النساء ولذا فليس من قبيل الصدفة ان يشهد هذا العقد انفجارا في المطبوعات والكتب حول مشاكل المرأة وقضيتها وغالبية هذه الكتب والمؤلفات كما هو معلوم وواضح تسعى الى تضليل المرأة بشأن واقعها الموضوعي في المجتمع .

على سبيل المثال لا الحصر ، كتبت جيس برنارد استاذة علم الاجتماع في جامعة ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الامريكية بكتابها « عالم الانثى » تقول « ان غالبية الكائنات الانثى تعيش في عوالم وحيدة الجنس ، النساء في عالم الانثى والرجال في عالم الذكور وان الانثى يختلفان احدهما عن الاخر باشكال لاخصى ذاتيا وموضوعيا على حد سواء . . ثم تستمر وتقول . . يذهب احد العلماء المختصين في دراسة اللبائن العليا ، الى القول الجدي بأن الرجال والنساء يشكلون نوعين بيولوجيين مختلفين ، وهو قول لا ريب في انه يعتمد المبالغة لتحقيق الغاية التي ينشدها ومع ذلك يمكن اعتبارا رايه استعارة مقبولة . . وللأسف ان الاستاذة تتجاهل في كتابها مدلولات الاحصائيات في الولايات المتحدة الامريكية التي تثبت ان مداخيل ٤١ مليون امرأة كانت في عام ١٩٧٧ تبلغ ٢٥٠٠ دولار او اقل في السنة بالمقارنة مع ٢٦ مليون امرأة يكسبن ٢٥٠٠ - ١٠,٠٠٠ دولار و ٤ ملايين امرأة يكسبن الى حد ١٥ ألف دولار و ٥١٦ ألف امرأة فقط يكسبن اكثر من ١٥ ألف دولار في السنة هذا بالاضافة الى ان نسبة العاملات في الاعمال المنزلية يشكلن نسبة كبيرة خاصة ما تؤديه المرأة السوداء من ساعات طويلة في العمل المنزلي باجور واطلة جدا .

هذه صورة مصغرة لوضع المرأة ونخص بالذكر المرأة الغربية والامريكية بالتحديد بلد ناطحات السحاب ، فكيف الامر بالنسبة للبلدان المتخلفة في افريقيا وجنوب شرقي اسيا وامريكا اللاتينية ولا نريد لتطرق هنا الى عمل المرأة في بلدان الخليج كالسعودية والبحرين والامارات . الخ . . فاذا كان عدد العاملين في البحرين مثلا عام ١٩٨١ يبلغ ١٤٢٣٨٤ عاملا منهم ٦١١٩٩ بحراني فقط و ٨١١٨٥ اجانب اي ان العمال البحرانيين يشكلون ٤٢,٩٨٪^(١) من القوى العاملة فكم تكون حصة المرأة البحرانية من هذا الرقم بلاشك ليس اكثر من ٢ - ٥٪ من العاملات في التعليم والمستشفيات ليس الا . . وبقيّة النساء محصورات بين جدران التبليد .

والخلاصة ان وضع المرأة وان كان جزءا لا يتجزأ من واقع البلدان ذات التمايز الطبقي ، الا انه يحتاج الى نزاسة معمقة في كل بلد من البلدان ،

نحن هنا ان نستثني المرأة في البلدان الاشتراكية لانها تعيش في واقع آخر تماما ، حيث لاجود للبطالة وضمت حقوقها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، فاننا نؤكد في دراستنا هذه على المرأة في بلدان العالم الثالث وخاصة المرأة في البلدان ذات التوجه الاشتراكي ، فموضوع تشغيل المرأة مرتبط تماما في مسألة تحررها لاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي ، حيث ان السياسة الاستعمارية التي كانت مسيطرة على العديد من بلدان العالم تركت اثرها على واقع المرأة ، ولهذا فان تحرير المرأة وتغيير واقعها يحتاج الى نضال ذؤوب

وفعال ، حتى تحتل مكانتها في واقع الحياة الاجتماعية وستكون متفاعلة معها ، وهذا يؤثر بلاشك حتى على
النشء الجديد على الطفولة ، فالى المساواة بين عمل المرأة وعمل الرجل ، والى مجتمع افضل يسوده
السلام .
لقد اختلفت وضع المرأة في البلدان الاشتراكية حيث ثبتت دساتيرها مسألة الحق المتساوي بين الرجل
والمرأة في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وستتطرق الى ذلك في مكان آخر .

عن الثقافة الجديدة

المراجع

- (١) الارقام مأخوذة من جريدة الشعب الجزائرية في ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٨٤ تحت عنوان كثيرات ،
لكنهن غير متساويات مع الرجال .
- (٢) الارقام مأخوذة من نفس المصدر السابق .
- (٣) المرأة في سوق العمالة الوطني ، اعداد مصطفى بشير ، جريدة « الشعب » الجزائرية ٢٢ اكتوبر
١٩٨٤ .
- (٤) لتين ، الراسمالية وعمل النساء ، المجلد الخامس الطبعة العربية ص ٤٣ .
- (٥) قضايا المرأة العاملة السودانية - تأليف ع . ع . عضو المكتب الثقافي للاتحاد النسائي السوداني ص
١٤ ، ١٥ ، ١٦ .
- (٦) قضايا المرأة العاملة السودانية ، مصدر سابق ص ٢٦ .
- (٧) المصدر السابق ص ٢٥ .
- (٨) الارقام اخذت من الاحصاءات الرسمية ومن مختلف المؤلفات الاقتصادية ومن قضايا المرأة العاملة
السودانية ، مصدر سابق ص ٢٤ ، ٢٣ .
- (٩) انجيلا ديفز ، النساء والعرق والطبقة
- (١٠) الارقام من النهج ، العدد ٣ ص ٣٠٢ .

مشاكل حفرية تهرود ..

الزراعة في العوجا



أعداد: قسم الدراسات في لجنة الاغاثة الزراعية الفلسطينية

نبذة قصيرة عن العوجا

تقع قرية العوجا الى الشمال من مدينة اريحا على بعد ١٠ كيلو مترات . وبلغ عدد سكان القرية في نسمة ، قسم منهم يسكن المخيم وهم يعملون كمزارعين في القرية والقسم الاخر يسكن عدة اماكن متفرقة وهم يشكلون السكان الاصليين الملاكين في القرية ومن الملاكين القدامى عائلة النجوم ، فريجان ، رومانين ، جماعات عشبات وغيرهم وهناك ملاكين جدد مثل القطب ، الدجاني نسبية ، المكرر ، الحسيني ، جار الله . مصدر مياه الري والشرب هي نبعه العوجا وتوصل ما بين النبعة والقرية (التي تبعد ٨ كيلومترات عن القرية) قناة باطون مفتوحة . وفي القرية مدرسة اعدادية تابعة لوكالة الغوث . وتفيد احصائيات وكالة الغوث ان عدد سكان مخيم العوجا قبل عام ٦٧ سبعة الاف نسمة ، لم يبق منهم سوى ٧٠٠ نسمة . يعتمد اهالي العوجا في حياتهم على الزراعة بالدرجة الاولى وعلى المواشي بالدرجة الثانية . وتقدر مساحة الاراضي الزراعية بـ ٢٥ الف دونم .

الاهمية الاقتصادية لقرية العوجا :

تزرع في اراضي العوجا كافة المحاصيل الزراعية التي تزرع في منطقة الاغوار وتمتاز على غيرها من المناطق بكثرة الاراضي المزروعة بالموز والبطيخ . يعتبر الموز المحصول الرئيسي لمزارعي العوجا حيث يزرع سنويا من ٢٠٠ - ٥٠٠ دونم وذلك حسب توفر المياه . ويعمر حوالي خمس سنوات ، ويشكل ما مساحته ٤٠ ٪ من المساحة الكلية للموز في الاغوار . و انتاجية دونم الموز بالمتوسط ٤ طن .

والجدول رقم (١) يبين المساحات المزروعة بالموز حسب السنوات .

الصف	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	المجموع الكلي / دونم
بلدى	١٥٢	٣٢٥ ر ٥	٢٥٧	٤٠٣ ر ٥	٤٧٤	١٦١١
باز	١٠٠	٦٠ ر ٥	١٥٨	٩١ ر ٥	١٩٣	٦٠٣
المجموع	٢٥٢	٣٨٦	٤١٤	٤٩٥	٦٦٧	٢٢١٤

يلاحظ من الجدول السابق ان هناك ارتفاعا في مساحة الاراضي المزروعة بالموز سنة بعد اخرى وهذا راجع لسببين -

- (١) ادخال الطرق الحديثة في الري بالتنقيط مما ادى الى توفير حوالي ٥٠ ٪ من المياه .
- (٢) المردود الجيد للموز حيث ان الاسواق مضمونة في الخارج ولا يعتمد على الشيكول وبيع ويشترى فقط بالدينار .

المردود الاقتصادي لمحصول الموز

(١) كمية الانتاج = $٢٢١٤ \times ٤ = ٨٨٥٦$ طن كمية الانتاج = المساحة $\times$ متوسط الانتاج .

(ب) ثمن المبيعات = $٨٨٥٦ \times ٢٢٠ = ١٩٤٨٠٣٢$ دينار

(ج) تكاليف الانتاج = $٢٢٠ \times ٢٢١٤ = ٤٨٧٠٨٠$ دينار .

(د) العائد الصافي = $١٩٤٨٠٣٢ - ٤٨٧١٨٠ = ١٤٦١٢٤٠$ دينار

معدل انتاج الدونم ٤ طن

معدل سعر طن الموز - ٢٢٠ دينار

تكاليف انتاج الدونم ٢٢٠ دينار

وكانت عدد ملكيات الموز في السنوات ١٩٨٢، ١٩٨٣، ١٩٨٤ هي - ٤٨، ٥٢، ٧٢ ملكية على التوالي وتفسر هذه الظاهرة بالاقبال المستمر من اكبر عدد من المزارعين على زراعة الموز وللمر مردودة اقتصادية .

محاصيل الخضروات الرئيسية في العوجا

تزرع في العوجا عدة محاصيل ومن أهمها البندورة والبطيخ حيث تشكلان المحصول الأساسي في الخضروات والجدول رقم (٢) يبين المساحات المزروعة لكل صنف من الخضروات على حدة :-

المجموع	كوسا	فلفل	خيار	بطيخ	بازنجان	بندورة	الموسم الزراعي المحصول دونم
٥٢٨٨	٢٧١	٢٩٩	٤٤٥	٢٢٩٧	٥٦٦	١٤١٠	١٩٨١ - ٨٠
٤٠٩٤	٢٦١	٢٨٠	٢٨٥	٢٠٥٩	٥٧٤	٦٣٥	١٩٨٣ - ٨٢

يلاحظ من الجدول رقم (٢) ان البطيخ هو المحصول الأكثر انتشاراً وقد دخل البطيخ كمحصول تجارى الى المنطقة قبل ٥ سنوات فقط وهو يزرع في شهر شباط واذار وينتهي في شهر نيسان . ويأتي بعده كل من البذور والبازنجان وهي تختلف عن البطيخ بطول فترة حياتها والتي تزيد عن خمسة أشهر .

وقد بدأ بتحديد مساحات البندورة والبازنجان من عام ١٩٨٢ م . بقانون تحديد المساحات والذي يأخذ ابعادا سياسية واقتصادية في المنطقة . ولعل من الاسباب التي دفعت سلطات الاحتلال الى سن مثل هذا القانون :-

- (١) ان البندورة والبازنجان تشكلان العمود الفقري للزراعة العربية في منطقة الاغوار من حيث المساحة والانتاج .
- (٢) ان المستوطنات الاسرائيلية لم تعد تجارى انتاج مثل هذه المحاصيل في المزارع العربية وهي بحاجة الى سوق وليس بحاجة الى منافس .

والحقيقة ان من وراء كل هذه القوانين سياسية استيطانية عنصرية تهدف الى تقليص المساحات المزروعة عند العرب والى ضرب الزراعة العربية اقتصاديا ليكون الاستيلاء عليها سهلاً . والجدول رقم (٣) يبين المساحات التي كانت تزرع في العوجا قبل قانون تحديد المساحات وما بعده .

قبل قانون تحديد المساحات				بعد قانون تحديد المساحات			
١٩٨١ - ٨٠		١٩٨٣ - ٨٢		١٩٨٤ - ٨٣		١٩٨٥ - ٨٤	
بندورة	بازنجان	بندورة	بازنجان	بندورة	بازنجان	بندورة	بازنجان
١٤١٠	٥٦٦	٦٣٥	٥٧٤	٥٩٤	٤٩٨	٤٩٥ ×	٣٦٩ ×

× الارقام سجلت حسب ما سمح بزراعته والواقع انه زرع اقل من هذه المساحة وذلك لقلة المياه ولم يسمح باعطاء الفائض للمزارعين في مناطق ثانية .
وهناك امر تفرضه سلطات الاحتلال على خصم ٢٠٪ من هذه المساحات كل سنة وهذا يعني انه بعد عدة سنوات سيقى لكل مزارع ان يزرع ١٠٠ شتلة ليسد حاجة البيت فقط .
× وبسبب قلة المياه في هذا الموسم ارتفع عدد المزارعين الذين رحلوا الى قرية فصايل من ٤ في الموسم الماضي الى ١٠ مزارعين ، وفي اريحا من ٢ الى ٨ مزارعين .

وقد بلغ عدد مزارع الخضروات قبل قانون التحديد ٦٣ مزرعة وسجلت مساحات البندورة والبازنجان بعد تطبيق القانون باسماء الملاكين الذين بلغ عددهم ٣١، وذلك لتسهيل تطبيق القانون على فئة محصورة، وللحد من نشاط المزارعين في التصدي لمثل هذه القوانين والاهم، من ذلك تعميق الهوة الطبيعية بين المزارع والملاك وذلك بتكريس تبعية المزارع للملاك .

القيمة الاقتصادية للخضروات في العوجا :

من الجداول السابقة يتبين ان ليس كل المزارعين يزرعون الموز والاغلب يعتمد في معيشته على محصول الخضروات ، ويبدأ المزارعون العمل في مزارعهم من بداية الموسم الزراعي في شهر ايلول وينتهي في شهر حزيران .
ان انتاج الخضروات مرتفع جدا ، والمشكلة الرئيسية التي يواجهها المزارع ليست رفع الانتاج انما ايجاد اسواق لهذا الانتاج باسعار مرضية وقد حصل سنة ٨٣ - ١٩٨٤ ان معظم المزارع قد خسرت وذلك لعدم وجود اسواق مما ادى الى تلف معظم المحصول في الارض وتقدر مبيعات العوجا من هذه الخضروات في حالة وجود اسعار مرضية حوالي ٢ مليون دينار .

الاشجار المثمرة :

لا يزرع في العوجا الا الشيء القليل من الاشجار المثمرة وبالاخص الحمضيات ، حيث تبلغ مساحتها ٣٣٣ دونما يملكها ثمانية ملاكين وموزعة على ١٥ بياراً . ويبلغ انتاجها سنوياً ٩٢٠ طناً . وعدم اتساع المساحات المزروعة بالحمضيات في المنطقة عائد الى ان انتاجية الدونم الواحد ليست مرتفعة وكذلك الى ارتفاع تكاليف الانتاج ويلاحظ ان هناك تقليصاً في المساحة المزروعة حالياً لاسباب عديدة اهمها تذبذب كميات المياه المتوفرة .

كما سبق ذكره تتبين الاهمية الاقتصادية لقرية العوجا في اقتصاديات منطقة الاغوار ومن هنا نستطيع ان نفهم الاهداف الكامنة وراء ممارسات سلطات الاحتلال ضد قرية العوجا ومصادرة اراضيها وسن القوانين التي توءد الى تقليص الزراعة فيها .

مشكلة المياه في العوجا

=====

تعتبر نبعة العوجا والابار الارتوازية هما المصدران الرئيسيان لمياه الري في قرية العوجا . ويعتمد معظم المزارعون على نبعة العوجا في ري محاصيلهم حيث تصل طاقتها الانتاجية ١٠ مليون م^٣ مكعب في السنة x وطاقة التصريف المثالي ٢٠٠٠ م^٣ / س ، لذا فهي متفوقة على الينابيع الاخرى مثل نبع القلط ، الديوك ، النويعة ، السلطان ، بطاقة تصريف اعلى ٢٥ - ٩ مرات ولكن نبعة العوجا تتأثر بكمية الامطار الساقطة في فصل الشتاء دون الينابيع الاخرى ، حيث جفت في سنوات ٧٨ - ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ م ، وفي عام ١٩٨٤ و ١٩٨٥ وصلت طاقة التصريف الى ١٥٠ م^٣ / ساعة . وتمتاز مياه النبعة على مياة الابار الارتوازية بقلة ملوحتها ، حيث ان نسبة ملوحة النبعة هي ٣٢ - ٥٦ در . مليون . بينما نسبة ملوحة الابار هي ٢٥ - ٣٥ مليون x .

وتنقل مياة النبعة الى الاراضي والترع الزراعية بواسطة قناة اسمنتية وتربية تصل طولها الى ١٠ كيلومترات . ان حفر الابار الارتوازية الاسرائيلية بالقرب من النبعة ادى الى انخفاض انتاج النبعة وضعف كفاءتها كما اثر على مخزون المياه الجوفية بشكل مباشر . كما ان ندرة الامطار وانخفاض معدلات سقوطها ادى الى جفاف نسبي للنبعة ، ويكرر هذا الجفاف بصورة دورية . وتزداد المستوطنات الاراضي الزراعية المصادرة بمياه النبعة بواسطة مواسير بحيث لا تتعرض اى كمية منها للتبخر او امتصاص التربة لها . وتزرع المستوطنات التالية : بيطاف ، نغات ، نعمة ، نتيف ، والتي هي مجاورة لقرية العوجا، الخضروات والموز والحمضيات والنخيل وغيرها . وتبلغ

الاحتياطات المائية لكل مستوطنة بين ١ - ١٨ مليون م^٣ سنويا ولقد قامت هذه المستوطنات بحفر ابار ارتوازية في المنطقة اعظم من الابار العربية مما ادى الى ارتفاع نسبة الملوحة فيها الى ٣٨٨ ملموز في حين تبلغ ملوحة مياه المستوطنات ٠٩٠ ملموز .

ويوجد لدى الملاكين العرب عشرة ابار ارتوازية تضخ كل منها في المتوسط ٧٠ م^٣ / ساعة ويصل معدل انتاجها السنوى الى مليون م^٣ . ويزداد الاعتماد على مياه الابار الارتوازية كلما قل منسوب تبعة العوجا وندرت الامطار، ويصطدم ذلك مع زيادة نسبة ملوحة الابار وارتفاع نسبة مصاريف المحروقات . كما تصطدم الرغبة في ضخ كميات اضافية من الابار بقانون تحديد كميات المياه المسحوبة من البئر الارتوازي x وفرضت قيود مشددة على تصليح البئر الارتوازي وصيانة الماتور والمضخة وجهاز المواسير . حيث يحتاج ذلك الى تصريح من السلطات .

ولجا الملاكون الى حفر البرك الزراعية وذلك لتخزين المياه الجارية في القنوات الزراعية ، ولرى مزروعاتهم عن طريق الري الحديث (الري بالتنقيط) .

ويوجد في العوجا حوالي ٣٨ بركة ، تصل مساحة كل بركة الى عدة دونمات ، وسعتها الى خمسة الاف م^٣ في المتوسط ، وتكلف انشاء مثل هذه البركة الترابية حوالي خمسة الاف دينار ، ويكلف مد مواسير P.V.C بطول ١ كم من البركة الى الارض الزراعية حوالي ستة الاف دينار . وتضخ المياه من البركة في شبكة الري بواسطة مواتير كهربائية وديزل ، وتشكل مثل هذه البرك ٦٠ ٪ من مجموع البرك في المنطقة وقد لجأ نصف مالكي هذه البرك الى حفريك اخرى توزع مياهها في شبك الري بفعل الضغط الطبيعي . وتوفر مثل هذه البرك استهلاك وقود تقدر بـ ١٥ الف دينار سنويا في المتوسط ، كما ان مواسير P.V.C تقلل من ضياع المياه المنقولة في قنوات ترابية .

وقد تأثرت المزروعات في العوجا . في هذا الموسم ٨٤ / ٨٥ بسبب انخفاض منسوب مياه التبعة ، فقد ادى الى عطش الموز وبهارات الحمضيات منذ شهر ايلول حتى شباط مما ادى الى اتلان حوالي ٧٠٠ دونم موز x كما ادى الى انخفاض المساحة المزروعة بالخضروات من ٥٢٨٨ دونم الى ٤٠٠ دونم فقط . وتأثر من ذلك ١٥٠ عائلة زراعية من مزارعين وملاكين . وقد رفعت الامطار الساقطة في الايام الاولى من شهر شباط منسوب المياه في قناة العوجا حيث وصلت الى ١٥٠٠ م^٣ / ساعة ، فازداد اقبال المزارعين على زراعة البطيخ . حين زرعت حوالي اربعة الاف دونم بطيخ وعند الانتاج اغلقت الحكومة الاردنية الجسور امام التصدير ، مما ادى الى الحاق خسائر فادحة بمزارعي العوجا اضافة الى اعباء قلة المياه ، مما ادى الى نزوح معظم مزارعي العوجا الى مناطق اخرى . هذا سهل متصادرة ١٠ الاف دونم من اراضيها .

المصادر

عمدت سلطات الاحتلال ومنذ عام ١٩٦٧ الى التركيز على قرية العوجا حيث صودرت اراضي

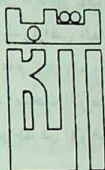
الفلسطيني وقاموا بتأجير بعضها وزراعة معظمها كما انهم اخذوا يخزنون مياه الغائبين في برك ومن ثم يسخونها الى الاراضي المصادرة . ولم يقف الامر عند اطلاق الغائبين فخذوا بمصادرة اراضي مزروعة لتكون حاجزا ولمحاصرة الزراعة العربية من الجهة الجنوبية. وتقدر اراضي الغائبين التي استولت عليها سلطات الاحتلال بحوالي خمسة الاف دونم صودرت عام ١٩٧٤ م . كذلك فان سلطات الاحتلال وضعت اسلاك الحدود في وسط اراضي العوجا - بحيث اصبحت الاراضي الزراعية تبعد حوالي خمس كيلومترات عن نهر الاردن ، واصدرت الاوامر بعدم التواجد في الاراضي الزراعية من السادسة مساءً! حتى الثامنة صباحاً .

وفي ١٥/٣/١٩٨٥ م ابلغ الحاكم العسكري للمنطقة الوسطى المزارعين بأزالة البرابيج والبلاستيك على بعد ٥٠٠ متر من السلك ، رغم ان هذه الاراضي تزرع قبل وبعد عام ١٩٦٧ وهي تزرع بالبطيخ والموز وتقدر الاراضي التي سوف يتم الاستيلاء عليها حوالي خمسة الاف دونم ويربط السكان هذا الحدث مع تجمهر أكثر من ٢٠ باصاً من المستوطنين في هذه المنطقة المهددة قبل شهرين من التبليغ واختيرت الحجج الامنية من اجل المصادرة .

وكذلك فانه تم مصادرة ما يقارب ١٠ الاف دونم تقع شمال العوجا بالقرب من النبعة من الجهة الشمالية وهي تابعة للاوقاف الاسلامية وقد اقيمت عليها اربع نقاط استيطانية والدلائل السابقة تشير الى حجم الاراضي المصادرة والمهددة بالمصادرة من قرية العوجا وهذا يبين النوايا التي يبيتها الاحتلال الاسرائيلي للزراعة العربية في منطقة الاعوار .

ما سبق لا بد وأن ندرك اهمية التضامن والمساندة العملية لاهالي العوجا ، ومساعدتهم على البقاء في ارضهم وزراعتها ، وهذا ما ادركته لجنة الاغاثة الزراعية ، التي هبت لمساعدة المزارعين وخاصة بعد قرار السلطات مصادرة خمسة الاف دونم موءخراً ، من الاراضي المزروعة ولذا توجهت كل من لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية واللجنة العليا للعمل التطوعي ولجنة المرأة العاملة للوقوف مع مزارعي العوجا في محتتهم وتقديم كل عون ومساعدة لهم .

مع بابلو نيرودا في مذكراته العرف بانني قد عشت



الكتاب

بقلم : صالح الرابي - سجن جنيد المركزي

مقدمة :

ليس من السهل ان تكتب عن شاعر كبير مثل بابلو نيرودا ، وليس من السهل الاحاطة احاطة تامة بكتاب لهذا الشاعر ، فهو بالاضافة الى كونه ثوريا بارزا وشيوعيا صلبا وشاعرا لا يضاهى ، فهو في نفس الوقت رحالة لكن بدون مهام استكشافية جغرافية . فهو ينطلق بك اثناء قراءة مذكراته التي عنوانها بـ " اعترف بانني قد عشت " من سانتياغو الى رانغون مروراً بالصين ، ثم يطير بك على متن كلماته الرشيفة الى اوروبا ثم الى امريكا اللاتينية فيمر بدولها دولة اثر دولة .

وفي هذه الدول يعرفك على زعماء وروءساء دول وقادة ثورات ، ففي الهند تدخل معه مكتب جواهر لال نهرو ليصافحك هذا الاخير بيروود ، وتقيم معه في الكرملين عدة اشهر منتظرا مشاهدة ستالين فلا تفوز بذلك ، وفي الساحة الرئيسية في فنزويلا تستمع واياه الى خطاب لكاسترو ويجبرك كما اجبر هو نفسه على الدخول الى قصر دكتاتور غواتيمالا .

ومع هذه السطور تتعرف الى اصدقائه من شعراء وفنانين شيوعيين وديموقراطيين ينتشرون من شتغهاي حتى بيونس ايرس :
ناظم حكمت ، اراغون ، سيمونوف ، بيكاسو ،
لوركا ، سلفادور اليندى ، وبربطك الشاعر

اثناء رحلتك معه بصور فانتة للطبيعة الجميلة ،
انهار وجبال تشيلي والمكسيك وسهول الصين
وبحارها ثم يمر واياك في قطار سريع عبر
سيبيريا واسعة المدى ، ثم يجلس واياك على
شاطيء بحيرة الباكال ابنة جبال الاورال

x " اعترف بانني قد عشت " سيرة ذاتية لحياة الشاعر الشيوعي المناضل بابلو نيرودا كتبه في اواخر سني حياته واطمه بعيد الانقلاب الفاشي الذى قاده بينوشيت عام ١٩٧٣ ضد حكومة الوحدة الوطنية بقيادة اليندى .

الخبز وفتائل السمك في حنجرتها الا انه كانت تتقيأ كل ما يطعمها اياه، كان يحملها الى البحيرة للسباحة، ويعود بها الى البيت وهي الطائر الكبير لكي يحمله فتى في سنه . وفي يوم من الايام وبينما كانا يسبحان نفتالي والبجعة ، واذا باجنحتها تهوى فتكش وجهه الناعم ، لقد غادرتها الحياة، بعدها "عرفت - يقول الشاعر - ان البجع حينما يموت لا يغني " .

ومن رقة الطفولة وحنانها ينتقل الكاتب الى وجهها الاخر، الى مناوشات تلامذة المدرسة وتراشقهم وهم في الطريق الى المدرسة بالبلوط الذي كان يوجهه حينما يقع على رأسه، بينما هو كان يضرب اقارنه بلا حول ولا قوة .

ويذكر فترة انه خرج الى مدرسة مزهوا فخورا بقبعته ذات اللون الاحمر الفاقع ، الواقية* للمطر، وفي بهو الطريق هجم عليه المئات من اللصوص فطارت القبعة كما البئنا* . شارك نفتالي الفلاحين حصد الزرع ودرس المحصول، حيث سافر على فرسه وهو فتى الى قبيلة آل " ايرناديث " يوما كاملا لقضاء بعض ايام الدرس والحصاد مع افراد القبيلة، كانوا يعيشون حول البيادر المتزوجون في خيم خاصة ، والنساء غير المتزوجات معا في حجرات محددة لهن، والفتيان ينامون على البيادر، ويقول بابلو نيرودا "ليس من شيء في العالم اروع وأبدع من روية دوران الخيول وهي تحب حول اكداش الحبوب المكومة، تحت صراخ الغرسان المزعج لها كي لا تحرن او تراوح او تعاطل " ، وينتهي الكاتب الى القول " ان الدرس لهو مهرجان ذهبي " .

اول الشعر وأولى القصائد :

كان الفتى نفتالي ينمو جسما وعقلا في

وعينها .

في هذا العرض الموجز لسفر نيرودا الذي ينوف على خمسمائة صفحة نمضي مع نيرودا من طفولته الى شبابه حتى الايام الاخيرة من حياته .

سني الطفولة والفتوة :

ولد الطفل (نفتالي ريبس باسوالتو)

الذي اصبح فيما بعد بابلو نيرودا ، في الثاني عشر من تموز عام ١٩٠٤ في مقاطعة "ارواكيا" في جنوب تشيلي . توفيت امه في شهر آب من العام نفسه بمرض السل ، نشأ نفتالي وترى في كنف زوجة ابيه، المرأة التي احبها كثيرا وبادلته الحب نفسه فعوضته او كادت عن حب امه . كانت امرأة نشيطة عذبة، كان لها روح الدعابة الريفية . يبدو لي - يقول نيرودا - شيئا قبيحا ان يطلق هذا الاسم " خالتي " على الملاك الذي كفل طفولتي وحذب عليها " احب الطفل نفتالي الطبيعة والتصق بها وليس هذا غريبا فقد عاش في مناطق خلابة، جبال شاهقة، بحيرات وأنهار طالما امتطى حصانه وسار بمحاذاة شواطئها ساعات طوال، غابات السرخس الخلابة الكثيفة برطوبتها الدافئة كانت مسرحا لتلك الطفولة، ركب مياه الانهار والبحيرات في حالات الهيجان المواقف وفي حالات السكون الحالمة كان نفتالي يتألم كثيرا حينما يشاهد الفلاحين وهم يضربون طيور البجع في البحيرة المجاورة للمكان الذي انتقلت اليه العائلة . والبيجع يتزحلق مسافة ليست بالقصيرة على سطح الماء قبل ان تستقيم اجنحته الطويلة فيطير، وهذا ما عرضه دائما للصيد من قبل رجال القبيلة التي حل والده ضيفا عليها، ويتذكر الكاتب بكل حرقة ولوعة احدى البجعيات الجريحات التي اخذها فمسخ جرحها ودس بعض فتات

يفهمه لانه خاص بعالم الكبار لا عالمه. قدم القصيدة لابيه والاخير ساه غافل فقرأها وهو ساه غافل، وأعادها اليه وهو ساه غافل ثم قال :

— من اين استنسختها .

وتابع حديثه مع زوجته، حديث عالم الكبار ويعلق نيرودا على تلك الحادثة قائلا "هكذا ولدت اولى قصائدي وهكذا تليت اولى عينات النقد الادبي الغافل الساهي". في هذه الاثناء اتخذ الشاعر الفتى "نفتالي" اسما جديدا له هو "بابلو نيرودا" واخذ يوقع باسمه الجديد على القصائد التي ينظمها لكي لا يعرف ابوه انه ناظم هذه وقد اختار "نفتالي" هذا الاسم من احدى المجلات، ولم يكن يعرف ان صاحبه هو كاتب تشيكي شهير. والطريف ان احد اصدقاء شاعرنا "بابلونيرودا" التشيكيين الح عليان يطلعه على سراسمه، الا ان شاعرنا كان يرد بابتسامة، طالبا من صاحبه التشيكي ان يعرف بنفسه الحقيقة، وقد توفي ذلك الصديق التشيكي دونما ان يخبره الشاعر التشيلي بر اسمه .

بعد ان انهى بابلو نيرودا المدرسة ذهب الى "سانتياغو" العاصمة، للالتحاق بالجامعة وقد وصلها في اذار ١٩٢١ . وسانتياغو مدينة كبيرة، سكانها نصف مليون نسمة" وتنفوح برائحة الغاز والبن، والاف الدور كانت مسكونة بالغرباء والبق، حافلات الترام صغيرة تقوم بالمواصلات بين الشوارع، تضطرب في مسيرها وتثرز بحدائد كانت لها اجراس صغيرة .

عاش بابلو في سانتياغو حياة طلاب "كانت سنيها عجافا، كانت جوعا على جوع" في غرفة باردة استأجرها في احد الاحياء الفقيرة للمدينة، كان له مجموعة من الاصدقاء الشعراء . ومن هؤلاء الاصدقاء المميزين

تلك الطبيعة الزاهية التي لم تقدم له جمالها الخلاب والمتعدد الجوانب فحسب، بل اهدته رقة وخيالا ساعد على نموها والدته التي لم تلده والعديد من اصدقاء الاسرة الذين عرفوه الى مكامن واسرار الطبيعة وجمالها .

وهنا جاء بالصدفة من اخرج موهبة هذا الفتى الى الوجود، جاء من مسح بيد ناعمة طبقة ترابية رقيقة ليكشف عن الموهبة التي سيغدو صاحبها شاعرا مرموقا. كان يكتب الرسائل الرقيقة الى ابنة حداد بلدته "تيموكو" باسم احد الفتيان التائهين في حبها . ولما عرفت تلك الفتاة ان الكاتب هو "نفتالي" ناولته سفرجلة فلم يقصمها بل احتفظ بها كأنها شيء ثمين "وهكذا اجلت عن قلبها صاحبي لاحل محلها. ومضيت ادبج رسائل غرامية لاتتضب ولا تنتهي، ورحلت اكثر سفرجلة اثر سفرجلة .

ومن لب السفرجلات هذه نبتت القصائد الاولى للشاعر العظيم، ورسمت بظلمها الخفيف ابياتا. من الشعر على صفحات الرسائل التي ارسلها لزميلته في المدرسة "بلانكا ويلسون" تعكس هيام هذا المراهق الكبير والشاعر الصغير الذي سيصبح ذا شأن في عالم الشعر. ولم بعد تبادل العشق والهيام بواسطة الشعر والسفرجل خافيا على تلامذة المدرسة فعرفوا ان زميلهم شاعرا الكنهم " ماكانوا يقدرون لي هذه المواهب" يعلق كاتب المذكرات .

اما القصيدة التي يعتبرها الشاعر اولى قصائده فقد كانت " موجهة الى امي" يقول نيرودا " الى المرأة التي ادعوها امي، اني

زوجة ابي التي حمى ظلها الخفيف اللطيف طفولتي كملها وحذب عليها ورعاها . جاءت تلك التصيدة اثر شعور عارم يغمر الفتى فسطر بضع كلمات شبه مسجوعة ، واعاد كتابتها بخط انيق، حمل السطور وذهب الى ابويه فوجدهما يتحدثان في غرفة الطعام حديثا لم

بالطبيعة المستريحة الجارفة في جنوب وطني " وضيف انه كتاب " أحبه كثيرا على الرغم من كآبته الحادة، فيه متعة الوجود حاضرة " .

الشعر والسياسة

منذ ان كان في " تيموكو " كان بابلو مراسلا بجريدة "كلاريداد" أي - الوضح - الناطقة بلسان اتحاد الطلبة، وكان يوزع بين العشرين والثلاثين عددا لاقرائه في المدرسة وفي يوم من الايام هاجمت "الشبيبة الذهبية" المنظمة التابعة للالاقية الحاكمة مقر اتحاد الطلبة وحطمته. وتعليفا على ذلك يقول الشاعر " العدالة التي وجدت منذ الاستعمار وحتى الوقت الحالي كانت في خدمة الاغنياء، لم تسجن المعتدين الاثمين بل الابرياء المعتدى عليهم من خيرة الشباب الذين كانوا امل تشيلي آنذاك " في ايام الجامعة انضم نيرودا لاتحاد الطلبة وكانت له صداقات تربطه بقيادة الحركة الطلابية، وأحد هؤلاء هو الذي ساعده في اصدار ديوانه " الشفقيات " . ويصف الشاعر نشاط الطبقات الاجتماعية في بلده في اوائل العشرينات حين ارتفعت درجة المصادمات بين الجماهير والمؤسسات الحاكمة، فالعاطلون عن العمل بالالاف، والنقابات تبرز هنا وهناك بتأثير الزعيم العمالي " لويس اميليو " . وعشر صف عمالية تصدر في البلاد، والحركة الطلابية تؤيد مطالب الجماهير الشعبية . في هذا الوقت استطاع احد زعماء البرجوازية الصغيرة "اليساندرى بالما" ان يصبح رئيسا للجمهورية، فhez البلاد بشخصيته وفصاحته، الا ان البرجوازية الكبيرة لم تستلح للرئيس الجديد " فقبل ان يحاربها فتحت بلاعيمها وابتعلت خطبه الثورية واستحوذت عليه فقدا يآتمر بامرها " وعن تأثير هذه الاحداث يقول نيرودا في مذكراته " منذ تلك الفترة

لبابلو الشاعر " بيلو " وزوجته "مينا" اللذان دعياه مارا الى دارهما " ذات التدفئة والثريات البديعة الهادئة " . واكثر ما كان يلفت نظر الشاعر الجائع والفقر هو بيجامة " بيلو " حيث كان بابلو يستغل القرص لينظر الى هذه البيجامة شزرا بطرف عينيه وفي اعجاب شديد، ولا غرابة في ذلك فهو يسكن في غرفة باردة كأنها في " موسكو المثلجة " والفصل شتاء " والبيجامة - بيجامة صديقه - من قماش سميك كأنها قتيقة طاولة البلياردو " اثناء دراسته الجامعية كتب شاعرنا اول دواينة الشعرية " شفقيات " . حين فكر بنشره واجه صعوبات جمة في دفع تكاليف الطباعة، لهذا باع اثاث البيت الفقير، وساعته الخاصة وبدلته السوداء، ولكن صاحب المطبعة رفض ان يعطيه، النسخ بعد ان جهزها بدون دفع المبلغ كاملا . اخيرا وجد من سدد هذا المبلغ وخرجت " شفقيات " الشاعر الفقير والطالب الجائع الى النور . " يا لديواني الاول ١١ -

يقول بابلو نيرودا - كان رأيي دائما هو ان عمل الكاتب ليس لغزا ولا هو بالمأساوى، بل انه، على الاقل بالنسبة للشاعر، عمل شخصي ذو منفعة عامة " وضيف " ان الاكثر شبيها بالشعر رغيف خبز او وعاء خزفي او حفر على الخشب مشول في طراوة وحنان " .

ولقد حظيت احدي الـ " شفقيات " بشعبية واسعة حتى حفظها الكثير من الناس عن ظهر قلب، فما ان " اذهب الى الاماكن التي لا اتوقع ان اسمعها - يقول الشاعر - يندشونها لي من الذاكرة او انهم يطلبون مني ان اشدها " . ولقد نال الديوان الاول للشاعر الشاب اعجاب النقاد والشعراء في تشيلي وفي دول اخرى من القارة الامريكية الجنوبية . ويتحدث عن ديوانه هذا فيقول " انه يتضمن عواطف مراهقتي العاصفة جدا، ممتزجة

* حيث كانت الشرطة قد اغلقت اثر هذا الحادث مقر الاتحاد واعتقلت العديد من نشطاءه .

امتلاءت بالموائد الصغيرة، حددا لحظة بداية مصارعتهما الخطابية، وعندما حان الوقت لتوجيه الشكر لمدير "نادي القلم" الذي اقيمت فيه الحفلة، وقف الشاعران معا استعدادا للكلام، "ولهذا فان الناس الجالسين قربي يقول كاتب المذكرات - كانوا يشدونني من طرف سترتي معتقدين انني على خطأ وان المتكلم هو فيديريكو، والشيء نفسه حصل لفيديريكو". شرع الرجلان في الخطابة معا فبدأ الاول: "سيداتي" ليلحقه الثاني بـ "سادتي"... وهكذا اتما الخطاب بالتناوب والذي قد اهدياه لشاعر نيكاراغوا "روبين داريو".

ومثل هذه الحادثة حوادث كثيرة حصلت للشاعرين في هذا البلد، ومن ثم في اسبانيا حيث عمل نيرودا قنصلا لبلاده بعد "بيونس ايريس". لكن الحادثة الاقوى والاكثر المأهية التي كان مسرحها مدينة غرناطة الاسبانية، حينما افلح نيرودا باقناع صديقه لوركا بحضور العاب رياضية دعاهما اليها صديق مقرب، واتفقا على مكان للقاء، وعلى ساعه محددة للذهاب للمهرجان الرياضي. تخلف فيديريكو "عن الموعد - يقول نيرودا -، موعده كان مع مرده وسفاحين آخرين. كان قد راح ليلقى حتفه" لقد اختفى الشاعر الكبير فيديريكو لوركا كان ذلك عام ١٩٣٦.

ولقد تأثر نيرودا بوفاة صديقه تأثرا لا مثيل له، اذ يؤكد انه "لم يعد رميا بالرصاص بل اغتيل". ولم يكن ليخطر ببال احد لا من الشعراء ولا من عامة الناس ان هذا الشاعر سيقتل ذات يوم "فهومن بين الشعراء الاسبان الاكثر حبا والاكثر عشقا الاكثر شها بطل لما له من بهجة رائعة"، ويعتبر نيرودا اختفاء هذا الصديق "بداية الحرب الاهلية في اسبانيا". وفي خضم ذلك الصراع الاليم والبطويل بين النور والظلام يعتبر نيرودا ان حادثة اغتيال رفيق دربه هي "اكثر حوادث

وعلى تناوب امترجت السياسة في شعري وفي حياتي". ويضيف "لم يكن ممكنا ان اعلق الباب عن الشارع واقبع داخل قصائد كما لم يكن ممكنا اغلاق الباب عن الحياة، عن الفرح، او عن الحزن في قلبي، قلب شاعر شاب". لم يتوقف النشاط السياسي لشاعرنا الشاب عند كونه احد نشطاء الحركة الطلابية في تشيلي بل عمل قنصلا لبلده في مدينة "رانغون" في بورما. ومما ساعده على الحصول على ذلك المنصب هو الشهرة التي حصل عليها في مستهل الشباب. ولعدة سنوات عمل في اكثر من مستعمرة ومدينة آسيوية قنصلا لبلاده، ويصف حال القناصل الذين همهم جمع المال والاستمتاع بالملذات، وممارسة هوايات خاصة اذ لم يكن لهؤلاء القناصل اية علاقة بالسياسة لا من قريب ولا من بعيد.

الشاعر لوركا والحرب الاهلية في اسبانيا :

بعد ان انتهى "بابلو نيرودا" عمله كقنصل لبلده في عدد من المستعمرات الآسيوية عين في بيونس ايرس عاصمة الارجنتين في نفس الوظيفة. وفي نفس هذا الوقت وصل الى هذه المدينة الشاعر الاسباني "فيديريكو غارنيا لوركا" للاشراف بنفسه على عرض احدى مسرحياته. وكثيرا ما كان الادياء في الارجنتين يحتفلون بهما ويكرموهما، وهناك في ضيافة ادياء الارجنتين تعارفا الشاعران العظيمان بابلو نيرودا وفيديريكو لوركا.

ويذكر الكاتب ان الشاعرين اتفقا على ان يحولا حفلة كبيرة دعيا اليها من قبل العشرات من كتاب وشراء بيونس ايرس الى "مصارعة خطابية" دونما ان يعلما احدا بذلك. جلس كل منهما في طرف من اطراف القاعة التي

في مطبعة على احدى جبهات الحرب الاهلية "والجنود هم الذين صنعوا الورق وطبعوا" "اسبانيا في القلب" يقول نيرودا ويصف "عرفت ان كثيرين منهم آثروا شحن الاكياس بالنسخ المطبوعة على شحنها باغذيتهم وملابسهم، والاكياس على اكتافهم شرعوا بالمسيرة الطويلة باتجاه فرنسا".

ليس هذا فحسب بل عمل نيرودا واصداقاه الشعراء على عقد مؤتمر في مدريد للكتاب والشعراء الديموقراطيين المناهضين للفاشية للتضامن مع الجمهوريين الاسبان، لقد حضر هذا المؤتمر اديبا من اوروبا واسيا وامريكا الجنوبية: اراغون، ليول ايلوار وغيرهم العديد. ويقارن كاتب المذكرات بين تأثير الحربين العالمية الثانية والاهلية الاسبانية على جمهور الشعراء فيقول "على الرغم من قسوة الحرب العالمية الثانية التي لا عد لها ولا حصر، على الرغم من بطولاتها المسفوحة، لم تستطع ابدا ان تأسر قلب الشعر الجماعي كما اسرته الحرب الاهلية الاسبانية".

كان من نتائج الحرب الاهلية الاسبانية تهجير الالاف المؤلفة من انصار الجمهورية الاسبانية وعائلاتهم واطفالهم شمالا عبر الجبال الى فرنسا، وهنا فقد اوكلت الحكومة الشعبية التقدمية في تشيلي مؤخرافي سانتياغو بعد انتخاب "بيدروثيردا" رئيسة للجمهورية الى بابلو نيرودا، مهام قنصل للبلاد في باريس ذي مهمة واضحة ومحددة هي نقل الالاف من الاسبانيين المبعثرين في فرنسا وافريقيا وغيرها الى تشيلي لايوائهم وايجاد اماكن عمل لهم وكم كانت هذه المهمة محبة الى قلب القنصل الجديد، كيف لا وهو النصر القوي للجمهوريين الاسبان المشتتين في بقاع الارض.

ولما لم يكن الوضع السياسي والحكومة منسجمين فان موظفي السفارة التشيلية في

ذلك الصراع الما". واذاننا من خلال الكلمات السابقة نرى نيرودا الغاضب لاغتيال صديق عزيز، ونرى نيرودا الحانق الحاقد على مقترفي تلك الجريمة البشعة بحق اسبانيا وبحق الفن والشعر والموسيقى. فاننا نرى بوضوح لوركا نفسه من خلال كلمات اقرب المقربين اليه، حيث يصفه نيرودا بانه "ناغة، وفكها، كونيا وريفا، موسيقيا فذا، فزعا ومعتقدا بالخرافات لاما ونيلا، كان خلاصته اعمار اسبانيا ومهددها، صفوة الازدهار الشعبي، نتاجا عربيا، اندلسيا يثير ويفوح مثل ايكه ياسمين على مسرح اسبانيا...". ويضيف في موضع اخر "حيث يكون لوركا: في المسرح وفي السكون، وسط الجمهرة وفي الانزواء، يضاف الجمال ويزيد الروعة، ابداما رأيت نموذجا له هذا السحر العظيم في يديه" ويسترسل نيرودا في وصف رفيقه فيقول "كان يضحك، يفتي، يمسق، ينغم، يقفز، يبدع، يخترع، يطلق شررا".

مع بداية الحرب الاهلية الاسبانية سنة ١٩٣٦ كان نيرودا لا يزال يعمل قنصلا رسميا لبلاده في اسبانيا، اما وقد انحاز الى صف الجمهوريين ضد الفاشية، فقد استقنتى عن اعماله، في ذلك الوقت كان نيرودا قد وصل الى مركز مرموق بين الشعراء الديموقراطيين العالميين، كيف لا وهو الذي عرفه جمهور امريكا اللاتينية وكتابها وشعراؤها بعد ديوانه الاول ولم يثنه بعد الثانية والعشرين من عمره. اثناء وجوده في مدريد اصدر نيرودا ديوانه "اسبانيا في القلب" عن الحرب الاهلية الاسبانية، اوضح فيه موقفه السياسي المناهض للفاشية. ويقول نيرودا عن كتابه الغريب "اظن ان كتبنا قليلة في تاريخ الكتب من مخاض عجب ومن مصير غريب" وسنوافق الكاتب على هذا القول حينما نعرف انه طبع

المكسيك وتشيلي وباقي دول القارة .

في عام ١٩٤٥ انتخب بابلو نيرودا نائبا في مجلس الشيوخ ممثلا لسكان الصحارى الشمالية التي تعج بشغيلة لا حصر لهم يكون في ملح البارود والنحاس، رغم ان نيرودا نفسه من مواليد الجنوب ذى الطبيعة الخلابة والانهار الجارية. ولم يكن هذا العمل سهلا بالنسبة للنائب الجديد . فالأقطاعيون والمستثمرون الالمان والانكليز اغلقوا تلك الاراضي، وأقطعوها لانفسهم وصكوا نقودا خاصة فرضوها على العمال ، الصحافة الشعبية ممنوعة والاحزاب محرمة، والدخول الى تلك المناطق غير جائز الا باذن خاص لا يتوصل اليه الا القلة المختارة .

وبينما كان النائب يزور ناخبيه برفقة عدد من القادة النقابيين ، سمع من العمال ان الألواح التي يدوسون عليها في الطرقات بين البيوت والمكاتب ، والتي تفصلهم عن الارض الموحلة بسبب من خليط المياه والزيت، كلفتهم خمسة عشر اضرابا وثمانى سنوات من الالاحاح وسبع ضحايا ، اما الضحايا فقضتهم " ان شرطة الشركة اخذت سبعة من قادة العمال . كان الحراس يمتطون الخيل فيما العمال وهم مربوطون الى الخيول يتابعونهم على الاقدام عبر الاراضي الرملية النائية، ثم افرغوا في اجسادهم ما شاءوا من العيارات النارية " .

وهناك اثناء عمله كناثب عن منطقة عمال المناجم جرى التعبير الحقيقي في حياته الذى يعبر عنه فيقول " ان جائزتي لى هذه اللحظة القصيرة في حياتي حين من حفرة ملح البارود صعد انسان كما لو كان يصعد من جهنم في وجه مشوه بسبب العمل الرهيب ، في عينين محمرتين بسبب الغبار القاتل ، فمد لي يده المتصلبة ، هذه اليد التي تدل عليها خارطة تلك السهول في قسائها وتغطسها ، فقال لي في عينين تترقان - اى لاعرثك

باريس لم يكن يعجبهم تفسير حتى شخص واحد من هؤلاء الاسبان الى بلدهم ، فضيقوا على نيرودا عمله ، فمنعوا عليه استعمال اوراق السفارة ، ولم يقابلوا الاسبان الوافدين الى السفارة الا بالوجوه المقتية الحاقدة ، وعينوا لينيرودا مكتبا للقيام بمهامه على الطابق الرابع لاعاقه صعود الجرحى ومعوقي الحرب اليه . وفوق هذا اوقفوا المصعد الكهربائي - يقول نيرودا " كان الكثير من الاسبان جرحى جاءوا من معسكرات الاعتقال في افريقيا فكان يحز في نفسي ان اراهم يصعدون الدرج في مشقة وعناء حتى الطابق الرابع ، بينما الموظفون الشرسون كانوا يتسلون بهذه الصعوبات ويستهزؤون بي " .

ورغم الصعوبات التي وضعتها الاجنحة المعادية في الحكومة التشيلية في طريق نقل هؤلاء الناس ، بممارسة الضغط على رئيس الجمهورية لالغاء قراره باستقبالهم حتى بعد ان كانوا على ابواب الابحار من فرنسا ، الا ان هذه الاجنحة فشلت ، وتم تهجير ضحايا الفاشية واىوائهم في تشيلي ، كان منهم المحامون والاطباء والعسكريون والعمال المهرة وعائلاتهم واطفالهم .

الانتخابات للبرلمان والنفي داخل الوطن وخارجه :

قبل ان يعود بابلو نيرودا الى بلاده عام ١٩٤٣ ويلتصق بالحركة العمالية فيها . يعمل قسلا لبلاده في المكسيك . ويصف حال ذلك البلد تحت حكم الامبراطور " اثنيكيا " ، الاف العاطلين عن العمل ، والقمع هو جواب حركة مطلبية بسيطة . كما يصف الكاتب دكتاتور

غواتيمالا التي زارها اثناء عمله في المكسيك ومعاناة الشعب التي لا تقل عن معاناة شعب

غياب ذلك الرجل، خاصة، بعد ان انتخب "غالو غونثالث" خلفا له. هذا الرجل الذي غاب في عهده اتصال القيادة بالهيكل العام للحزب.

بعد فترة مطاردة داخل الوطن غادر النائب الشاعر بلاده الى المنفى.. ولما اعلنت الصحف عن حضوره احتفالا اقيم له في باريس اعلنت حكومة تشيلي ان هذا الخبر عار عن الصحة، وان من ظهر في احتفال باريس ماهو الا نيرودا مزيف، اما الحقيقي فالشرطة تتعقبه في تشيلي وستقبض عليه خلال ساعات لا اكثر. في مدينة باريس التي يلتقيها نيرودا من جديد تعرف نيرودا الى ادباء سوفيين: سيموتوف، تيوخونوف، ايهرنبرغ كما تعرف الى الرسام الشيوعي بيكاسو. والكاتب السوفييتي ايليا ايهرنبرغ المذكور هو الذي ترجم الى الروسية كتاب نيرودا "اسبانيا في القلب".

لقاء سعيد في موسكو وآخر حزين في بكيين

كانت اول مرة يزور نيرودا فيها موسكو بمناسبة المؤبة لوفاة الشاعر الروسي العظيم "اليكسندر بوشكين". ولقد عشق نيرودا الارض السوفييتية من اول نظرة وموسكو بالذات حيث كان للدولة الاشتراكية الاولى ولعاصمتها مركزا مرموقا في نفس هذا الشاعر الرحاله من بين الاقطار التي زارها، وهو يقول "ما ان اصل اليها حتى اخرج وحيدا عبر الشوارع فرحا بالتنفس فيها، مصفرا لحن "كويكا" التشيلي، انظر الى وجوه الروس، الى عيون الروسيات، وخصلات شعرهن، الى الملحقات التي تباع في زوايا الطرقات، الى الزهور الورقية الى واجهات المحلات بحثا عن اشياء جديدة، عن اشياء صغيرة تجعل الحياة كبيرة" وفي موسكو بالذات اضاف نيرودا الى قائمة اصدقائه صديقا جديدا. انه شاعر تركيا

من زمن طويل، يا اخي". ان لهذا هو الكليل الغار لشعري، هذا الثقب في السهول الرهيبة حيث يخرج عامل قالت له الريح والليل والنجوم بتشيلي مرات عديدة: "انك لست وحدك، ثم شاعر كبير يفكر في الامك".

نعم لقد حصل شاعرنا على بطاقة العضوية في الحزب الشيوعي التشيلي في ١٥ تموز ١٩٤٥.

انتخب آنذاك لرئاسة الجمهورية في تشيلي دكتاتور دموى تافه، وليس اول على دمويه وتفاهته من القصة التالية: في الليلة التي بدأت فيها عملية قمع ومطاردة الشيوعيين دعا اثنين او ثلاثة من القادة العمال لتناول العشاء الى مائدته، وبعد انتهاء الوليمة نزل معهم ليودعهم على درج القصر ليكي وقال لهم "انني ابكي لانني قد امرت سجنكم، فحين تخرجون من هنا سوف يقتلونكم".

ولقد طلب هذا الدكتاتور الدموى الى مجلس الشيوخ طرد نيرودا فطرد، ثم اصدر امرا باعتقاله. الا ان النائب تمكن من الابتعاد عن انظار الشرطة فترة طويلة، كان يبدل خلالها دارا بعد دار. كان الاهالي يفتحون له ابواب بيوتهم معبرين عن رغبتهم في ايوائه بضعة ايام او على الاقل بضع ساعات...

وخلال السنة والنصف من النفي داخل الوطن تخفى نيرودا عن عيون رجال الامن والخبرين، وكان الشخص الذي تولى الاعتناء بحياته اللاشرعية في مخابئته المتعددة بسرية تامة، وقام بنشر انتاجه التهكمي بشكل متواصل هو الامين العام للحزب الشيوعي التشيلي آنذاك "ريكاردو فونسيكا"، ذلك الرجل الجنوبي الحازم، الدائم الابتسام، والذي لم يعيش فترة طويلة فادركه الموت ولقد تالم نيرودا لوفاة قائد هو الامين العام لحزبه "فونسيكا" حيث شعر بالفراغ الذي اوجده

ويعطي كاتب المذكرات امثله على العصف الذي تعرض له اعلام الادب الصيني، فالكاتبة " يتنغ ليتنغ "، والتي كانت رئيسة لاتحاد الكتاب الصينيين، اجبرت ان تعمل اجيرة في المطعم التابع للاتحاد " فعملت تلك الشيوعية بنفس الحماس وبكل انفة وكرامة شيوعيتين " . اما صديق نيرودا الشاعر الصيني "اي تشينغ" فقد حكم عليه بالانتحار الادبي، اذ ارسلوه الى الصحراء . ولم يسمحوا له بالكتابة بتوقيعه الحقيقي " .

بابلو نيرودا : الشاعر الشعبي والامي

خلال حياته استطاع نيرودا الحصول على العديد من الجوائز اما لانجازاته الادبية واما لنشاطاته الدبلوماسية، فقد حصل على جائزة لينين للسلام وكذلك جائزة نوبل، كما قابل العديد من قادة الثورات في العالم ماوتسي تونغ، نهرو، كاسترو، جيفارا وأكثر من رئيس دولة في امريكا اللاتينية . حظي على صداقات خيرة كتاب الكره الازمية وشعرائها وفنائها ومن كافة القارات وبالتأكيد فليس من السهل على اى شخص الحصول على هذه الفرص النادرة والجوائز الثمينة . هذا مع العلم ان قصائد نيرودا وكتبه ترجمت الى العديد من لغات شعوب العالم .

كل هذه الجوائز المادية والتي تصل بصاحبها الى قمم الشهرة لا يعتبرها شاعر تشيلي جوائز ذات قيمة كبيرة . " اما الجائزة الكبرى التي يحترقها الكثيرون - يقول الشاعر - ولكنها في واقع الامر مستعصية على الكثيرين : لقد غدوت بكد دروس قاسية من جماليه ومن بحث عبر متاهات الكلمة المكتوبة ، شاعرا شعبيا ، بلى فهذه هي جائزتي ، ليست الكتب ولا القصائد المترجمة او التأليف التي تصف او تشرح او تحنط كلماتي " . ويرد نيرودا في كتابه بعض الاحداث التي

لفظ ناظم حكمت، الذي سجنته الحكومة لتركية لمدة ١٨ عاما بتهمة اثاره تمرد في سفوف البحرية التركية . جرت محاكمته على مهر بارجة، ثم جعلوه يمشي على جسر لبارجة حتى انهكت قواه فادخلوه للمرحاض . كان الغائط يعلو اكثر من نصف متر حتى اغمي عليه . بعد ذلك تذكر ابن تركيا البار ان الجلادين لا يديروا قلوبهم من مكان ما ، ويتلذذون لتداعي قواه ، فانبعث قول الشاعر من جديد في انفة بعنجهية، وبدأ يغني في صوت خفيض، ثم بي صوت عال، ثم بملء حنجرته، غنى جميع لقصائد التي نظمها : اناشيد شعبية، مواويل لمفلاحين، غزل وغير هذا من الشعر " يا اخي جاب نيرودا صديقه حكمت بعد ان سمع منه لرواية السابقة - انك بهذا قد اجبت عنا جميعا . فلم نعد نختار فيما نفعله، فها نحن معشر الشعراء نعرف متى يجب علينا ان نبدأ الغناء " .

وفي موسكو اختارت لجنة جائزة لينين للسلام نيرودا لتسليم الجائزة الى الكاتبة " سونغ لينغ " زوجة الزعيم الصيني من يات سن . وسافر نيرودا للصين عبر سيبيريا واستطاع ان يأكل وجبة من السمك المستخرج من قاع بحيرة البايكال " اعرق بحيرة في العالم . والجدير ذكره ان الناس الذين استطاعوا تذوق ذلك السمك في العالم قلائل جدا، فنيرودا حصل على سمكتين من ذلك النوع الغريب بواسطة علماء البحيرات السوفيت الذين يدرسون اسرار تلك البحيرة التي هي حسب تعبير نيرودا ابنة جبال الاورال وعينها .

لقد سر نيرودا للتغيرات التي احدثتها لثورة الاشتراكية في الصين ولم يخف اعجابه بذلك . الا انه لم يستطع ان يخف ايضا حزنه وامتاعه لمصير اصدقائه شعراء وكتاب الصين الذين " دقتهم الثورة الثقافية فيما بعد " .

الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية. لان ترشيح شخص عن الحزب الشيوعي لهذا المنصب هو الطريق الوحيدة للتعجيل باتفاق احزاب الوحدة الشعبية على مرشح واحد لمنافسة مرشح اليمين الذي بدأ مرشحه فعلا بالحملة الانتخابية .

وبعد ان اتفقت احزاب الوحدة الشعبية الست على ترشيح " سلفادور اليندي " وفاز هذا المرشح فوزا ساحقا وتم تشكيل حكومة وحدة شعبية في تشيلي ينتظرها كادحو البلاد منذ اعوام . بعد هذا ، تم تعيين بابلو نيرودا سفيرا لحكومته الجديدة في باريس . وهو الان سيكون على رأس هذه السفارة التي طالما اضطهده موظفوها عندما ساهم بتهجير منكوبي الحرب الاهلية الاسبانية الى تشيلي لايوائهم واليوم سيجلس مضطهد الامس على كرسي المضطهد وسينام على سريه .

هذا في باريس . اما في الوطن فهل استسلم اليمين المهزوم ؟ هل استسلمت الرجعية وهل ستبقى مكتوفة الايدي ازاء التغييرات التي شرعت حكومة الوحدة الشعبية باجرائها ؟ بالطبع لا . فقد بدأت تظهر هنا وهناك شعارات يغطيها طحلب الكراهية والحقذ على الجماهير . شعارات معادية لكوبا والسوفييت والشيوعية والسلام والانسانية جمعاً ونيرودا الذي عرف الفاشية معرفة جيدة في اسبانيا اشته من جديد رائحة هتلرية مجرمة في بلده تفوح من بعض اجهزة الجيش والدولة التي لم يتم تطهيرها بعد . وخير مؤثر على ذلك ان الجنرال " شيندير " الذي عارض قيام انقلاب عسكري يمنع وصول اليندي للسلطة اغتيل . واما قاتله الذي اعترف بجريمته حكم بثلاثين سنة سجن خفضت الى سنتين . ويعلق نيرودا على هذا العمل بكلمات تقطر الما " ان رجلا فقيرا يسرق عن جوع دجاجة ، يلقي ضعف العقوبة التي انزلت من اغتيال القائد الاعلى للجيش " .

نمبر شعبية واممية هذه الشاعر . فحين هوت طائفة الطيار (بويرس) التي ارسلت فيها مهمة تجسسية فوق الاراضي السوفييتية بفعل ماروخين اطلقها جنديان سوفيتيان خلف مدفعهما في ذلك المكان المنعزل عن العالم . وحين انهال الصحافيون على هذين المقاتلين من الجيش الاحمر بالاسئلة : عما يأكلان . . عما يقرآن . . عن هواياتهما ، اجاب المقاتلان - اننا نقرأ للشاعر الروسي بوشكين وللشاعر التشيلي نيرودا . ويعلق نيرودا على هذا قائلا " احسست بفرح غامر حين عرفت ذلك ، لقد كان الصاروخ الذي سعد وحلق وأسقط يحمل ذرة من شعري المتوقد " .

ولما نظم نيرودا قصيدة حب لصديقه الساعاتي ولزوجته التي تلفظ انفاسها الاخيرة ، وازادت احداهن نشرها في احدى الصحف المحلية رفض صاحب الصحيفة وهو كاهن ، نشر قصيدة الحب المذكورة بحجة ان صاحبها نيرودا " شيوعي مطرود من الكنيسة " . ويعلق نيرودا على رفض الكاهن بقوله " ان البرجوازية واناعها يريدون شعرا يبتعد اكثر فاكثر عن الواقع ، لا يريدون شعراء مثلي يسمون الخبز خبزا والنبيذ نبيذا . " ويضيف " ان امثاله من الشعراء يريدون مجتمعا " يكون فيه بامكان من بقاء الدخول الى الكنائس كلها ، والى دور البلدية دون طرد او اعتقال ، انهم يريدون للاغلبية القصوى ، للاغلبية القصوى ، للاغلبية الوحيدة ، للناس كلهم ان يستطيعوا الكلام ، القراءة ، الاستمتاع والازدهار " .

سلفادور اليندي وحكومة الوحدة الشعبية

صباح ذات يوم من عام ١٩٧٠ وصل الى منزل بابلو نيرودا لويس كرفلان الامين العام للحزب الشيوعي التشيلي وعدد من الرفاق قادة الحزب ، جاءوا ليعرضوا على نيرودا

بابلو نيرودا الشيوعي :

لقد كان مجيء اليندى الى الحكم على رأس حكومة الوحدة الشعبية نتاجا للعمل المواظب والمنظم الذى قام به الشيوعيون وحلفاؤهم خلال سنين طويلة، وبالطبع فان اعمال اليندى وحكومته ذات القيمة القومية، قد اثارت اعداء الحكومة الشعبية، فها، الانقلاب الرجعي الذى دبره الهتلريون الجدد في ايلول ١٩٣٣ .

ومع وصول نيرودا الى السطور الاخيرة من مذكراته، كان اعداء الشعب، الذى اشتهم نيرودا راحتهم الفاشية الكريهة، قد انقضوا على الحكم . فقتلوا عشرات الالاف من أبناء شعب تشيلي ومن كوادر الحزب الشيوعي، وهجروا عشرات الالف اخرى .

اما اليندى رئيس الجمهورية الذى رفض التخلي عن منصبه فقد اقتحمت مكتبه الاعزل العديد من الدبابات، لتقاتل بشراسة، رجلا وحيدا فردا، ينتظرها وليس من يرافقه غير قلبه العظيم، لقد قتلوه ودفنوه سرا في مكان ما في وطنه ولم يودعه غير زوجته التي حلت في قلبها الم العالم كله .

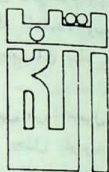
واذا كان نيرودا قد انهى مذكراته بعد الانقلاب الفاشي بثلاثة ايام، اى قبل اغتيال بعشرة ايام فقط، وعنونها بـ " اعترف بانني قد عشت " . فانه قد عاش من اجل شعبه وحزبه وكل المضطهدين والمناضلين في العالم، وهو لاء لن ينسوا هذا الشاعر الثورى وهم يعترفون بان نيرودا قد عاش حقا حيا، الابطال وسيبقى حيا في نفوسهم .

ورغم انضمام نيرودا الرسمي للحزب الشيوعي التشيلي جاء متأخرا (تموز ١٩٤٥) الا انه يذكر الميزات التي اكتسبها بفضل عضويته في الحزب . وكذلك اعجابه بالشيوعيين " فهم متواضعون، نحو الغرور الشخصي جانبا، والمصالح المادية، وما احبوا الزعامة " كما لا يخفي سعادته لانه تعرف الى هؤلاء الناس الذين يناضلون بكل تواضع في سبيل العدالة . وليس غريبا بعد هذا ان يقول " قط لم تكن لي مصائب مع حزبي الذى بتواضعه توصل الى تحقيق انتصارات لشعب تشيلي، شعبي " . ولم يشأ كاتب المذكرات ان يكثر من مديح حزبه ورفاقه، لانه لا يطمح الا ان يكون جد متواضعا مثل رفاقه، جد مثابر وغير قابل للهزيمة كباقي الشيوعيين .

ويحق لنيرودا ان يفتخر بانتمائه للحزب الشيوعي التشيلي فقد كان له الدور الرئيسي في انتصار حكومة الوحدة الشعبية . انه حزب ذو اصل بروليتارى عميق، ذو تاريخ طويل وعريق، انه حزب مفلق امام العيون الغربية . ولقد كان من الصعب جدا على عملاء المخابرات الامريكية ادخال مخبريها اليه رغم محاولاتها العديدة في سبيل ذلك . ولان الشيوعيين هكذا فان الرأسمالية لا تخطيء في تصويب سلاحها ضدهم فهم " العدو الرئيس لها " . فالرأسمالية تعرف تماما " ان خطر التغييرات في مجتمع ما لا يكمن في التمردات الفردية بل في تنظيم الجماهير بوعي طبقي شامل " .

سبعة أيام "بيرنبرغ لينسكى"

بمناسبة مرور أربعين عاماً على نهاية الحرب العالمية الثانية



بقلم : كريم دباح

آخرين لعصر النهضة ..
ولم تغط الأحداث المتلاحقة للحرب ،
الوقت الكافي للهتريين لكي يستفردوا
بمتحف درزدن كما يشتهون .. ويعد هذا
المتحف أغنى ثالث متحف في العالم (بعد
اللوفر والاميتاج) .. ولذلك فقد تقرر اخفاء
محتوياته تمهيدا لنقله الى الغرب وتصريف
محتوياته في السوق السوداء ..

وفي ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٥ ، أي بعد
هجوم القوات السوفييتية الشتوى الكبير
ظهرت على ابواب متحف درزدن لافتات كتب
عليها " مغلقة " وصرف جميع المستخدمين .
وفي النهار كان رجال البوليس يلزمون
الحراسة عند المبانى . وفي الليل كانت
سيارات الحمولة المغلقة تصل الى المتحف .
وطوقت فرق الاس اس الاحياء المجاورة .
وسرت شائعات غير واضحة عن عملية " م "
سرية لها علاقة بالهجوم السوفييتي ومتحف
درزدن ..

وقبل وصول القوات السوفييتية الى
درزدن قامت ١٥٠٠ طائرة حربية اميركية

قال غوبلز ، وزير دعاية هتلر ، قبيل
نهاية الحرب : " اذا كنا سنضطر الى ان نخرج
، نمنطق الباب بقوة شديدة تهز الانسانية
الى آخر قعرها " ومع نهاية الرايخ الثالث
التائم على الدم والكذب يدعو غوبلز من
مخبئه تحت الارض الالمان بشكل هستيرى الى
انتحار جماعي ...

وقد كان للفن نصيبه من هذا الجنون ،
ففي عشية الاستسلام ينسف رجال الاس اس في
برلين مستودعا تحت الارض يضم مجموعة
الترية من متحف برلين ، وفي منطقة فريدريخ
سباين يتم احراق ٤١١ لوحة من بينها
اعمال روبنز وفان دايك وشاردن وسيزان .
وفي مكان ثالث ، منطقة غومبو ستاين ، قضت
نار حريق ، سببه انفجار تخريبي في مستودع
تحت الارض على رسومات اولية لميكيل انجيلو
لا تقدر بثمن تتعلق بضريح بيوس الثاني ،
واحترقت خمسة ملقات من سبعة حوت رسوم
فنان عصر النهضة بوتيتشيلي عن الكوميديا
الالهية ونسفت تماثيل دوناتيلو ونحاتين

الشهيرة حيث تشكل حركة الماء الحية مع الفرا المعماري المدهش والتماثيل العديدة لوحاً اسطورية .. وفي نحو عام ١٧١٩ يكتمل بناء تسفينغر بخطوطه العامة، ويستعجل الامير، ففي الخريف يجب ان يقام زفاف ابنه ولي العهد ..

ويظهر رجيل من الخيول الحمراء كالنار، والفرسان في حلل قرمزية فاخرة مزينة بالذهب. وريش النعام الاحمر يخفق فوق قلنسواتهم كالسنة الذهب .. وهذا الرجيل الممثل للنار يقوده الامير نفسه ...

ووريثه يقود الرجيل الثاني وهو يمثل الماء، وفرسانه يرتدون حللاً زرقاء لا زوردياً مطرزة بالفضة، وخوذاتهم الفضية مصنوعة على شكل دلافين ..

ويرأس الدوق فيزنغفيلسكي الرجيل الثالث البني المذهب، انه يمثل الارض. والرجيل الرابع - الهواء - في حلل بيضاء مع اجنحة ويرأسه الدوق فيورتمبيرغسكي ...

وتصاح الموسيقى في القاعات المضاءة بالانوار الساطعة التي ترسلها الثريات والشمعدانات، والمتلاءمة بالمرمر في ابواب تسفينغر المكتظة .. ويسكب الشراب وتنقل الموائد بأطاييب الطعام وتنتشر شهرة تسفينغر في اوروبا بسرعة. والمعاصرون له في عام ١٧٢٠ يسمونه بـ "اللاشييه له" ..

ويوافق الامير على اقتراح طبيبها الخاص ويتم نقل النقائس الملكية النادرة الى قاعات تسفينغر التي تمتليء بنماذج المعادن النادرة والسلاح القديم والطيور الاستوائية المحنطة وهياكل الاسماك البحرية والمخطوطات القديمة والادوات الفيزيائية والرياضية للقرون الوسطى وكذلك لوحات اعلام الفن الايطاليين والفرنسيين والهولنديين .. وفي عام ١٧٢٧ ينقل الى تسفينغر كل شيء ما عدا اللوحات التي تنقل الى قصر خاص من قصور درزدن ..

يقصف المتحف بالذات وامطرته بعد ذلك بالفسفور الذي اشعل النار في كل المنطقة .. كانت القيادة الاميركية تعلم تمام العلم انه لم يكن هناك اى مسوغ حربي لهذا القصف، ولكنهم ارادوا ان يدمروا محتويات المتحف قبل وصول الجيش السوفييتي، وكانت النتيجة سقوط ثلاثمائة الف قتيل وهدم القصور والكنائس والنصب التذكارية والمسارح التي ظلت قائمة ثلاثة قرون "

وعند وصول الجيش السوفييتي الى درزدن كلف الضابط ليونيد فولينسكي (مؤلف الكتاب : سبعة ايام) ونفر من زملائه بالبحث عن محتويات المتحف .. وبعد تحريات واستجوابات تم اكتشاف نفق في اكااديمية الفنون نصف المهذمة والمحرقة، على قاعة مليئة بالتماثيل الثمينة في ستة صناديق ضخمة مرتبطة بستة صناديق من مادة التيوان. تي .. وفي آخر النفق اكتشفت خارطة تحمل الحرف "م" ومختومة بكلمة "سرى" ..

xxxxxxx

في مطلع القرن السادس عشر امر اغسطس الثاني امير ساكسونيا وملك بولنده، افضل المعماريين والنحاتين والنجارين والحذادين والبنائين، باقامة مجموعة من القصور بمحاذاة القلعة القديمة التي تسمى "تسفينغر" اى القصر او المصيدة لان موقعها كان يشكل فخاً للقوات المعادية .. ومن اجل استكمال هذا المشروع الكبير يسافر المعماري ماتيو سبيو بيلمان مرتين الى ايطاليا وفرنسا ليجسد في تسفينغر كل ما هو افضل .. وفي فرساي، مقر ملوك فرنسا في ضواحي باريس، يدرس الترابط المتبادل بين المعمار والطبيعة المحيطة .. ويطلع على نظام النافورات والشلالات الاصطناعية الرائعة التي بناها المعماري سانتينو سولياري في قلعة هيلبرون . ويدعو شولتس "استاذ الكهوف" وبمساعده يبني في تسفينغر نافورة "الحورية المستحمة"

الشاحنة غابة كثيفة وتكشف مقلا مهملًا للحجارة، وعلى حافة المقلع يوجد بيت خال من السكان .. وبعد مشاوير قصيرة يتم الاتفاق على نصف حائط البيت الخلفي .. ويظهر مقابل احد الابواب صندوق غير مطلي يرتفع حتى السقف . وعند الجدار الى اليمين التمتع ذهب اطار منقوش ضخم لمعانا كامدا " " يدق القلب من الانفعال ، واقرّب المصباح . لا شيء يرى ، فعلى الجناص طبقة سمكة من الغبار الرمادي . واقرص وامسح بكم قميصي سطح الجناص حذسا - في اول بقعة تقع عليها يدي واذا بوجه يتكشف ، وكأنه من خلال نافذة يذوب عنها الجعد ببطء

" سيزج ويتولد من الظلمة الرمادية وجه غير وسيم له انف عريض مفلطح وعنان طيماتان مرحتان قادرتان على رؤية الكثير . وجه مألوف قريب مبتسم بفرح مائل بلونه الخاص الفريد .

- رامبراند .

أصرخ بكل قوتي ، وأخلع طاقتي عن رأسي وأمسح بها الجناصة كلها "

وبعد لوحة " رامبراند مع ساسكيا " تظهر لوحة " اختطاف هانميديس " لرامبراند ، ثم " فينوس النائمة " لجورجوني : امرأة عارية رائحة الجمال تنام في حرج تمت فيه الزهور وكل ما حولها يرعى نومها ، اوراق الاشجار بلا حفيف ، والسحابة الذهبية ساكنة ، والمعالم الرقيقة للتلال المتراصة من بعيد تبدو وكأنها تحاكي خطوط جسد النائمة .

وتظهر تباعا لوحات روبنس والفنانين الهولنديين الآخرين .. " وأحصينا زها " مائتي لوحة مرمية بمحاذاة جدار السرب "

وازانها كان يقف صندوق خشبي مفلق بسلاسل تضغط على غطاءه وتحمل اقفالا بأرقام سرية .. طول الصندوق حوالي ثلاثة أمتار .. ويتم نقل الصندوق المفلق الى مقر المكتبة ..

وتبقى حبيسة لا يراها الا عدد قليل من الضيوف المحليين جدا .. اما الشعب فلا يراها ابدا ، الشعب يحرق الارض ويشيد المدن ويصهر المعدن وينسج الحرير والصوف ويرتدي الاسلح ويصطور من الجوع ويقتل في ميادين المارك تمجيدا للامير ...

وفي عام ١٧٤١ يشتري اغسطس الثالث ٢٦٨ لوحة من بينها " عند القوادة " لفيرمير .. وبعد اربعة اعوام يشتري مائة من احسن اللوحات من بينها اعمال تيتسيانو وكورييجيو وروبنس وهولبين .. وفي عام ١٧٥٤ يضاف لهذه المجموعة رائعة روفائيل " العذراء السكستينا " .

وتنقضي مائة عام وفي عام ١٨٤٨ يحرق شب باريس عرش الملك في احدى ساحات المدينة وبعد ذلك بعام او يزيد تندلع في درزدن انتفاضة ضد الثير الاقطاعي .. ويتعرض تسفينر للحريق ويطيء الناس ، تحت قصف المدافع الحرائق المندلعة هنا وهناك وينقدوا المجموعة التي لا تقدر بثمن ...

xxxxxxxx

في مقر قيادة الجيش السوفييتي في درزدن يتذكر الجنرال سوخارييف كيف عاث الجنود الالمان فسادا في بيت الكاتب الروسي الشهير ليو تولستوى ، ويذكر المكلفين بالبحث عن نفائس درزدن قائلا : " تذكروا ان الاسانية لن تغفر لكم اذا حدث شيء " .

ويسأل المارشال كونييف فريق البحث قائلا : " ماذا تحتاجون لتحقيق مهماتكم بنجاح ؟ " ويضيف : " لقد استدعي اخصائون من موسكو . ومهمتكم هي ان تنهوا البحث بنجاح " .

في التاسع من ايار يخرج فريق البحث مع الفجر بصحبة الخريطة " م " التي جرى مفارقتها بخرايط الميدان واتضح ان الخط المتعرض في الوسط هو تخطيط لنهر الراين وبعد الاستفسار من السكان المحليين تخرق

أحد الهتلريين الموكلين بتنفيذ الخطة وجرى استعادة زهاء ثلاثمائة لوحة بعضها لروفاثيل وروبنس ورمبرراند وفيرمير وتيتسيانو .

وفي اليوم التالي يتجه فريق البحث الى قلعة كينغشتاين التي يبلغ ارتفاعها ٢٤٠ مترا . هناك احتجز الالمان لاربعة سنوات عددا من الجنرالات الفرنسيين كآسرى حرب . . . وقام فريق البحث السوفييتي بتحرير الفرنسيين واستخراج مجموعة درزذن الشهيرة المرسومة بألوان الباستيل . .

وفي منجم كلسي قريب من مدينة فريبغ يتم اكتشاف مجموعة جديدة من اللوحات ملقاة على الارض وبعضها مغمور بالماء . . . بينها اعمال لروبنس وفان دايك .

وتنقل جميع اللوحات المكتشفة الى موسكو حيث يعكف احسن الاختصاصيين في الترميم للرسم القديم ، لمدة عشر سنوات تعود بعدها للوحات بهاؤها القديم . . ومن ثم تعيد الحكومة السوفييتية المجموعة كاملها الى درزذن ، الى الشعب في المانيا الديمقراطية .

xxxxx

هذا ، واعترافا بفضل الاتحاد السوفييتي والدور الذي قام به الجيش الاحمر في انقاذ اللوحات التي لا تقدر بثمن فقد عرض متحف درزذن تلك اللوحات الرائعة في متحف بوشكين بموسكو ، علامة على الصداقة الابدية بين الطبقة العاملة في المانيا والاتحاد السوفييتي وبمناسبة مرور اربعين عاما على هزيمة الفاشية والنازية .

في الصباح الباكر اجتمع في الردهة كل الذين كانوا على مقربة . . واخيرا صار من الممكن رفع اللوحة . .

"كنت سأذنب في حق الصديق لو قلت ان انفجار الفرح حل في تلك اللحظة محل السكون . كان الجميع واقفين في صمتهم السابق مركزين انظارهم على امرأة حافية تسير بيسر على الغيوم المتلبدة . وصمت انا معهم مستوعبا اهمية كل ما يحدث مغالبا بكل قوة شعورا ما بين التكدر والارتباك "

" كانت امامنا في حقيقة الامر لوحة من اعظم اللوحات التي خلقها الانسان في كل العصور ، كنا امام " العذراء السكستينا " لروفاثيل ."

الحنان والرقه والحب تتجسد في عذارى روفائيل المفعمات بمشاعر الامومة : بالشكل الذي تسلكه ام شابة ، فان العالم بالنسبة لها مركز في مخلوقها الصغير الذي تضمه الى صدرها بحنان شديد .

ان نظرة " العذراء السكستينا " التي غشاها الحزن قليلا مفعمة بالثقة بالمستقبل الذي تحمل اليه اعز شيء لديها ، ابنتها ، بعظمة وبساطة شديتين .

ولربما في تعبير الثقة هذا بالذات ، الموجه الى الجميع والى كل انسان ، الثقة المتغلبة على الفزع ، يكمن سحرها الفريد الخالد ، ونظرتها النافذة من خلال القرون ، ما كان يمكن الا ان تثير التجاوب في قلوبنا .

ويستمر البحث بموجب الخطة " م " التي تشير الى قلعة فيينزشتاين حيث تم اعتقال

التحليق فوق الجدار .

الجزء الثاني من قصة "ساعات ما قبل الفجر"



قلم

بقلم : محمد خليل عليان

الاهداء

مهده الى رفيق درسا وشريكا في
المعاناة والالام، الشهيد اسحق موسى مراغة
(ابو جمال) .

دخلت الى الزنزانة - عاريا كما ولدتني
امي - اغلق الحارس الباب وذهب ليعود من
حيث اتي .. مصطحبا اسيرا جديدا .

اخ رأسي ثقيل ، ثقيل ، رأسي كتلة من
نولاذ ، لا اقوى على تحريكه جسمي يكاد
يتهاوى تحت ثقله . اواه من الذي يضربني
بطرقة على مؤخرة رأسي ؟ اخ . طق . طق
طق ...

ارفع يدي بصعوبة ، احتضن بها رأسي ،
اند رأسي ، رأسي انا لا غيري لكنه ثقيل -
انحسه ، ها هو شعري ، هو هو ، لكنه جاف
يخزني كالابر ، عيناى ، اه ... ها هما ،
دامتان ، تسرى بهما حرارة شديدة ، لكنهما

تريان عبر الظلام ، نعم تريان وان ليس
بوضوح ها انا ارى الزنزانة ، نفس الزنزانة ،
نفس الزنزانة التي خرجت منها قبل ساعة او
ساعتين ، لا .. ليست هي ، انا متأكد ، عيناى
موجودتان في مكانهما ، توئلانني ، لا ارى
بوضوح ، والحارس لم يشعل النور ، لكنني ارى
.. احتضن رأسي بقوة اشد ، الالم لا يزال ،
الالم يزداد ، ها انا ارى نافذة كبيرة تطل على
مدينة الرملة النائمة ، احاول ان ارفع قدمي ،
هذه ليست قدمي ، لماذا لا تطاوعني ؟ لماذا
لا اشعر بوجودها ؟ اين هي ؟ انظر الى
اسفل ، انها موجودة ، المسها بأصابع يدي ،
موجودة ، أمرها ان ترتفع . اريد ان اسير ، ان

اتوجه الى النافذة وارى الرملة الغارقة في
احلامها .

— ارتفعى ... ارتفعى ... ار ...

لم ترتفع ... اواه ... لماذا ؟ هل هي
مخدرة ؟ لا ... لماذا تتخدر ؟ سرت
عليها مسافة طويلة ، عبرت الرواق ذهابا
وايابا ، كانت تؤلمني صحيح ولكنها كانت
تمثل لاوامرى ، امر اصابعي عليها ، الجلد
ازرق ، ازرق كسماء الرملة في وضح النهار
اجلس على الارض ، عاريا ما زلت ادلك قدمي
، عبثا ، احاول ان اعيد اليها الحياة .

ادلك ، ارفعها الى اعلى يدي ، انزلها ،
احركها يمينا وشمالا — تبدأ تنمنا اه — ها هي
الحياة تعود اليها — بدأ الدم يسرى في
عروقها — تبدأ تنمنا كما لو كان فيها بيت من
النمل ، اثير فجأة ، انهض ، ها انا ارى بوضوح
اكثر ، في الزنزانة نافذة .. رأيتها من قبل
ورأيت خلفها اضاء المدينة المرتعشة .

وما هذا ؟ اقترب ، اضع يدي على
قضبان حديدية ، آه — انها اسرة تنتصب هنا
عارية كهياكل عظمية لحيوانات انقرضت منذ
زمن بعيد بعيد ، واحد . اثنان .. ثلاثة ، ثلاثة
اسرة عارية باردة — افرك عيني باطراف
اصابعي . ادقق اكثر مخترقا طبقات الظلام
الكثيفة التي يبدها في الزاوية اليمنى خيط
دقيق من النور يأتي عبر النافذة . هناك باب
خشبي ، لا بد ان يكون بابا لدورة المياه .

عاريا ما زلت ..

رأسي يؤلمني ، عيناى جمرتان من نار
في موقد ، شفتاى جافتان ، لساني قطعة من
جلد سمك الدلفين ، جلدى ازرق جاف — آه
معدتي ... وعاء مليء بالملح والماء المغلي .
الباب الخشبي — ماذا يخفي وراءه ؟

اخطو خطوة ، ارفع قدمي بتثاقل ، اناوه ،
اتمايل كخرقة على حبل تلعب بها الريح يمنة
ويسارا — خطوتان ، اكاد اسقط — رأسي — قدمي
تراودني رغبة في التقبؤ ، اتقدم ، وصلت ،
عاريا ما زلت .

امد يدي ، افتح الباب .. دورة مياه —
لم اصدق — افرك عيني — اصدق اكثر . حزمة
من شعاع تتسلل عبر كوة الدورة لتسقط على
المغسلة التي بدت امامي بلون الفضة — نم
دورة مياه ، ها هو الصنبور ينتظر احدا يفتح
ليصب ماءه العذب داخل المغسلة الفضية ، ها
هو الدوش مثبت في الجدار .

دورة مياه ! انا ارى — ليس جيدا ،
لكنني ارى ، الصنبور النحاسي الاشبه برأس
ديك بلدى ! المغسلة التي تلمع تحت اشعة
الضوء الباهتة ! الدوش .. المصرف الذي
يفتح فاه بشراهة .. اترنح قليلا — اتكئ على
الباب — رأسي يدور يدور — يدور .. يدور .

تقدم خطوة — خطوة واحدة لا اكثر —
تقدم — الماء قريب .. قريب ... قر ...
ارفع قدمي — اجتاز العتبة .. امد يدي
المس الصنبور .. اه — ما الذ برودته ادور
الحنفية — تصر كما الديك الذى التوت رقبته
للذبح — سال الماء صا ... فيا ... با ...
ردا .. منعشا .. ادور اكثر ... يندفع الماء
بقوة يسقط رذاذه على جسدى العارى ، اضغ
رأسي تحت الصنبور — اخ — يقشع بدني ولكن
ليس هناك الذ وامتع من ان تضع نفسك تحت
الماء .

اشرب واشرب .. لا ادري كم اشرب ،
معدتي وعاء مثقوب لا يمتلئ ، اشعر بالغبثان
، لا اقدر على مغالبة رغبتى بالتقبؤ ، يندفع
من فمي شلال من القيء المزوج بالدم ..

اخرج ويدي تضغط على موضع الالم في صدري ، اقف في منتصف الزنزانة اتناول قميصي . اجفف به رأسي وجسمي وبجهد بالغ ارتدى ملابسي وانا اسعل بين الحين والاخر . وفي الداخل ما زال الصراخ الذي اعرف سببه جيدا يدوي ، ومن خلف قضبان النافذة .. كانت اضواء المدينة قد بدأت تخبو شيئا فشيئا - وانا ما ازال اجلس على حافة سرير حديدي عار اسعل وابصق دما وارتعف ، وانظر الى السماء التي بدأت ترزق والى المدينة التي نهضت من نومها للتو .

(٢)

اذكر انني كنت انتعل حذاء ولكن عندما وصلت مدينة القدس وجدت نفسي اسير حافيا في شارع ذاب اسفلته من وطأة حرارة شمس تموز ، سرت وكلما رفعت قدمي عن الشارع كنت ارفع معها كمية من الاسفلت المغلي ، والمارة ينظرون الي بدهشة - ويتساءلون كيف اسير في هذا الشارع ! حافيا سرت ، ذاب الاسفلت - وطشطش كزيت في مقلاة ... لم اشعر بأى الم ، سرت - وصلت الى مفترق طرق ، ملت جنوبا .. نحو مقبرة راس العامود غابت الشمس فجأة .. وحل الظلام - واصبح كل شيء دامس ، لم تشعل المدينة انوارها ، لم تكشف السماء عن نجومها ، حتى قمرها ابتلعته الظلمة ولم يعد له وجود عجبت بهذه المدينة التي لشد ما تغيرت ، كل شيء فيها تغير منذ ان تركتها عجبت من امر سكانها الذين غابوا مع غياب الشمس وكأن لا وجود لهم واصبح كل ما فيها ميت - لاشي فيه يذكر بالحياة .

سرت في المقبرة حافيا - بدأت الحجارة الحارة تخز اقدامي ، نويت ان اجلس على

الملح .. يقتلني - يحرق احشائي . الملح - مرة اخرى اتقيأ - من اين دخلت هذه الكمية في معدتي ؟! تزداد كمية الدم الممزوجة بالقيء ، اتاوه بصوت عال ، الالم شديد والمصرف يفتح فاه منتظرا ان القي فيه كميات متزايدة من القيء والدم . اشرب مرة ثانية ، قد يخفف ذلك من وطأة الحرارة في داخلي . ما

الن الملح .
اسعل ، اشعر بوخزة حادة في صدري .
اسعل ... مرة .. مرتين .. ثلاثة .. آخ ... ما هذا الالم ؟ اتنفس بصعوبة . شيء ما يضغط على صدري ! ليس هناك مكان في جسمي لا يؤلمني اعتقدت ان الماء سينعشني ، فاذا به يوقظ الالم الحادة في معدتي وصدري ورأسي ، مع ذلك لذيد هو الماء ، لذيد هو الماء .

اقف تحت (الدش) ، افتحه - يندفع الماء على رأسي ، ادلك جسمي كله ، اشعر بقليل من الانتعاش ، غير ان جوفي ما زال يحترق ، اتقيأ مرة اخرى وانا تحت الماء مستندا على الجدار ترعبني كمية الدم الممزوجة بالقيء - ماذا يعني ذلك ؟! هل اصبت بنزيف داخلي ؟! تسرى في جسدی رغبة قوية - اطرد هذه الفكرة من رأسي . قد يكون الدم نتيجة الجفاف الذى يسببه الملح في المرء والحلق .. تنتابني نوبة اخرى من

لسعال الحاد . اشعر باوصالي تتقطع ، اتنفس بصعوبة بالغة كما لو ان صخرة كبيرة تجثم على صدري .. ابصق .. اواه - ابصق دما اسعل مرة اخرى ، تزداد كمية الدم في البصاق ، ابتعد عن الماء المندفع من (الدش) ، اغلق الصنبور ، يهدأ كل شيء الا امعائي التي ما زال يغلي فيها الملح ويتبقي كالزيت .

وحلمت حلما مزعجا ، ومع ذلك كم رغبت لو
تركني الحارس اكمل حلمي ، لارى اين كنت
سأصعد ، والى اى حد سيرتفع الجدار ، افرك
عيني ، اتأمل قليلا .

— قم — اسور ليشون × (٢)

يتصبب العرق من جسمي بغزارة — وحلقي
جاف — معدتي مضطربة من الملح الذى يتفاعل
داخلها وصدرى ثقيل :

— قم هاسفراه × (٣)

اخ ضربة اخرى على خاصرتي ، اود ان
انام واحلم واحلق في السماء ، ارتفع ويرتفع
الجدار حتى يرهق الجدار ويتوقف عن
الارتفاع وارتفع انا وارى ما وراء الجدار بيت
صغير في طرف الوادى وداخله نعيمة والاولاد
آخ .

— قم كيلب قم × (٤)

تراودني رغبة ان لا استجيب اليه ، لماذا
اقف امامه كجندى يوءدى التحية لرئيسه ؟
لن اقف ، لن استجيب لطلبه ، اريد ان ارتفع
وارتفع فوق الجدار لارى البيت وداخله نعيمة .
اخ ، اتنفس بصعوبة ، اسمع حشرة كلما
ارتفع صدرى وانخفض ، يغمرنى العرق كما لو
كنت خارجا من بركة ماء .

— بسيدر .. بسيدر

ينحني قليلا ، هذا الطويل الرفيع
كالقصبة ، يمسكنى بذراعي ، هذا الطويل ذو
الوجه الاصفر المغطى بالنمش — يشدني الى

حافة قبر ، مددت يدي ، اصطدمت بشاهد
القبر .. انفتح كما لو امرته بذلك ، خرج منه
مخلوق غريب ، يرتدى عباءة سوداء وجهه
ابيض ، انيايه كالرماح طويلة ، رأسه كبير مد
ذراعيه الطويلتين نحوى ، خفت ، صرخت ، لم
تخرج الصرخة من حلقي حاولت الصراخ ثانية ،
انادى على نعيمة زوجتي نع ٠٠٠ ي ٠٠٠ مة .
لم يخرج صوتي ، صوتي مخنوق .. لم يسمعي
احد .. حاولت ان اهرب نحو بيتي الذى يقع
في طرف الوادى .. لم استطع .. اقدامي لم
تطاولعني — كما لو ثبتت بمسامير فولاذية ،
اقتربت ذراعه مني . برزت منها مخالب حادة
، نز العرق من جسمي كله — تساقط على الارض
، بللها ، صارت رخوة كالعجين ، حاولت ان
ارفع قدمي ، ارتفعت ، قفزت قفزة طويلة ،
هربت من هذا المخلوق ، لحقني ، واجهني
جدار عال ، دفعت نفسي الى الاعلى ، طرت
كما لو كنت صقرا ، ارتفعت ، والجدار يرتفع ،
ارتفع انا اكثر ، يرتفع الجدار اكثر ، نظرت
الى الاسفل كان المخلوق الغريب بعباءته
السوداء ووجهه الابيض يتصائل شيئا فشيئا انا
ارتفع وهو يصغر ، يصغر ويصغر حتى اصبح نقطة
سوداء في مقبرة تختبئ وراء اسوار المدينة
التي لم تشعل انوارها في هذه الليلة الحالكة
الظلمة ... و ...

(٣)

اخ ضربة قوية على خاصرتي .. اخ ..
افتح عيني — الحارس يقف جانبي

— كيليب — مي امار لخاليشون × (١)

آه يبدو انني نمت من شدة الارهاق ،

(٢) اى قم ١١ ممنوع النوم .

(٣) تعني : قم .. عدد

(٤) تعني قم يا كلب

(١) اى قم يا كلب .. من امرك ان تتام

أخ يصعب علي التنفس .

- أتحب الحياة ؟

سألني ذو الوجه المخنث قبل ساعات -
الحشرة .. يعتقد انني لا احب الحياة قلت له
انني احبها واحبها بل واسمو في حبها - من
لا يحب الحياة ؟ ولكن .. نعم ولكن " حياة
عن حياة تفرق " .

هل سأسقط قبل الجدار ؟

في الخارج كانت الشمس تصعد من وراء
الافق لا اراه، واضنها تبحث عن الاماكن
المظلمة لتنيرها .

يصعب علي التنفس .

هل سأسقط قبل الجدار ؟

ارفع رأسي قليلا - انظر عبر النافذة،
تكتسي المدينة ثوبا برتقاليا .

يصعب علي التنفس .

اطرافي تزداد ارتخاء .

المدينة تبدأ يومها الجديد، تدب فيها
الحياة، وتمتج صفارات القطارات بضجيج
السيارات .

يصعب علي التنفس .

احاول ان اتحرك، كل شيء يؤلمني، لو
اني استطعت ان اصل الى دورة المياه، ارحف،
امد يدي، امسك بطرف السرير، ارفع نفسي
بثناقل، اقف على قدمي اسير متكئا على
السرير والحاائط، خطوة، خطوة حتى اصل
دورة المياه، افتح بابها الخشبي، كأني افتح
باب ملجأ، ادخلها، افتح الصنبور واشرب ماء
واتقيأ ملحا ممزوجا بالدم . اسعل، اه ..
اسعل حتى تتقطع اوصالي .. انهكت قوى ،
ولم اخرج من الدورة الا بعد جهد بالغ .

(٤)

حط عصفور على قضبان النافذة، حاول

على، هذا الذي يقذفني بالشتائم دون
صاب .

اوه كم يصعب على التنفس ؟ رغبتني
التقيؤ شديدة، معدتي تضطرب والملح
يتفاعل وينز من جسمي ممزوجا بالعرق .

يصعب علي التنفس .

ابر صغيرة تخز رثتي، اسمع الحشرة
بوضوح .

- " نعوذ ما هير . كيلب x (٥) .

يوقفني على قدمي، يلكنمني على وجهي
... انهاوى .. اصغع الارض بوجهي يقهقه
بموت عال، يخرج ويصفق الباب وراءه .

يصعب علي التنفس .

في رثتي قطعة حديد حادة - تقطع اوصالي
كلما تحركت او تنفست، معدتي ترتفع حتى
حلقي، في جاف مالح - مطرقة ثقيلة تنهال
على مؤخر رأسي، ذراعي رخوتان كقطعتي
نماش، قدماي ليستا لي، قدماي ليستا جزءا
من جسمي . يصعب علي التنفس .. يصعب
علي التنفس .

اتحرك قليلا، اريد ان اذهب الى دورة
المياه، اريد ان اشرب، ان ابلل فمي بالماء
اغسل معدتي بالماء، اصب على جسمي الماء،
اغرق نفسي بالماء .

اتحرك، احاول ان اقف، لم اقدر،
انهاوى اصغع الارض بوجهي للمرة الثانية،
اناوه انا وليست الارض، هل انا ضعيف الى
هذا الحد ؟ انا انا ارتفع والجدار يرتفع، ان
سقطت قبل الجدار ستحتويني المقبرة وان
ارفق الجدار قبلي فسأقفز الى الجانب الاخر
حيث البيت الصغير .. ونعيمة والاولاد، اريد
ان ارتفع وارفع، لن اتوقف، لن يرهقني الجدار

(٥) تعني : قف بسرعة يا كلب

تخرج من حلقي كسعال مسلول عجوز، وما يزال
الدم يخرج مع البصاق ومنديلي الذي ابقى
فيه ملطخ بالدم، والعرق يزداد غزارة،
اطرافي مرتخية .. هل هي النهاية؟ كم
ساعة بقيت حتى اودع هذه الحياة؟ وحتى
افارق رفاقي ويتوقف قلبي عن الخفقان واصبح
جثة خاملة باردة، تلف في رداء ابيض وتوضع
في تابوت او حمالة - تحمل على الاكتاف،
وتلقى في حفرة صغيرة، ينهال عليها التراب
لتظل هناك في ظلام سرمدي حتى تتحلل
وتصير ترابا؟

كم ساعة بقيت لي لاودع حياتي التي بها
من الالام ما يعجز الصخر عن احتماله وفيها
من الدموع ما يغرق الرملة ومن فيها؟
اسمع زقزقة عصفور. واعتقد انه نقيب
غراب .. اسمع تغريد بلبل من خلف قضبان
النافذة واحسب انه نقيب بوم، اسمع نقيق
الضفادع. تنقف بين الحشائش واحسب انه
نقيب ارملة صبية - ارى المدينة من بعيد
تنفض آثار النوم عن جفونها وأخالها ما تزال
نائمة غير آبهة بما يجري في الجزيرة التي هي
نائمة بعيدة رغم انها في وسطها، اشعر كما لو
كنت اقف والموت وجها لوجه، الموت الذي
لم يسبق لي ان واجهته حتى في احلامي
المزعجة، ظهر لي الان في حلم النوم وحلم
اليقظة وكأنني ذاهب اليه بارادتي لا محالة ..
يشدني اليه بقوة سحرية خيل لي انني لا
استطيع منه فكاكا . ايكون ذلك لان وضعي
الصحي يتردى . وان قواى السجدية تتداعى
شيئا فشيئا ؟ ايكون ذلك لانني اصبحت لا
اقوى على تحريك اطرافي وان الملح الذي
تسرب الى رئتي بدأ يمزقها ؟ هناك الكثير
من الاسباب تجعلني اقف امام الموت وجها

ان يدخل رأسه من فتحات الشبك الدقيق
وحين عجز عن ذلك زقزق وصفق بجناحيه
وطار الى حيث لا ادرى . وفي الداخل، كان
الصراخ قد انقطع وحل محله صمت ثقيل،
تشعر معه وكأنك لوحدك في جزيرة نائية ممتدة،
شمسها منطفئة وريحها خرساء ونجومها خافية،
جزيرة تقع في منتصف مدينة تضج بالحركة
والحياة، لكنها نائية بعيدة، ممتدة، لا اثر
للحياة فيها سوى انات الرفاق التي تقطع
حبال الصمت من حين لآخر لتذكرك بحقيقة
وجود الموت الذي لف السجن بعباءة -
السوداء - خطوات الحارس ماتت، وحتى
مفاتيحه التي تتدلى من حزامه لم يعد لها اى
صوت .. صفقات الابواب المتتالية اصبحت
تشبه انين عجوز مكنوم - كل شيء يلغى النغوض
... ماذا وراء ستار الصمت هذا ؟ هل
ستتكرر احداث الليلة الماضية ؟ ماذا حدث
للفراق ؟ الى اى حد يعانون ؟ هل ؟ لماذا ؟
كيف ؟ .. متى ؟ .. اسئلة كثيرة وكثيرة -
مؤلمة وقاسية تتراود الى ذهني ، لست ادرى
كيف اجيب عليها، شيء واحد فقط يمكنني
الجزم فيه هو ان الطاقم لم ينجح الليلة في
كسر الاضراب رغم التعذيب الذي مورس ضدنا
،وهو بالتاكيد لن يياس ، بل سيحاول، نعم
سيحاول وقد تكون هذه المرة اشد واقسى
خصوصا ونحن في حالة صحية متردية تجعلنا
قريبين جدا من الموت .. فهل سأسقط قبل
الجدار ؟

تذكرت الحلم الذي رأيته في غفوتي
القصيرة قبل قليل - مقبرة ، مخلوق غريب
بأنياب حادة وعباءة سوداء - جدار يرتفع كلما
ارتفعت - ماذا يعني ذلك ؟ هل يعني الموت ؟
هل يعني النهاية ؟ ! يقشعر بدني ، اسعل سلة

خفيفا كطير يفتخر بقدرته على اختراق طبقات الهواء .

اي قوة اشعر بها الان ؟ اي حب يعصف في قلبي الان .. تنثال في صدري موجات دافئة من الحنين الدافئ .. ذاك الحنين الذي يشعرك بالسعادة حتى لو كنت في اسوأ الحالات وأصعب الظروف ، حنين الى البيت الصغير الذي حجه الجدار عني . اريد ان ارتفع لاراه ، حتما سأراه ، بيتي الصغير الذي يقف بشموخ في طرف الوادي ، احن للشجيرات التي تحيط به والتي غرستها بنفسي ، احن لكل حجر فيه ، لكل قطعة اثار في داخله ، احن لنعيمة ، زوجتي الحبيبة التي تمثل امامي الان .

ايه يا نعيمة ! يا زوجتي الحبيبة ! عانيت الكثير بسببي ، مزقتك الالام وحفرت الدموع على وجهك الاخاديد ... ارهقتك سني الفراق الطويلة .

ايه يا نعيمة يا زوجتي الحبيبة ! خالد هو حبك مثلما انت خالدة .. في قلبي .. احن اليك .. اشتاق لكلماتك العذبة ، للمسات يدك الدافئة ... لروءية ابتسامتك الوضاء .. والتأمل في عينيك السراوين ، ايه يا نعيمة يا زوجتي الحبيبة ، اريد ان اعيش من اجل ان اكافئك على حبك الابدى ولاعوضك عن سني عذاباتك .

اريد ان اعيش من اجل جمال وامال وامينة واسماء ... اه يا اسماء طفلتنا الصغير عندما اطلقت صرختها الاولى كنت في زنازة مظلمة رطبة ، لم اسمع صرختها ، لم احملها بين ذراعي وهي ابنة ساعة ولم ترني امامها حين فتحت عينيها للمرة الاولى ، كنت في زنازة مظلمة رطبة ، اعيش مع الامي وذكراياتي

لوجه ... ولكن .. نعم ولكن لماذا اموت ؟ لماذا اسقط قبل الجدار لتحتويني المقبرة الموحشة ؟ لماذا لا استمر في الارتفاع رغم الجدار ؟

ساءلت نفسي ، وخيل لي انني انتفض وكانني نهضت من نوم عميق .. رأيت فيه احلاما مزعجة وضعتني على مفترق طرق ، اما الحياة واما الموت .. اما الاستمتاع بتغريد البلابل وزقزقة العصافير ، واما ان يعيش اليوم والغراب في زوايا قلبي الى ان يتوقف عن الخفقان .

لم تكن الاجابة عن هذا السؤال مرهقة وصعبة ، كانت تكمن في فكرة واحدة برزت الى ذهني فجأة وهي انني احب الحياة وان من حقي ان اعيش واحيا . من حقي ان اقاوم الموت واقاوم من يريد ان يسلبني هذا الحق الانساني ! ! وممارسة حقي هذا والدفاع عنه هو واجب ايضا .. تفرضه علي حقيقة كوني لست وحدي - وحياتي ليست ملكا لي فقط ، ولو كانت كذلك فقدت الكثير من قيمتها ومعانيها ، حياتي ملك المجموع الذي احيا في وسطه ، ملك نعيمة التي تقاسمني الحياة بالامها ومسراتها ، ملك جمال وآمال وأمانة واسماء الذين ينتظرون عودتي بعذاب وألم - حياتي ملك الانسانية جمعاء ومن واجبي ان احافظ عليها وان اقاوم الموت واطرده .

بدا لي رغم ضعفي انني احب الحياة حبا جنونيا ورغبتي فيها وصلت حدا لم اشعر به من قبل ، ويبدو لي الان ان شعاعا ساطعا انار قلبي ويدد طبقات الظلام التي لفته قبل حين .. وامتلأت بالحياة بعد ان كنت اتسر وكان في داخلي هوة سحيقة لا قاع لها خاوية مظلمة . اشعر انني احلق في السماء ، ارتفع وارتفع

- لا تنسى يا ابي .. لا تنسى .. سأعطي مكتوبك للمعلمة وأقرأه امام البنات
اسماء حلوتي ، صغيرتي كتبت لها الرسالة ورسمت عليها وردة صغيرة حمراء تنزلق عليها قطرة من الندى شبيهة بالدعشة التي انزلت على خدها عندما انتهت مدة الزيارة ، واسماء .. لم ارسل الرسالة ، ابقيتها في الخزانة وأعلنا الاضراب ، وامتنعنا عن ارسال الرسائل كجزء من الاضراب ، ترى هل سأتمكن يا نعيمة من الايفاء بوعدى ؟! سأعيش من اجل اسماء ، سأشتري لها هدية لتفرح بها .. ماذا تريد ؟! دمية تلبسها ثوب العروس وتشرح شعرها الاشقر ؟! فستان زهري جميل ؟! قلادة ام سوارا ذهبا ؟! سأشتري كل ما تريد وسأعوضها عن كل ما فاتها من حنان - سأمسك بيدها وأخرج بصحبتهما للتنزه في شوارع القدس وحدائقها ، سأحدثها واحكي لها الحكايات الطويلة والقصيرة وكما ستكون سعادتي يا نعيمة عندما اسمعها تهتف دوما ابي ، ابي ، ابي .

وأحن الى جمال يا نعيمة الغالية ، الى جمال الذي تأخر عن زيارتي ، لم اره منذ شهر ، اصبح رجلا ، نما الشعر على وجهه وكبر شارب الاسود ، ان خرجت حيا من هذا الاضراب سأقنعه بالذهاب الى الجامعة لاكمال دراسته ، ما أعند هذا الـ "جمال" يا نعيمة .. يشعر انه الرجل الوحيد في البيت ، يرفض اتمام الدراسة ويصر على العمل لاعالتك واخواته - كان يقول :

- لما تخرج بصبر خير .

لما اخرج يصير خير ؟! ربما اخرج اليوم وربما بعد انقضاء كل سني حكمي عشرين عاما جيلا كاملا . يكون قد تزوج وانجب اطفالا واصبحت انا وانت يا نعيمة اجداد ولنا احفاد

وحين علمت بمولدها من المحامية قدرت انها تشبهك ولم اخطئ يا نعيمة ، فكم تشبهك ، صورة طبق الاصل عندك اسماء تشبهك بعينيها وشعرها وابتسامتها وتقاطيع وجهها حين تحزن وتورد خديها حين تضحك .. اسماء طفلتي الصغيرة - اذكر زيارتها الاخيرة كانت فرحة جدا - قالت انها حصلت على علامات عالية في المدرسة وانها حصلت على هدية من المعلمة هناها بحرارة ، حاولت ان اقبلها من وراء الشبك ، لم استطع ، قبلت اصبعها ، ابقيته في فمي كما لو كان قطعة سكر :

- اريد هدية منك يا ابي ؟!

ابتسمت لها نعيمة .. ماذا بوسعي ان اقدم لها ؟!

قلت لها ان جمال سيشتري لها فستانا جميلا ويهديك اياه باسمي " انطفأت الابتسامة عن وجهها - لم ترض بهدية لا اشتريها بنفسى .. واقدمها بنفسى :

- لا يا ابي . اريد منك انت .. منك انت .

مؤلمة كلماتها يا نعيمة ، اخترقت اذني كالسكين ، نظرت انت الي وخيل لي ان آلام جميع البشر تجمعت في هذه اللحظة في عينيك اللتين غشتها قطرات من الدموع فانت تعرفين انه ليس بوسعي ان اقدم لها سوى الكلمات وعبارات العطف والحنان ، قلت لها بعد ان الحت بطلبها انني سأكتب لها رسالة وارسم عليها زهرة جميلة عادت الابتسامة على وجهها الطفولي ورفرفت بيديها فرحة . احتضنت الشبك تريد ان تقبلني ولكن كيف يا نعيمة ؟! الشبك اللعين ذو الثقوب الدقيقة يحول دون ذلك ، فأمسكت اصبعي ، قبلته وهي تضحك ثم القت برأسها عليك وقبلتك بطرف اذنك .

طار وحلق في السماء ، ربما يتوجه الان الى عشه حيث ينتظره فراخه الصغار . اسئل بقوة شلت اطرافي ، لماذا لا استدعي الممرض لتناول العلاج ؟ ١٠ قد يخفف ذلك من الامي .. لماذا ، لا اعمل على انقاذ نفسي ؟ ١١ .
النهاية تقترب .. لا النهاية بعيدة ، بعيدة ، وانا ما زلت احلق في الهواء خفيفا .. خفيفا .. الى الاعلى .

سأطلب العلاج ، سأستدعي الممرض ، من حقي ان احيا ، من واجبي ان ابقى حيا .
ازحف ببطء نحوالباب .. اتكئ على الحائط - اضرب الصاج بقبضتي - اصرخ بصوت متقطع :

- يا .. شا .. و .. يش .. يا .. شا .. و .. يش ..
و .. يش ..

انتظر قليلا .. لم يسمعي احد ..
اضرب الصاج بقبضتي مرة اخرى .. صوت الطرقات المتتالية يكسر حاجز الصمت ..
وعادت الحياة الى الجزيرة النائية الميتة :-
من يضرب على الباب يا اخوان ؟ ١٢

لم يكن هذا صوت الشاويش .. كان صوت ابي السعد ، اه يا ابا السعد .. انت ما زلت حيا اذن . صوتك تغير قليلا ، صوتك مبحوح ، لكنه صوتك الحنون - ابتسم ، وأشعر بدفقات قوية من الدم الحار تملأ عروقي .. ابو السعد يحدثني - يخفق قلبي فرحا ويزغرد - ابو السعد حي ما زال وباقي الرفاق ؟ ١٣

- انا .. يا .. ابو السعد .. انا ..
- ابو جمال ؟ ١٤ صباح الخير ؟
يقول بصوت خافت - كي لا يسمعه الشاويش .

- كيف حالك يا رفيق ابو جمال .
- لا بأس .. لا بأس ..

ويكون هو قد اعتاد على العمل ورحمة الله على الجامعة ، الولد يضحي بمستقبله من اجلك واجل البنات صنعت منه الظروف رجلا قبل الاوان ، هو المسؤول في البيت ، هو الأمر النهائي يرسل هذه الى المدرسة ، يشتري لتلك فستانا ، يسالك عن كمية النقود المتوفرة يقرر في هذا الشأن او ذاك . جمال ولدنا ، كبير يا نعيمة مجبولا بالعذاب والمعاناة ، فليسامحني ، وليغفر لي ، فراقى حرمه الكثير الكثير .

وأمال يا نعيمة .. عروسة البيت ، واميينة البنت التي عذبتني في رسائلها الكثيرة المولمة .

وامي العجوز المنزرعة في البيت كزيتونتتنا الخضراء ما زالت .

وابو موسى .. والرفاق .. كل الرفاق .
والارض .. سلوان .. والقدس .. والوطن .
من اكلكم يا نعيمة .. يا زوجتي الغالية ..
سأحيا وسانتصر على الجدار .. الذي سيرهق قلبي ويتوقف عن الارتفاع .

اشعر بالفصّة تحرقني ، تخنقني ، تتحجر الدموع في عيني المرهقتين ، من الذي لا احن اليه ؟ ١٥ من الذي لا اريد ان اعيش من اجله ؟ ١٦

يصعب عليّ التنفّس .
اسئل مرة .. مرتين .. وثلاثة ...
ابصق في منديلي دما ..
اشعر انها النهاية .. لا .. ليست النهاية - فالنهاية بعيدة ولن تأتي .

انظر عبر النافذة ، عاد العصفور اياه .. وحط على الشباك ، زقزقة .. ما امتع الاستماع اليه ؟ ١٧ يرتفع ليحط ثانية على القضبان ، ما امتع النظر اليه ١٨ يدخل رأسه من ثقب الشبك - ما اروع محاولاته غير اليائسة ١٩ .

— يا شاويش ، يا شاويش ، يا شاويش...
ينطلق صوت آخر .. فثالث ، رابع ،
يضج الرواق بالصراخ :

— يا شاويش.

الرفاق يضربون على الصاج بقبضاتهم ..
الرفاق يصرخون ، ابو السعد يصرخ ابو الرائد
.. ابو العون .. اعرفهم .. اميز اصواتهم :
— يا شاويش .. يا شاويش

اين الشاويش ، لو كان نائما ليقظه هذا
الصراخ الذى يصم اذني فيل افريقي ، صوتك
يا ابا العون مبحوح :

— يا شاويش .. ايفواتاه (٦) .

يأتي الشاويش مهرولا ، يا ابا الرائد ،
صوتك قوى ما زال .

— مازيه .. راعش .. تشتوك .. مسيك x (٧)
يركض هنا وهناك .. ربما ظن ان السجناء
الذين من المفروض ان يلوكونا الامهم بهدوء
ودون اى صوت قد اعلنوا التمرد او ان شيئا
خطيرا قد حدث

— ما زيه .. ها .. مي هملخلاخ هزيه x (٨)
اقف على الباب .. لا اعرف كيف وقفت ،
ومن اين اتتني هذه القوة .

— تعال هنا ..

اقترب من زنزانتى — كان نفس الشاويش
الذى ضربني عندما وجدني نائما .

— اتاه ؟ . ما اتاه روتسيه x (٩) ؟

اقول بصوت متقطع ضعيف ، اكاد لا اسمعه
انا نفسي .. اسعل .. اسعل .. اسعل ..
ابصق دما .. اللعنة .

— ابو جمال . كيف حالك يا رفيق ؟

يرتفع صوت ابي السعد اكثر ، مضطربا
اظنه يرتجف الان كارتجاف صوته .

— لا بأس .. يا ابا السعد — انا ما زلت قويا
.. قويا ..

— هل انت الذى كنت تسعل طوال الليل ؟
"اسعل . اللعنة على السعال"

— نعم .. انا ؟

— لماذا لم تستدع الممرض .. لماذا ؟
لماذا ؟

يقول بصوت عال .. يتردد رجعه في
اروقة السجن ، اظن ان صوته الذى دخل الى
كل الزنانات ، اثار اهتمام الرفاق الذين
بدأوا يهمسون .

— ها انا استدعيه .. ل .. كن .. المم ..
رض .

اسعل .. لا استطيع مواصلة الحديث ..
متعب انا ، مرهق .. اجلس ..

— ابو جمال .. ابو جمال ..

" يصرخ ، ماذا تريد يا ابا السعد .. ماذا
تريد .. لا استطيع ان اكلمك ، صوتي مخنوق
ضعيف ، مرهق انا ، واهن انا .. "

— .. م .

— ابو جمال .. ساطلب انا الممرض ، من
حقك ان تطلب ، ستحيا ، ولن نموت ،

اضرابنا حتى الانتصار .. حتى الانتصار ،
ليس هدفنا الموت .. اتفهم ؟

الانتصار يا ابا جمال سأضرب الممرض ..

يا شاويش .. يا شاويش ..

يضرب بقبضتيه على الصاج .. ويصرخ :

(٦) يا شاويش .. اى انت ؟

(٧) ما هذه الضجة ؟ اسكت ، كفى ..

(٨) ما هذا .. من هذا القدر

(٩) انت ماذا تريد ؟

واضحة ، قدوم الممرض مقابل تناول الطعام
وانهاء الاضراب وعدم قدومه تعني النهاية
تلك هي المعادلة .. اسعل .. اسعل وابصق
دما ، ادفن رأسي بين كفي .. اتأوه ، انا
اريد ان احيا ، يا ابا السعد لكن الثمن غال
ولن ادفعه يا ابا الرائد ..

- ابو جمال .

يرتفع صوت ابي السعد ، يتخلخل الهواء
في الزنزانات .

- ماذا قال لك الشاويش يا ابا جمال ؟

ابو السعد - يناديني .. ابو السعد ينتظر

الرد مني .. اه .. يا ابا السعد اعفني من

الحديث - انني تعب - تعب - كل شيء

معروف يا ابا السعد - انا اموت رويدا رويدا :

- ابو جمال .. لماذا لا تجيب ، ماذا جرى

لك .. ابو جمال .

امسك بأحد قضبان الباب ، اقف محنيا

ظهري الى الامام ويدي الثانية على صدري ..

اسعل .. اسعل ، ابصق دما ..

- لا شيء يا .. ابو .. السعد .. يريد ..

فقط .. ان .. آ .. كل .. كل ..

- ولا يهكم يا رفيق ، سئلب رؤية الضابط

، سئالب بعلاجك وفحص كل الرفاق من

حقنا ذلك ، من حقنا .

الضابط ؟ الشاويش ؟ الممرض ؟

منهم لم يفقد انسانيته ؟ من منهم لم يتحول

قلبه الى قطعة من الصخر ؟ من منهم لم

يمارس فاشيته .. يا ابا السعد ..

- ابو جمال .. "شد حيلك" يا رفيق

سنجبرهم على علاجنا .

آه يا ابا الرائد .. صوتك هو هو .. قوى

كارداتك وعزمك ، انا اشد حيلي ، قوتي من

قوتكم .

- اريد الممرض ، اريد ...

اسعل ، اسعل ، وابصق امامه دما .

يبتسم ، كما لو كان ينتظر ذلك ..

- ها .. ها .. انا روتسيهات هخوفيش ..

ات هخوفيش .. لاهه ؟ $1 \times (10)$

- لماذا ؟ .. اريد ع .. لاجا ..

يضيق عينيه ، ويقترب رأسه من الباب

كانما يحدثني بشيء لا يرغب ان يسمعه للرفاق .

- حسنا .. حسنا .. بس "انا مسكيم" $\times (11)$ ؟

- على ماذا وافق ؟ اريد علاجا ..

استدع الممرض

اسعل .. اسعل .. وابصق امامه دما ..

اكاد اسقط على الارض ، لكن ، لن اسقط

امامه ، سأبقى .. واقفا .. واقفا ...

- اتاه روتسيه لبي لجا اوخل ؟ $1 \times (12)$.

يحدثني بهدوء ، كما لو كنت صديقه ، هذا

الطويل كالقصبة الغبي كدجاجة هرمه .

- اقول لك اريد الممرض وكفى .

اصرخ بوجهه .. من اين لي مثل هذا الصوت ؟

اسعل . اسعل .. وابصق امامه دما .

يبتسم .. يضحك .. يتناثر لعابه من فمه

.. ها .. ها .. قه .. قه ...

- مت مثل الكلب الاجرب .. لن يسأل عنك

احد .. تفو ...

- تفو عليك ..

ابصق على وجهه المغطى بالنمش .

- اذا لم تأكل لن ترى الممرض .. مت .

يذهب واجلس على الارض - المسألة

التي تريد الممرض .. الممرض .. لماذا ؟

(1) انت تريد الممرض .. لماذا ؟

(2) انت موافق

(3) انت تريد ان اجلب لك الطعام



— من منا مريض الى هذا الحد يا رفاق؟
آه يا ابو العون ، عرفتك ، عرفتك من صوتك
المبحوح الذي ينعش القلب لا يزال .

— جميعنا مرضى .. على ما اظن ، ولكن
بشكل متفاوت .
يقول ابو السعد ، ويضيف بنبرة اقوى :
استطعت ان ارى من مكاني هذا كل الرفاق
عند ذهابهم الى العيادة وعودتهم منها
— اعتقد ان الجميع مر بنفس مراحل
التعذيب ...

— هل جميعنا هنا ؟

يسأل ابو العون ..

— لا يا رفيق ، قسم منا وضع في زنانات
الطابق العلوى وهم ليسوا بافضل حال منا ...
— عذبونا بشكل جنوني ، ما زلت اتقيأ
الملح حتى هذه اللحظة ...

علق احد الرفاق :

— صمودنا .. اسعد .. طو .. رة .. يا رفاق .
اسعل .. اسعل ، .. اللعنة ، لو اني
استطيع المشاركة في الحديث ، معنويات
الرفاق عالية ، هذا ما تدل عليه اصواتهم ،
صمودنا اسطورة ، صمودنا اسطورة سجل يا
تاريخ ..

— يا رفاق ، انا اعرف من تجربتي في اضراب
عسقلان ان السعال الشديد يعني .. ان
الملح او الحليب تسرب الى الرئة ،
لنناد على الممرض بسرعة .

من هذا الذى يتكلم ، صوته منخفض ،
نبراته ضعيفة .. من ؟ آه .. هذا ابو
صخر .

— يريدوننا ان نند .. هي .. الا .. ضر ..
ا . ب . مق . بل العلاج يا رفيق
اسعل اسعلا جافا ، صدرى يتمزق ..

— لا .. سننادى على الممرض والصابط ،
سنطلب فحصنا كلنا .. من حقنا ذلك .
قال ابو السعد بحزم

— ابو السعد .. انت تتعرف .. لا يمكن ان
اشترى حياتي بلقمة خبز ، اعرف اني
اموت اموت .. يا رفاق .. لكن .. لر
انهي اضرابي ، لن اخذلكم ، سرت معكم ..
سأواصل حتى نهاية الطريق .. لر
اخذلكم يا رفاق .

آه — اريد .. ان اتحدث اليهم .. تخرج
كلماتي حزينة مؤلمة ، تتطاير مع نسائم
الهواء الخفيفة التي تسرح وتمرح في الرواق
مشبعة بانفاس الرفاق .. اتحدث اليهم كما لر
كنت اتحدث للمرة الاخيرة .. واوه .. للمرة
الاخيرة ..

— ابو جمال . لا تقل ذلك يا رفيق ...
ستعيش ، سيأتي الصابط واتحدث معه ..
— ابو السعد .. ابو العون .. ابو الراك
.. يا رفاق .. فكرت قبل ساعة بأن من
حقي ان احيا واواصل معكم النضال
واحتضن نعيمة وادم الى صدرى اساء
وجمال وآمال وامى .. نه .
اسعل ..

اسعل .. اسعل .

— لا ترهق نفسك يا ابا جمال .
— من حقي ان احيا .. ولكن الموت .. في
.. سيل .. الاخرين .. اسمى من ..
الحياة .. في .. ذل ومهانة .. انت ..
قلت .. ذلك .. يا ابا السعد .. تذكر .
.. جيدا .. وانا .

اسعل .. اسعل .. كياني يتمزق الى
اشلاء ، شفتاى ترتعشان بنزف العرق من جسي
.. اسعل .. ما زلت واقفا على قدمي .

معنا . سترسل الرسالة لاسماء - وسترى
آمال بثوب الزفاف وستفرح وترقص في يوم
النصر .. يا شاويش .. اريد الضابط ..
ينطلق صوت .. ابي السعد .. ممزوجا
بالالم والمرارة .. لو اني ارى وجوههم للمرة
الاخيرة .. لو اني اعانقهم .. لو اني "
ابوس الارض تحت اقدامهم "

ربما لا اراهم ابدا ، ربما اسمعهم للمرة
الاخيرة .. ربما وربما - وربما .. انتهوى
على الارض والغصة ما تزال تحرقني وقلبي ما
زال يخفق ، وحط العصفور ثالثة على الشباك
يزقزق - ويزقزق - ما امتع صوته ! ما امتع
النظر اليه ! ما اعنده هذا العصفور هو
سيطير ويحلق في السماء وانا ساموت واحلق
مثله ايضا ، لن اتناول طعامهم الممزوج بالمذلة
وسأواصل السعال الجاف حتى تأتي نهايتي ،
ولكن ان جاءت النهاية - فماذا سأترك ورائي
؟ هل سيذكرني احد ؟ آه يا نعيمة يا حبيبة
انا اترك الان لارحل عنك الى الابد ، تركت
لك جمال الرجل وامال العروس وامينة القوية
التي تعودت على رسائلها واسماء الطفلة التي
لم ارها لحظة خروجها الى الحياة ، تركت لك
اثارا لا تمحى .. وبيتا صغيرا ياويك والاولاد
وذكريات حب جميلة .. لا بأس يا نعيمة -
الحياة عمل وكفاح ، وانا لم امت هكذا دون
سبب افخر به ، مت بعد ان كافحت ما بوسعي
ان اكافح ، وبعد ان ضحيت ما بوسعي ان
اضحي ، وبعد ان قدمت ما بوسعي ان اقدم .
مت منتصبا شامخا ولم انحن ، لم انكسر لم اركع
.. مت واقفا يا نعيمة .. ولك ان تفخرى وان
ترفعي رأسك الى الاعلى اياك .. اياك -
اياك ان تذرفي الدموع ! زغردي زغردي
يا نعيمة وامسحي يا امال عن وجهك اثار الحزن

وانا ان مت .. اموت بشرف .. ومن ..
اجل .. ان .. تواصلوا .. انتم الطريق
.. .. مع .. يا رفاق .. اموت .. هنا
.. انتصار .. لنا .. اعدكم .. واقسم
.. بشرف .. نضالنا .. ان .. اموت ..
ببطولة .
اسئل .

ستحيا يا رفيق - ستحيا .. ونحيا جميعا
.. لنطلب الضابط يا ابا السعد .
ابو العون .. ابو السعد .. ابو الرائد .
.. يا رفاق .. في خزانتي .. رسا .. لة
.. لاسماء .. ارسلوها ان عدتم الى
نفحة .. بدوني .
اسئل .. اضغط على صدرى .. رأسي
يتفجر .

وجمال .. اريده .. ان .. يواصل
دراسته ، وامينة دعها .. تكتب لكم ..
آمال .. تمنيت .. ان .. اراها في ثوب
الزفاف .. نعيمة ، اوصيكم بها .. امي
.. الرفاق .. نفحة .. قولوا .. لهم
.. اني مت .. مخلصا .. لهم .. قولوا
لهم .. كم انا .. احبهم .. واصلوا ..
النضال .. يا رفاق .

اسئل .. قلبي يقفز من بين ضلوعي .
- استمروا .. في .. الاضراب .. سنحقق
.. اهدافنا .. ولن .. نبقى .. نعيش
.. حياة .. الحيوانات .

اردت ان اواصل - ان اعزف لحني هذا ،
ان اودع هذه الحياة .. اسئل .. اسئل .
ابصق دما .. الجدار يرتفع .. وانا ارتفع ..
والمخلوق الغريب بجانب القبر يتضاءل ..
يتضاءل ..

- لا تقل ذلك يا رفيق .. لن تموت ، ستعود

الحديدي والناس يعطون ...

يقترّب الضابط بخطوات وثيدة من
زنزانتسي :

— اي فواته ١٢×١٣)

ارفع رأسي نحوه ابقى جالسا في مكاني،
محتضنا ركبتي ، احدثق فيه ، الضابط ذو الوجه
المخنث — الضابط الذي لعب دور الصديق في
العيادة

— انت المريض ١؟

— (.....)

اسعل .. اسعل .. ابصق دما .. اللعنة
على الرئتين اللتين تمزقتا ، لو كنت ادخ
يا ابا الصخر لانتهيت منذ وقت طويل ..

— آ .. قل .. اتريد الممرض ١؟

— م ..

— بشرط واحد هو ان تأكل ..

علا صغير قاطرة وزامور سيارة اسعاف ..
اسعل ... اسعل .. ابصق دما ..

هتلر اباد عشرات الالاف ولم يعذبه
ضميره ، يا للضمير الذي نسوك ، يا للتاريخ
الذي زيفوك ، يا للقلب الذي ما زلت تخفق ،
يا للعصفور الذي ما زلت تحلق ، يا للقاطرة
التي تسير على خطها الحديدي المتعرج وتصل
المحطة ، انا هنا في جزيرة نائية .. اسعل ..
واسوم على بيع الضمير ..

— اتاه روتسيه لاخلول ١؟ ×١٤ (١٤)

يا نعيمة التي احبك ، يا سلوان والصخرة
الذهبية .. يا قيامة المسيح والسور المنيع انا
هنا في جزيرة نائية ، اسعل ، واسوم على بيع
الضمير ..

— قل .. اتريد ان تأكل وتقابل الممرض؟

(١٣) تعني .. اين انت

(١٤) تعني : انت تريد ان تأكل ..

وارقصي يا امينة واكتبي الرسائل ! وغني
بصوتك الطقولي الناعم يا اسماء ! وابتسم يا
جمال فالحزن ماض والفرح آت ! ابتمسوا
فالجدار لن يهزمي ، انا اعلو عليه حتى في
موتي ، سأبقى اخلق في السماء اتطلع اليكم
من عل .. ابتمسوا .. انا لم امت .. لم
اسقط .. هم سقطوا .. وانا اخلق .. هم
هزموا .. وانا انتصر .. هم تضاءلوا .. وانا
كبرت .. فبعد الموت نصير اكبر .. نحن بعد
الموت نصير اكبر ..

جاء الضابط .. يا ضابط ١؟

يهتف ابو السعد كما لو ان الضابط جاء
بعد طول انتظار .. لم اتحرك ابقى ساكنا ..
اسعل .. اسعل .. ابصق دما .. والعصفور
يرجو ويحي .. يحط على القضبان ويطيير
يزقزق ويرفرف .. فرحا لست ادري لماذا ...
— آ .. من يريد محادثتي ..
— انا يا ضابط ..

يقول ابو السعد ، يتجه الضابط الذي لا
اراه نحو زنزانتسي ، ويتحدث ابو السعد بالعبرية
.. يرفع صوته .. يخفضه ، يهز قضبان الباب
، يشتم .. ماذا قال الضابط ١؟ لم اسمع .. لا
يهمني .. وكان الامر لا يعنيني ..

— لماذا لا تعالجونه .. انه يموت .. انتم
المسؤولون — فاشيست .. قتلة ..

فاشيست يا ابا السعد .. فاشيست ..
هتلر بنى افران الغاز ، والقى الناس فيها كما
يلقي الخباز قطع العجين في بيت النار ، هتلر
يا ابا السعد .. اباد عشرات الالوف ...

— فاشيست .. قتلة .. انتم مجرمون ...
فاشيست يا ابا الرائد .. مجرمون ...

الجزيرة نائية في وسط المدينة ، هنا نحن
نموت والقطارات في الخارج تسير على خطها

تشتعل عيناى بنار شديدة الحرارة .. ترتجف
يداي .. وتنطلق من اعماقي صرخة ترتج من
اثرها ابواب الزنانات .
- لا .. لا .. لا .. لا

يتراجع الى الوراء يغيب في اروقة السجن
وعلى النافذة ، كان العصفور اياه .. يصفق
بجناحيه ويزقزق فرحا .. عرفت الان لماذا ١١
وفرحت معه ١١

ايتها الصرخة المخنوقة في اعماقي
اخرجي ايتها الدماء المتجمدة في عروقي
تحركي ايتها الطلقة في بندقية الفلسطيني
انطلق ايتها الشمس التي انتظرتك طويلا
اشرفي .. فانا هنا في الجزيرة النائية وسط
المدينة اسام على بيع الضمير .
- قل .. ها ..
يتدفق الدم في عروقي ، يخمر وجهي ..

اغلاق "الدرب" اعتداء على حرية التعبير

اسرة تحرير " الكاتب " تؤكد تضامنها مع الزملاء في جريدة الدرب ،
وتعلن استنكارها لقرار السلطات باغلاق الجريدة .
ان اغلاق جريدة الدرب ، يشكل جزءا من السياسة التي تصاعدت
حدثها في الاونة الاخيرة ضد المواطنين العرب ، وهي خطوة يقصد بها
التضييق على المواطنين ، واعتداء على الحقوق الاساسية للانسان العربي
الفلسطيني في وطنه ، وطن الاباء والاجداد وأهمها الحق في التعبير .
نستنكر قرار الاغلاق ونتضامن معكم ايها الزملاء في جريدة الدرب .

اسرة تحرير الكاتب

بكائيت الأسئلة



محمد عرقوب

وندور علينا به
كي نحاوله
كي يحاولنا
ونحاول ما حاولنا
.....

استريح قليلا
الملم اطراف نفسي
وما قلت غير الذي يقال
كأنني اختصرت نشيد المغنين
الا البعيدا
ويتركني الشهداء شهيدا
ويتركني الشهداء وحيدا
واتركني
ظل ما يتكون بين الظلال
.....

احاول ما حولنا
كنت متسعا للفراغ الذي سيجي
واختتم الان عاصمة بالرحيل
الى حصن عاصمة سنتوجني
بالرحيل

نحاول ما حولنا
حجر في مدار الفصول
ارتداد المغني عن الجلجلة
هل سوف نضرب خيمتنا الان
بين الرصافة والجسر
منتحلين لاسمائنا شجرا عاليا
وابتسامتنا المقبلة
ليوم الاحد
ولا نسقط الان عنا سوانا
سوى جبل الاسئلة
.....

هل تبقى قليل من الخمر
كي نشربه ؟
هل تبقى لنا
غير حجم الفراغ ودهشتنا
وذحول ملامحنا المتعبة
هل تبقى لنا
غير حبل يضيق على الرقبة
نشتهي دمننا
نشتهي
ونترعه كاسنا

لا أحد

لا أحد

....

هل اقول الذي قيل

ام انتهى بالسوء ال على الاسئلة

حجرا يستقر بحجرة

شوكية في الرئة

سوف تبكي علي امرأة

لن تودعني

حين تأخذني الحرب

سوف يقوض ظلي المساء

لا اقول لظلي انتبه

تعودت ان يقتلونني من الخلف

عادتي المتعبة

سبب

لا اقول لظلي تعال

سأفترق الان

ظليين يبتعدان

مسافة درب السوء ال

.....

هل اقول احبك

ام التقي بك في صحف الغد

وجهك الان مبتعد ... مبتعد ...

حاجزا

بين اسئلة تستطيل

وارغفة الوجد

كيف لي ان اجد ...

هدأة الروح في فجوة

بين مهد ولحد

وجهك الان مبتعد ... مبتعد ...

من يدلك غيري علي ؟

من يدلك ؟

غير ظلي وظلك

هل اقول الذي قيل

ام انتهى بالسوء ال المعاصر

في جثة قادمة ؟

كيف لي ان احدد ما يقفز

الان مني الي

سيعبرني القادمون الي

سيعبرني المطر

ستخر عظمي ديدان منفي

فلا يذكر الفجر

خيمة لم تزل في الرمال

خيمة

وطقوس ارتحال

سيعبرني الفجر

قبائل لم تتعدد

ولم تتبدد

ولي رقصة الدم

ايقاعها المحتدم

ادمي ليس دم ؟

اغنوان بيتي ادم ؟

كي اظل شهيد مراوحة في السجال

هل اقول ابتدأت ؟

هل اقول انتهيت ؟

ام اكفي بالسوء ال

هل اقول اموت

كي اري جثتي لحظة في المطر

هل اقول جسد ؟

كي يعبروا

هل اقول بلد ؟

كي يهتف الغرباء بأسي

من رأني اموت ؟

من رأى جثتي تنتظر ؟

دفنها في المطر

او في شظايا البيوت

ونجمتنا في السماء
سوف تبكي علي امرأة
سوف تبكي علينا نساء
.....

نحاول ما حاولنا

ونشد الخطى

لاجتهاد الوتر

كي نغني معا

لحظة الماء

نجمتها السابعة

ونعد الخطى

فرما جامحة

رهانا على دم جثتنا الرابعة

نشد

نعد

نغني

تسير

سنترك اسماءنا للزجر

وايامنا لنداء الرحيل الاخير

ونسير

نسير

الى دننا

لوحة في هطول المطر

لسياج يعاصر صفافة ترتفع

وأذرة تجتمع

في هدير الصهيل

ونسير الينا

الى مذق الروح

والطعنة القاتلة

لا اقول الذي قيل

بل اشعل الاسئلة

.....

سوف يبقى الرحيل رحيلنا

ورايتنا

سوف تبقى - كما هي -

رايتنا ، ظلنا المستحيلنا

سوف يبقى على بيتي القديم

الهديل هديلا

والطريق الطويل طريقا طويلا

ولنا ان نقول

نحاول ما حاولنا

ونعدو بنا نحننا

شجرا موغلا في امتداد الفصول

المرج المشمس وسط الغابة



ترجمة : ايمن أبو الشعر

شعر : أليكسي فاتيانوف

— حين تعود وفوق الصدر وسام
نحدث في امر الخطبه
عبر دُخان البارود القاتل..
ظل بقاتل
والقيثارة كانت معه
من معركة نحو الاخرى
لم تمنحه الحرب ساما..
لكن كرم بميداليه
..كالطائر جاءته رساله
من اصقاع الثلج النائي
— عد لي حتى بميداليه
عد لي فأنا أنتظر
هيا غني يا قيثاره
واحكي لي عن تلك الجاره
عن جفنيها
ذات العينين الليليه
من اودعت العقل لديها..

في السرج المشمس وسط الغابه
بعزف شاب على قيثاره
وهو يقوس حاجبه
يشدو للحب لواعجه
عن ليلة حر امضاها
وصديفته تسهر معه
عن شالات ناعمة يوما اهداها
لحبيبته كي تسمعه
هيا غني يا قيثاره
واحكي لي عن تلك الجاره
عن جفنيها
ذات العينين الليليه
من اودعت العقل لديها
حين مضى للحرب الجهمه
في ليل نجمي الظلمه
عرض على المحبوبة قلبه
فاجابت تلك المعتده
وهي تمازح:

سؤال ... الى المحرر



بعد لقاء جدة بين رئيس الوزراء الاردني والسوري برعاية المسوءولين السعوديين ، اكد الاخرون بان اللقاء قد حقق نجاحا على طريق تسوية الخلافات السورية - الاردنية ، وهذا ما اكدته وكالات الانباء ، التي اشارت الى ان هناك بوادر وموشرات الى انفراج في العلاقات بين الاردن وسوريا .

ما هو في تقديركم الاساس السياسي ، الذي تبني عليه عملية التقارب المذكورة ، رغم التوتر الشديد في العلاقات بين البلدين حتى الفترة الوجيزة السابقة ؟ وماذا سيكون اثر ذلك على علاقات النظام الاردني بالقيادة الرسمية لمنظمة التحرير ؟

أحمد عيسى يوسف - نابلس

جواب :

وتقارب وحتى تحالف مرفق باجراءات وحدوية بين البلدين (وان كانت مصطنعة وتنقصها الجدية) . ولكن المشترك في كل عمليات التقارب المذكورة انها كانت قصيرة العمر وقائمة على اعتبارات مؤقتة لخدمة مصالح مختلفة وآنية لكلا النظامين

ولكن مثل هذه الظاهرة ، وهذا ما يجب ملاحظته ، لا ينفرد بها النظامين الاردني والسوري ، وانما تكاد تكون ظاهرة عامة ومتكررة في العلاقات بين الانظمة العربية المختلفة ، وهي تعكس الضرورة المزاجية السياسية وعدم الثبات وتغليب المصالح الانية والمؤقتة والخاصة على المصالح البعيدة والثابتة والعامة (تغليب وتقديم التكتيك على الاستراتيجية) وغياب الديمقراطية والحكم القائم على التسلط الفردي ، وغيرها .

أخذاً بالاعتبار ما ذكر اعلاه ، وبلاستناد

للاجابة على سؤالك ايها الاخ احمد يوسف ، لا بد لنا من الاشارة اولا الى بعض الحقائق الهامة التالية :

أولا : ان الخلافات السورية الاردنية عميقة الجذور لانها مرتبطة بالاستراتيجية السياسية لكلا النظامين ، وبشكل خاص استراتيجيتيهما تجاه ازمة المنطقة وطرق حلها وموقفهما المتعارض تجاه الامبريالية وتجاه قوى التحرر العالمية ، وبالتالي تجاه مستقبل المنطقة وموقعها في خارطة العلاقات والسياسة الدولية .

ثانيا : بالرغم من عمق هذا التناقض الاستراتيجي واستمراريته خلال العقدين الماضيين ، وفي ظله ، شهد تاريخ العلاقات بين البلدين اكثر من مرة ، حالات انفراج

ولا يجب ان نستبعد هنا ، من ضمن الاعتبارات السعودية ، انها ترى ان نظام صدام حسين قد " انجز مهمته التاريخية " في اجهاض الثورة الايرانية وحرف مسيرتها ، وبالتالي يكون قد فقد مبررات وضرورات وجوده - المكلف جدا - وأن الاوان لاستبداله ، خاصة وان الطرف الاخر ، النظام الايراني ، متمسك بحزم ، بشرط اسقاط نظام صدام كشرط مسبق لوقف الحرب مع العراق .

اما بالنسبة للنظام الاردني ، فهو وان كان من الجائز انه يتفق مع التصور السعودي ، بان نظام صدام انجز ما عليه تاريخيا ، وانه قد اضحى عبئا ثقيلا على حلفائه ، فبالنسبة للنظام الاردني والتحالف الطبقى الذي يمثله ، فقد انتهت الفرصة الذهبية ، حيث من المعروف ، ان اوساطا واسعة من البرجوازية الاردنية ، قد حققت خلال سنوات الحرب الاولى ، ارباحا وثروات هائلة من خلال علاقاتها الاقتصادية بالعراق ، وما كانت تقدمه من خدمات ، ضرورة مختلفة ، على رأسها النقل والترانزيت ، سواء للجبهة واستمرارية الحرب ، او للاقتصاد العراقي ، ولكن هذه الفائدة ، التي يصدق عليها وصف ، غنى الحرب ، قد انقلبت الى عكسها ، الى خسائر فاحشة ، خلال السنتين الماضيتين ، ووبال على كل من له علاقة اقتصادية مباشرة او غير مباشرة بالعراق . وذلك بسبب عجز العراق عن الوفاء بالتزاماته المالية من جهة ، وبسبب تدهور قيمة الدينار العراقي التي بلغت ثلث ما كانت عليها عند اعلان الحرب (كان سعر الدينار العراقي قبل بدء الحرب يساوي ١١٠ قرشا اردنيا في حين اصبح الان حوالي ٣٥ قرشا فقط) . مما قاد الى خسائر مالية هائلة تكون غالبية العقود والصفقات مرتبطة بالدينار العراقي .

ومن المعروف ان النظام الاردني قد اضطر لاستصدار قانون خاص لحماية المتضررين بسبب تعاملهم مع العراق منع بموجبه امكانية

اليه ، ترى ان اسباب التقارب الحالي يجب البحث عنها في اعتبارات اولويات كلا الطرفين في هذه المرحلة ، وكذلك اعتبارات الوسيط النشط - السعودية .

من المعروف ، وهذا ما لا يخفيه النظام السوري ، ان اسقاط نظام صدام حسين في العراق هو من ضمن قائمة الاعتبارات الرئيسية في سلم اولويات السياسة السورية ، ليس فقط بسبب التناقضات الحزبية ، بين جناحي البحث ، ولكن لان ذلك شرط ضروري لتحقيق الاهداف الاقليمية للسياسة السورية ، حيث ان اسقاط نظام صدام حسين ، سيمنح سوريا عمقا استراتيجيا عبر العراق الى ايران ، حليفة سوريا ، وهذا بدوره سيخلق ظروفا مواتية لتحقيق طموحات سوريا الاقليمية ، بان تكون

هي القوة السياسية العربية الرئيسية في المنطقة التي تمسك بايديها غالبية ، ان لم يكن كل الاوراق السياسية الهامة في المنطقة . ان احد المؤشرات على صدق هذا التصور ، هو رؤية الطريقة التي تلعب بها سوريا الورقة الايرانية بيدها في علاقاتها العربية ، وبشكل خاص تجاه السعودية ودول الخليج العربية الاخرى ، فهي تستعملها وتلوح بها كل ما اقتضت صاحبته ذلك .

من جهة اخرى ، يبدو ان السعودية ، التي رحبت في البداية بقيام العراق بشن الحرب على ايران ، وقدمت الدعم المالي والمادي الهائل للعراق في مرحلة لاحقة ، قد اخذت الان تضيق ذرعا بالابتزاز العراقي الذي استنزف احتياطها المالي ، حيث فاق ما دفعته السعودية للعراق حتى الان عدة عشرات المليارات من الدولارات . في الوقت الذي اضطرت فيه لتجميد العمل وحتى لالغاء العقود احيانا في العديد من المشاريع الطموحة التي كانت تشيدها وذلك بسبب النقص الكبير في الاموال بعد التراجع الهائل من عائداتها النفطية .

الحجز المالي على كل من يعجز منهم عن سداد ديونه المستحقة او عن الوفاء بالتزاماته المالية .

ولكن ومن ناحية اخرى، يجب ان لا نتجاهل حقيقة ان النظام الاردني قد اقدم على خطوات التقارب مع سوريا لاعتبارات اخرى منها :

. تجاوبا مع الضغط السعودي الذي لا يستطيع النظام الاردني مقاومته .

. شعور النظام الاردني بان هذه الخطوات تمنحه ورقة قوية يستطيع ان يلوح بها في وجه عرفات وذلك لدفعه الى تقديم المزيد والمزيد من التنازلات لمصلحة النظام الاردني، وارضاء للمطالب الاميركية والاسرائيلية المتصاعدة .

شعور الملك حسين بان هذه الخطوات يمكن ان تحسن من وضعه التفاوضي مع الادارة الاميركية وبشكل خاص، انها قد وقتت قبل بدء رحلته الى واشنطن .

واخيرا، اعتبار النظام الاردني ان مثل هذه الخطوات، ستكون مفيدة له للقيام بخطوات اخرى في اتجاه مختلف، هدفها للتخلص النهائي من " شراكة " عرفات،

وذلك استجابة للموقف الاسرائيلي والاميركي المتشدد تجاه هذه القضية، حيث يجسرون برغبتهم باستمرار وبصوت مرتفع في انهم يريدون مفاوضة الاردن وحده دون ادنى مشاركة فلسطينية فيها كانت شكلية .

عزيزنا المشترك ..

مرحباً منا على التأكد من استلامك لنسخك، وحرصنا منا على الأخذ برأيك في كل ما يتعلق بمجلة « الكاتب » شكلاً ومضمناً، نتوجه اليك للاتصال بنا، كتابة، أو هاتفياً، للاطلاعنا على رأيك واقتراحاتك لتطوير المجلة، وإعلامنا عن كل تأخير في استلامك لنسخك، أو أي ملاحظات أخرى.

مع تقديرنا ومحبتنا ؟

« الكاتب »



لى الصديقة صاحبة قصة "نهاية العجز"

ان يجد الانسان الفكرة لعمله الادبي ، تلك هي القضية في نظرى ، وانت وجدت الفكرة الجيدة ورسمت لها الجو الذى يتحرك فيه الحدث بشكل جيد ايضا . ولكن عدم استطاعتك "ترتيب" الاحداث بشكل يمضي بالقصة الى غايتها افقدها الكثير من القدرة على الوصول الى القارئ .

وقبل ان نمضي في مناقشة اهم احداث القصة ، نحب ان نؤكد ان بعض التعديلات يمكن ان تحول قصتك الى عمل ادبي جاد .

ان مشاهدة خليل لمظاهرة الناصرة ودخوله السجن والتحقيق معه مع انه لم يشارك في المظاهرة بل كان اعتقاله في اعقاب هجوم الشرطة على المتظاهرين ، حدث اساسي ارتبطت به بعض التفصيلات ، وظهر وكان الامر جديداً على خليل ، لم يسمع به من قبل ، ولم يعرفه ، هذا ، على الرغم من ان خليل ، كما تظهره القصة ، هو أحد أبناء الجليل

(الشمال) ونحن نعرف ان كل قرية ، بل كل حارة في كل قرية في الجليل لها تاريخها الوطني الناصع ، الذى لا بد وان يكون شخراً مثل خليل (وهو من انهى دراسته الثانوية) على اطلاع عليه ومشاركة فيه . هذه ناحية ، واما الاخرى فان حدث المظاهرة نفسه قد امتد طويلا في القصة حتى خلته قصة داخل قصة ، مع انه حسب سياق القصة مجرد ذكرى تذكرها وهو في غمرة حدث آخر .

ان استحضار الذكريات ، من خلال رواق سكن الجامعة وصلصلة المفاتيح واللغة الغربية ، وارتباطها بمثلاتها في السجن هي المزوجة التي دفعت خليل دفعا لحضور اجتماع الطلاب وهي الصورة التي يمكن ان تكون بداية للقصة ، ويمكن ان يكون عدم وقوف الباص للقروية العربية هو الوتر المشدود الذى ستنتقل منه كل الحمم المكبوتة في بركان خليل .

اما قول الجّد "ضاعت ، ولا ينفع شيء" بعد اليوم " فهو ايضا يشكل محورا حنوناً ، ويشكل استمراراً لنضال قديم ساذج يتحول اليوم الى

عمل جماعي واع لا يضيع معه شيء.

x الصديق مصطفى مراز - جلوليا

لقد وصلنا منك ثلاث قصص ، ونحن نعلمك بذلك بناء على رغبتك .

كما ان هذه القصص تأخذ نصيبها من الاهتمام الذي تستحقه .. وان التأخر في نشر اي مادة ادبية لا يعني اهمالها .. وانما يخضع ذلك لاعتبارات اخرى اولها واهمها كثرة المواد الادبية التي تصل الى الكاتب .. والتي لا نتمكن من نشرها جميعا . فعذرا على التأخير .

x الصديق منصور ابو علان :

الموضوع غير متكامل ويحتاج الى بحث وتمحيص .. وجهد كبير حتى يكون صالحا للنشروهو بصورته الحالية مبتور .. ولا يضيف شيئا يذكر الى معلومات القارئ العادي .. مع رجائنا الى الصديق م. ا. ان يعيد النظر في موضوعه .. واستكماله من جميع جوانبه .. وذكر المراجع التي يعتمد عليها في موضوعه .. وسوف ننظر في موضوع نشره ثانية .

x الصديق عمر العطاونة :

نعتمد انه من غير اللائق ان ترسل نفسك المادة التي تريد نشرها الى اكثر من مجلة ، فذلك يسيء اليك اكثر من اساءة تلغريك . نعلمك اننا اوقفنا نشر مادتك في آخر لحظة بعد ان اكتشفنا انها نشرت في احدى المجلات المحلية وفي عددها الاخير

اتفقنا على ان الفكرة الموضوعة لذهن القارئ ، والتي تعتمل زمانا وقلقا في مشاعر الكاتب ، تشكل المحور الذي يقوم عليه العمل الادبي . وللادب معماران شذ فيه شيء اتلفه .. واللغة لعمود الفقرى للادب ، من خلالها ، تضاء نوافذ الصور والافكار .

لنرجع الى اللغة في القصة .. تعتمد الكاتبة طريقة البرقيات في الكتابة ، لذا نحس بالتوتر ، واللهات من بداية القصة " تلمل في جلسته .. احس بالملل .. اخرج يده .. " الخ . صحيح ان القصة الناجحة تبدأ بالحدث وليس الانشاء ، ولكن الحدث يخضع لمعقولة تشد القارئ وتسير به حتى نهاية محطة التوصيل .. اما الكتابة بطريقة البرقيات ، فانها تضع حاجزا بين القارئ والعمل الادبي فيحس بالحياد او يبقى في موقع المراقب ينتظر الدخول مع " العمل " والمصاحبة فيه او الابتعاد عنه وبالتالي رفضه ١١

ان الكتابة " المستريحة " للقصة القصيرة هي احد معالم نجاحها .

اما الظاهرة الملفتة للنظر، فهي ان الشعراء المبتدئين يلهثون وراء الكلمات "المزوقة" التي يعتقدون انها ستدخلهم عالم "الشاعر فلان ... " عندما يتحدث عنهم الناس .. واما القصاصون الجدد فانهم يهملون الكلمات ، بل ويهملون اللغة ويكتفون بالفكرة .. وانه لامر محير حقاً ..

وأخيرا ، لا بد من مناقشة القصة معك مرة اخرى ، ولك تحياتنا .

الصادق ج. أ. جزة - مخيم الشاطيء.

دون ان تحرك فينا اى نوع من الاحاسيس ... وهذا فرق جوهري بين القصة والخبر .. ان مثل هذا الحدث الذى تنقله الينا بصورة اخبارية .. نسمع مثله كل يوم .. ولكن هذا الحدث عندما يكتب بأسلوب فني بحيث يجسم الحدث ويخلق المعادل الموضوعي له ... وبحيث تستطيع ان تنقل الينا الاحاسيس والافكار التي تراود بطل القصة .. في هذه الحالة نستطيع ان نمي ما تكتبه قصة ... والى محاولة ثانية تكون اكثر نجاحا مع تقديرنا لموقفك من مجلة الكاتب .

ارسل الينا مادة بعنوان " يوم ميلادك يوم عظيم " ولم نستطع ادراجها تحت باب القصة او الخاطرة كما اراد كاتبها ان يسميها ، وهي ليست اكثر من مناجاة عاطفية شديدة التهافت من الناحية اللغوية ، وهي لا تقدم شيئا للقارئ سوى التحسر والنوح والحنين بدلا من ان يشد عواطف القارئ واحاسيسه .
نعتذر عن عدم نشرها والى محاولات اخرى .

x الصديق ع. أ. ع. يافة الناصرة :

بعث لنا قصيدة بعنوان " عميل مافيا " والقصيدة ضعيفة البناء وهي اقرب الى السجع واحيانا الى الزجل الشعبي .. وهي بالاضافة الى ذلك شبه خالية من المضمون الذى يشفع لنا بنشرها .. وهي عبارة عن كلمات اختيرت لمؤامرات السجع دون مراعاة للمعنى الكلي الذى ينتظم القصيدة .. هذا اذا سميت تجاوزا قصيدة ١٠٠٠

x الصديق ع. أ. ع.

بعث الينا بمادة ادبية بعنوان " رداء " البؤساء " وهي في بدايتها كتبت على شكل خاطرة ثم تحولت الى قصة ، وبعد ذلك الى تاريخ يروى نضالات شعبنا ضد الاستعمار الانجليزى .. ثم يتحدث الكاتب عن ذكريات سمعها عن فؤاد نصار .. وهكذا ناهت كتابتنا بين اشكال عديدة ومواضع كثيرة لا رابط بينها .. بالاضافة الى الاخطاء الاملائية وكامثلة على ذلك " وتركتني اتغي " والصحيح اتغيا . وكذلك " جاؤها المخاض " والصحيح جاءها .
وهناك اخطاء نحوية مثل " ذهبت الى ابا حلمي " والصحيح الى ابي حلمي " " وطلعت شقي " والصحيح شقيا " .

x الصديق محمد العريدي

قصتك " هكذا نحن " ضعيفة البناء .. ولا تكاد تنطبق عليها مواصفات القصة .. وهي ليست اكثر من صراخ .. وعرض للاجراءات القاسية التي يتعرض لها ابناء شعبنا على ايدى سلطات الاحتلال .. وبصورة اخبارية وليست فنية ، فالقصة تتحدث عن افراد عائلة كاملة ، وهي تسطح الحدث ، ويضع القارئ بين هذه الشخصيات .. وطرحك لبعض الافكار يظل عائما وغامضا كقولك : " اليس من واجبننا عربا ويهودا ان نصنع الخلاص فوراً ؟ " وانا أتساءل اى قوى عربية ويهودية تستطيع ان تصنع الخلاص ؟ وكيف ؟ اسئلة كثيرة لم تجب عنها القصة .
والى محاولة قادمة ، مع تقديرنا لجهودك في كتابة القصة .

الصادق أ. س. المانيا الديمقراطية :

شكر لك اهتمامك بمجلة الكاتب ونأمل ان تكون دائما في موضع الثقة التي اوليتمونا اياها .. وبخصوص قصتك " وماذا بعد ؟ " يؤسفنا ان نقول لك انها لا تحمل شيئا من مقومات القصة فهي عبارة عن خبر تنقله الينا

قراء مختصرة في كتاب
علم الوراثة الاسس والمبادئ
لمؤلفه الدكتور خليل انطون ر شماوي



عرض وتقديم : د . عدنان شقير - جامعة بيت لحم

تفتقر المكتبة العربية بشكل عام والمكتبة الفلسطينية بشكل خاص الى المراجع العلمية المتخصصة، ومرد ذلك عدة اسباب لا يتسع المجال الى سردها هنا . ولما كان الاتجاه الحالي هو العمل على تعريب العلوم البحتة مما يحقق عددا من الاهداف والغايات ومنها على سبيل المثال لا الحصر : تسهيل وصول المعرفة الى الطالب باستخدام لغته اليومية التي يتقنها ويستسيغها مقارنة باللغة الاجنبية التي يجد صعوبة جمة في متابعة دراسته الجامعية او التزود بالمعرفة بشكل عام، كما انه يعطي دفعة قوية للغة العربية وفي امكانية مجاراتها واستيعابها للمصطلحات العلمية والتكنولوجية الحديثة وبرهان على وجود الكفاءات العلمية المتخصصة والقادرة على اعداد المراجع العلمية باللغة العربية، ان ما نحن بصده هو محصلة جهد وعمل دؤوب جاء نتيجة خبرة عملية ومعرفة حقيقية باحتياجات المجتمع تراكت لدى المؤلف على مدى سنوات عملية في حقل التدريس الجامعي والثانوي مما اضفى على الكتاب الشمولية والوضوح في مواضعه حيث انها تعطي صورة واضحة للمبادئ الاساسية لعلم الوراثة الحديثة، وعليه فان هذا الكتاب يعتبر صديقا لجميع مدرسي وطلبة المرحلة الثانوية الذين يتعاملون مع علم الوراثة ويطلبون المزيد من الاستيضاح والمعرفة ناهيك عن فائدته الجمة لطلبة الجامعات والمعاهد العليا محليا وعربيا .

يقع الكتاب في ثلاثمائة واربع وثلاثين صفحة من الحجم المتوسط ويضم بين طياته اربعة عشر بابا وقاموسا للمصطلحات العلمية الواردة ذكرها، اذ لجأ المؤلف الى ادخال بعض المصطلحات العلمية باللغة الاجنبية وربطها بالمعنى العربي ليسهل على القارئ المتخصص والمعتاد على المصطلح الاجنبي .

يبدأ الكتاب بعرض تاريخي لنشاط علم الوراثة الحديث والتعريف بهذا العلم وموضعه بين العلوم الأخرى وهذا الجزء يحتوي على مادة شيقة موجّهة لجميع المستويات العلمية دون أن يكون حكرًا على فئة دون أخرى وقد عرضت بصورة شيقة ومنطقية ثم ينتقل المؤلف في الباب الثاني إلى وصف حي الخليّة وتكاثرها مع تضمين لبعض الصور التوضيحية والجداول المساندة والتي تعتبر من المعلومات العامة . يستطرد المؤلف في عرضه من الباب الثالث وحتى الرابع عشر في تتبع المواضيع الوراثية المختلفة وبترتيب منطقي بدأ بقوانين الوراثة التقليدية ودور مندل في إرساء أساس هذا العلم وأهم التجارب التي قام بأجرائها وكيفية التوصل إلى النتائج الوراثية والقوانين الأساسية الأولى فكانون انزال الصفات والتوزيع الحر في الأبواب الرابع والخامس والسادس شرحا وأما الوراثة غير المندلية كالسيادة غير التامة والمشاركة والعوامل القاتلة ثم يليها شرح لتفاعل الجينات ودور الكروموسومات في تحديد الجنس وما يتفرع عنه من صفات مرتبطة أو متأثرة أو محدده للجنس .

يقوم المؤلف بعرض وصفي تحليلي للكروموسومات والجينات ثم وراثة العشائر والاستخدام العملي للوراثة في العشار والاسس الجزيئية للوراثة مع عرض لبعض الجوانب الوراثية في البكتيريا والفيروس وهذا ما تغطيه الأبواب السابع والثامن والتاسع والعاشر من هذا الكتاب .

تضم الأبواب الأربعة الأخيرة عرضا لتركيب الجينات ودورها في تنظيم عمل الانزيمات كما أن البابين الآخرين يتعلق أحدهما بالطفرة. أشكالها ومسبباتها وكيفية الكشف عنها أما الباب الأخير فيستعرض بعض الصفات الوراثية المتعلقة بالإنسان كفضائل الدم والعامل الريزي سي ثم أساليب دراسة الوراثة في الإنسان .

بعد هذا العرض لا بد من الإشارة إلى بعض المآخذ على هذا الكتاب لكي يتلاشاها المؤلف مستقبلا في نتاجه القادم . كم كنت أتمنى على المؤلف أن يضمن أمثلة غير محلولة لتنشيط التفكير عند الدارسين رغم أنه ضمن جميع الأبواب بأمثلة مرافقة محلولة وهذا وحده لا يكفي . أما المآخذ الثاني والذي كان من الأجدر عدم تجاهله إلا وهو خلو الكتاب من أي مرجع كان فكان حري بالكاتب أن يضمن بعض المراجع أما للكتاب ككل أو لكل باب على حده أو على الأقل ذكر بعض المراجع المقترح الرجوع إليها للاستزادة منها عن موضوع محدد .

نقطة أخرى هو وجود بعض الترجمات الحرفية لبعض المصطلحات مما لا يعطيها المعنى العلمي المتداول مثال ذلك مصطلح Universal donor كان من الأجدر ترجمته بـ "أهب عام" وكذلك مصطلح Universal recipient "مستقبل عام بدلا من أكرم الناس وأبخل الناس وغيرها من المصطلحات .

أما فيما يتعلق بالأخطاء المطبعية ورغم وجودها إلا أنها محدودة . أما فيما يتعلق بالطباعة فهي جيدة عموما مع وجود بعض الصفحات التوضيحية والتي ظهرت باهتة وغير واضحة تماما . وكنتقييم عام فأنني أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور خليل رشاوي على محاولته الناجحة في إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود أملا أن يضع مثالا فعلا لغيره من المتخصصين ليحذوا حذوه في هذا المضمار .

الاول صورة فقيد النضال والفكر
والثقافة الدكتور اميل توما
رئيس تحرير " الجديد ". كما
تحدثت افتتاحية العدد ، وهي
بعنوان : " اميل توما -
الراحل عنا ، الباقي بيننا "
عن هذا المناضل والمفكر
والانسان .

ومحمد شريم وعمر حيدر
الزعيبي والشاعر العراقي
يوسف .

ويتضمن باب القصص
قصصا جديدة لحسين مهدي
وجمال بنورة وسامي الكيلاني
وقصة للكاتب فاروق اوهان
دي .

كذلك نشرت الجديد
القسم الاول من دراسة هادي
للباحث فواد عوض حول الزحف
التشكيلي الفلسطيني
وافتحت " الجديد " في هذا
العدد بابا جديدا هو
" شهريات الثقافة " كتبه هذا
الشهر الكاتب ناجي طاهر .
كذلك يتضمن العدد حشدا من
الاخبار الادبية والثقافية
وعرضا لبعض الكتب .

○ " نداء من وراء القضبان
مجموعة شعرية لعادل وزوز
صدر للمعتقل عادل

وزوز مجموعة شعرية
تبعنوان " نداء من وراء القضبان "
كتبها في سجن بئر السبع
وتفحة ، وتحتوي قصائد
وأغنيات شعبية تفوح منها
رائحة الصمود والكفاح .

وكتب مقدمة المجموعة
ابراهيم سعيد شيخه المعتقل
منذ ١٩٦٩ حتى عطية تبادل
الاسرى في ايار ١٩٨٥ .
وكان قد صدر للشاعر
" عاشق الارض " في العام
١٩٨٢ .

ويتضمن العدد وقائع ندوة
" الجديد " حول الثقافة في
مواجهة العنصرية والاحتلال
وهي باقلام : الكاتب اميل
حبيبي رئيس تحرير " الاتحاد "
والبروفسور ساسون سوميخ
رئيس قسم اللغة العربية في
جامعة تل ابيب والشاعر سالم
جبران محرر " الجديد "
والكاتب سليم خوري والكاتب
سلمان ناطور سكرتير تحرير " الجديد "
والشاعر خليل توما
رئيس اتحاد الكتاب
الفلسطينيين في الضفة الغربية
وقطاع غزة والكاتب يورام
كانيوك .

كذلك يتضمن العدد
دراسة عن المسنين في الوسط
العربي بقلم الاستاذ سميح رزق
ودراسة عن المؤتمر الاسلامي
الاول بقلم الباحثة رجاء الياس
ودراسة عن ادب الكاتب
الفلسطينية الراحلة سميرة
عزام بقلم وليد ابو بكر ودراسة
عن كليله ودمنة بقلم الدكتور
حسين مروة .

وفي العدد قصائد للشعراء
شكيب جهشان وعيسى لوباني
ونبيل الجولاني ويوسف حامد

○ " الشرق الاوسط المضطرب "

صدر في موسكو كتاب من
تأليف د . ميدفيوكو يكشف
فيه عن طبيعة وتأثير التحالف
الاستراتيجي الاميركي
الاسرائيلي الموجه ضد حركة
التحرر العربية ويتطرق الكتاب
بالتفصيل الى مراحل النزاع
الشرق اوسطي والى ممارسات
الادارة الامريكية ضد القوى
الديموقراطية العربية . وقد
اعتمد المؤلف على مواد
وثائقية غنية ورسمية .

○ " المهندس "

صدر مؤخرا العدد ١٧ من
مجلة المهندس الصادرة عن
نقابة اصحاب المهن الهندسية
فرع الضفة الغربية .

وضم العدد العديد من
المواضيع الهامة على مستوى
التخطيط والهندسة .

○ العدد الجديد من مجلة
" الجديد "

صدر العدد الجديد من
مجلة " الجديد " عددا مزدوجا

لشهرى آب وأيلول ٨٥ في
١١٢ صفحة . وتصدرت الغلاف

بإعمال العالم اتحدوا



مكتبة جريدة الاحبار في القدس

عمارة النهضة الجديدة الطابق الثاني ت : ٢٨٨٣٦٦ - ٠٢
الوكلاء الوحيدون في المناطق المحتلة - للمكتبة الشعبية
في الناصرة: الى القراء الاعزاء

يمكنكم الحصول على منشورات " دار
التقدم " بأسعار مخفضة — المؤلفات الماركسية
اللينينية الكلاسيكية، دراسات سياسية واقتصادية،
كتب علمية : فيزياء، جبر، طب، احياء،
جغرافيا، تربية، علم النفس والاجتماع، واشهر المؤلفات
الادبية السوفياتية (كيف سقينا الفولاذ، فرونزه،
النصب، الذئاب، الرجل الاسطوره، رفاق الطريق،
الصامدون وغيرها . كذلك المؤلفات العربية إميل
حبيبي (اخطية، لكع بن لكع سداسية الايام
السنة) غسان كنفاني المجموعة الكاملة، اميل ثوما
(جذور القضية الفلسطينية، الصهيونية المعاصرة)
مذكرات فدوى طوقان ديوان ابراهيم طوقان،
احمد سعد (التطور الاقتصادي في فلسطين، حرب
لبنان، الاقتصاد الاسرائيلي بين مهاوى الازمة)،
ومؤلفات الادباء المحليين والعرب المختلفة .

- خصم ١٠٠ بالمئة للطلاب
- يمكن ترتيب طلبات خاصة للمؤسسات والمكتبات .
- تسهيلات خاصة لمعارض الكتب .

سیر و کلاسیک (۷) بیخارا لادام

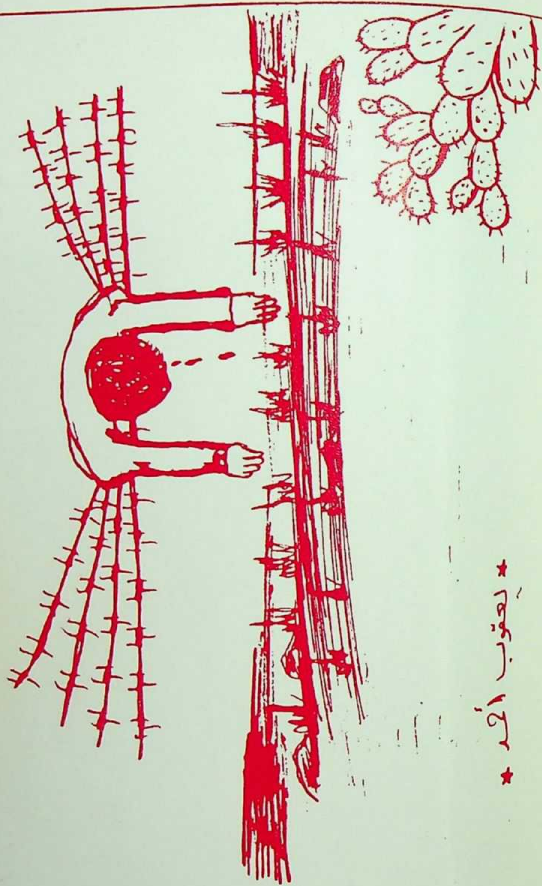
نام الله / شاع / استثنای البعید / مقابله و بیخارا الجلیل

حق ما محتاجه من حاجات الفیض بر / بیع و فایض و بیع
حاجات سیر بر / ما بجمعه و المنزوت

بقا و نه نام مع المعارض والمؤسسات * بیع ادوات کهر و ثبیه مختلفه

یو جسد لدینا و فروع خاص للمواد الجمعیة کل

★ يعقوب الحارثي ★





AL-KATEB

For human culture
and progress

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem

Tel: 856931

66

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم